الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٣٠٩ ـ ربيع الأول ١٤٢٣ هـ ـ مايو/ يونيو ٢٠٠٢م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 309 -MAY. / JUN. 2002



عشيرة اللغات الإفريقية الآسيوية

- العمل إلكترونيًا ومسألة أمن المعلومات
- أمريكا وآثار الهجوم على مركز التجارة العالمي
- إخفاق الغزاة في محو التسمية العربية للقدس
- الواقعية التعبيرية في المسرح
- ولائم الكتب
- زوزن: البصرة الصغرى في خراسان
- ابن مقلة: شيخ الخطاطين



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

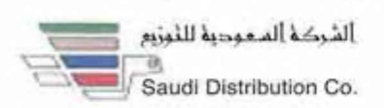
السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

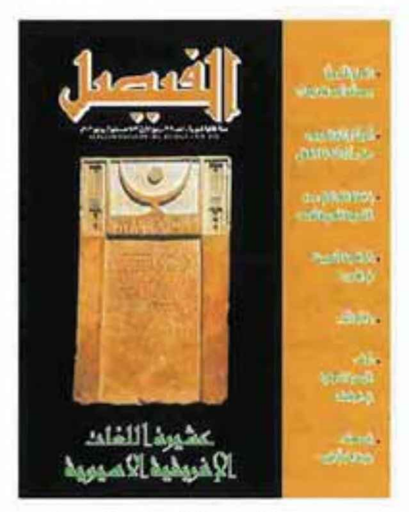
السعودية ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢٠٠، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٨٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ ـ ٠٠٩٦٣، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣ نهج المغرب ـ فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ١ ـ ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ ـ ٠٠٩٦٢، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الجزائر ـ مؤسسة E.B.D. PRESSE لتوزيع الصحافة، ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ ـ ٢١٣ ـ ٠٠، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٩٦٥ ـ ٠٠، السودان شركة التحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب MOROCO ـ SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-2404041/32، باكستان PAKISTAN

PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314981/2 FAX: 0092-21-4554410.

الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ ـ ٣ ـ ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٢٨







عشيرة اللغات الإفريقية الآسيوية

تعرف هذه العشيرة أيضا باللغات السامية الحامية، وهي واحدة من العشائر اللغوية السبع عشرة التي تكوّن لغات العالم، وتضم الإفريقية الآسيوية ٢٤٠ لغة. وتتوزع لغات هذه العشيرة على أربع فصائل رئيسة، فما هي؟ وكيف تطورت كل واحدة منها؟ وما العلاقة بينها؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

رمضان والمسابقة السنوية

إنني أحد محبي ومتابعي مجلة الفيصل المحترمة منذ العدد الأول حتى الآن، وقد قمت بتجليدها كل أربعة أعداد في مجلد واحد (السنة الواحدة ثلاثة مجلدات) غير أنه ينقصني بعض الأعداد وأنا أبحث عن هذه الأعداد في كل مكان حتى تكتمل، وأكون بها مسروراً، وقد أرسلتم إلي - جزاكم الله خيراً - بعض الأعدا، وذلك منذ سنتين تقريباً، وحصلت على بعضها من بعض المكتبات والباعة، ولكن حتى الآن لم تكتمل عندي، ومازال ينقصني ثلاثون عدداً إن تفضلتم وتكرمتم علينا أرسلوها إلينا، وجزاكم الله خيراً، وبزيادة الخير خيراً نرجو منكم أن ترسلوا مع هذه الأعداد الفهارس العامة.

نقترح عليكم إعداد مسابقة سنوية تحت مسمى «مسابقة رمضان الكبرى»، وذلك بأن يطرح في عدد رمضان ثلاثون سؤالاً في مختلف مجالات المعرفة، ويكون القسم الأكبر منها عن شهر رمضان المبارك وتاريخه وأحداثه، وتكون جوائزها (ثلاثين جائزة)، قيمة كل جائزة ألف ريال سعودي، ورمضان كريم.

نتمنى أن تظهر إلى الوجود «الفيصل الصغير»، وأن تكون مجلة مميزة إسلامية أدبية علمية هادفة، وأن تخلو من الصور التي لا فائدة منها، وأن تشتمل على صور المساجد الإسلامية، والآثار التاريخية، والمناظر الجميلة، والصور العلمية المفيدة، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم لما يحبه ويرضاه ويلهمكم الخير كله.

محمد نجيب باكير

باب النصر - تراب الغرباء - المختار

حلب - سورية

التحرير:

نشكر لك هذا الاهتمام باقتناء مجلتك «الفيصل»، ولكثرة الرسائل التي ترد إلينا والتي يطلب أصحابها أعداداً قديمة من المجلة رأينا أن نعتذر عن تلبية مثل هذه الطلبات؛ لأنه لا طاقة للمجلة بتلبيتها. كما أنه لا مجال للتفرقة بين الإخوة القراء.

لذا نعتذر لك، ويمكنك الحصول على ما تريد من أعداد المجلة من خلال مراسلة قسم التوزيع والاشتراكات بالمجلة، وقيمة العدد الواحد ٨ ريالات.

أما اقتراحاتك فهي جميلة، وتستحق النظر، ونأمل أن نتمكن من تنفيذها، ونأمل أن تكون «الفيصل الصغير» حقيقة في المستقبل.

الإعجاز العلمي في القرآن

يطيب لي أن أبعث بجزيل الشكر وبالغ التقدير لكل العاملين على إصدار مجلة «الفيصل» نبع الثقافة الإنسانية والثقافة العربية الأصيلة، ففي كل شهر تطل علينا مجلتكم الرائدة والرائعة وهي تحمل بين طياتها أجمل المعاني، وخلاصة العلوم، وفرائد الأدب، وكل ما هو جديد في شتى بقاع المعمورة.

كما أن لدي اقتراحاً أرجو أن ينال الرضا والقبول منكم، وهو أن يكون في المجلة باب بمسمى «استراحة العدد».

كذا أشير إلى ملاحظة مهمة، وهي أن تقوم المجلة بنشر أبحاث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

عبده حسن يحيى راجح

مكتب بريد معين - ص.ب ١٤٠١٢

صنعاء - الجمهورية اليمنية

التحرير:

نشكر لك هذا الإطراء، ونفيدك أن «استراحة العدد» من الأبواب التي تم الاستغناء عنها في مرحلة التطوير، ونلفت انتباهك إلى أن المجلة تهتم كثيراً بالدراسات الإسلامية في كل الميادين، ولا شك أن الأبحاث الخاصة بالقرآن الكريم في مقدمتها، ويمكن التأكد من ذلك بمراجعة سريعة لأعداد المجلة.

قصة مؤثرة!!

في البداية أرفع قلمي المتواضع لأكتب إلى هذه المجلة «مجلة الفيصل» هذه الكلمات التي أعبر فيها عن مدى إعجابي بها، وذلك لاحتوائها على موضوعات متعددة.

أنا عبدالباسط حشايشي عمري ١٨ سنة، وأسكن بقرية صالح باي في ولاية سطيف الجزائرية، وقد طالعت هذه المجلة التي حصلت عليها بطريقة صعبة، وأعجبني فيها ركن القصة القصيرة، وأحيطكم علماً أنني من هواة القصة القصيرة ولم تتح لي الفرصة حتى أنشر بعض القصص في المجلات لعدم توافر العناوين ولأسباب أخرى. لذا أطلب منكم طلباً وأرجو ألا تخيبوا ظني، وهو أن أرسل إليكم القصة المؤثرة الوحيدة التي كتبتها لنشرها بمجلتكم، وأن ترسلوا لي العدد الذي ستنشرون فيه هذه القصة.

التحرير:

نشكر لك حسن ظنك بالمجلة، ونرحب بتلقي قصتك، ولكن - كما يعلم جميع الإخوة القراء - فإن هناك معايير تلتزمها المجلة، وينبغي إخضاع كل مادة لهذه المعايير حتى يتحدد موقفها من النشر.

ونأمل أن تكون قصتك على المستوى الذي يؤهلها للنشر، ولعل وجود أسماء جديدة في عالم الإبداع القصصي في كل عدد من المجلة دليل على أن «الفيصل» لا تنظر إلا الاسم بقدر ما تنظر إلى العمل ومدى أهليته للنشر.

نفع وفائدة

تحياتي السرمدية إلى جميع الأقلام التي تمدّ عقولنا بالفكر المتنوع على صفحات هذه المجلة الرائعة اليانعة دائمًا... أتمنى من الله عز وجل أن تقبلوني صديقًا لمجلة الفيصل الثمينة، والتي بين يدي الآن عددها رقم (٣٠٥) الزاخر بالموضوعات الجيدة والمفيدة في الوقت نفسه، ولكي لا أكون مبالغًا أقول لك: إن بداية تعرفي إلى مجلة الفيصل بدأت بهذا العدد (٣٠٥) الذي قرأته ووجدت فيه نفعًا كبيرًا وفائدة.. وبعد أن قرأته قررت أن أكتب إليكم لكي أعبر لكم عن مشاعري تجاه مجلة الفيصل التي أتمنى لها المزيد من التطور والنجاح، وأتمنى أن أجد القبول والترحيب لكي يتسنى لي أن أكتب إليكم مساهماتي سواء أكانت شعرًا أم قصة قصيرة أم مقالة.

رمضان إبراهيم بشير
مركز دشنا - أبو دياب شرق
محافظة قنا - ص.ب ٨٣٦٩٥ - مصر

التحرير:

مرحبًا بك صديقًا للمجلة، ونرحب بإسهاماتك في المجالات التي أشرت إليها، ونأمل أن تجد طريقها إلى النشر في إطار الضوابط والمعايير التي تلتزمها المجلة.

ونرحب بكل مشاركات الإخوة القراء من كل أنحاء العالم.

ردود سريعة

الأخ بلال فايد عمر إبراهيم - صنعاء - اليمن:

نفيدك أن المجلة مهتمة بالرد على جميع ما يصل إليها من الرسائل، ولا يسلم الأمر من خطأ أو سهو كما تعلم، وسيأتيك رد وافٍ على رسالتك.

الأخت عائشة بنت منير - تونس:

لا نرى في اقتراحك ما يستحق هذا الاهتمام من المجلة حتى تصري على أن يتم التركيز فيه. ولا ندري هل أنتِ جادة فيما تطرحين أم أنه للتسلية.

وعمومًا هناك قضايا مصيرية على الأمة أن تهتم بها بدلاً من هذا الذي ذهبت إليه من غير سند أو دليل.

الأخ سعد الدين بو طمين - ص.ب ٧٠٥ ق.ر - قسنطينة - رمز بريدي ٢٥٠٠٥ - الجزائر:

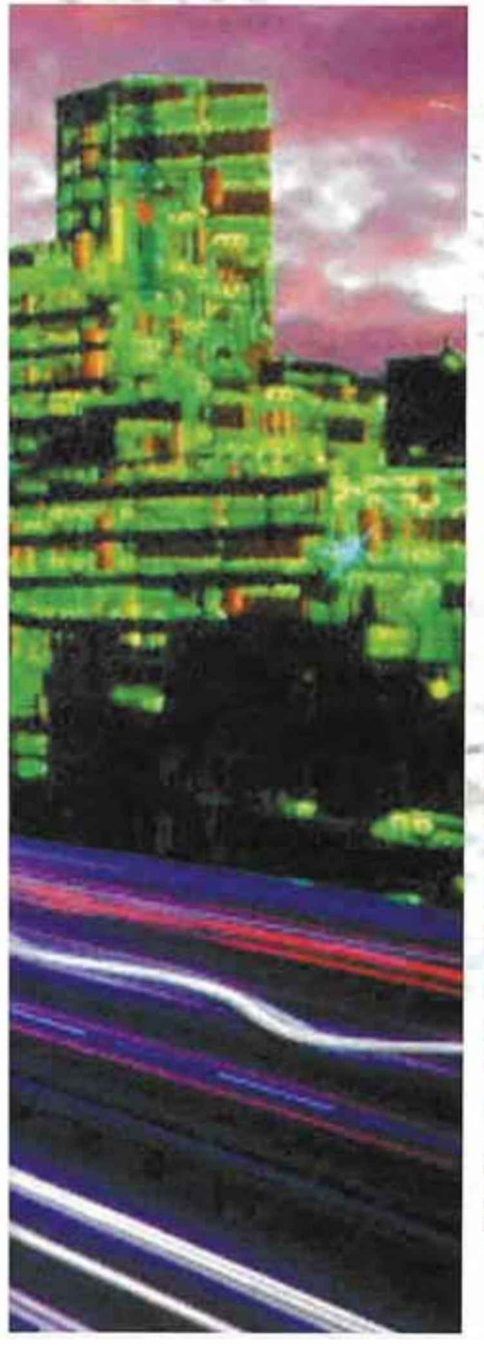
ننشر عنوانك كاملاً، ونوضح للإخوة القراء رغبتك في الحصول على كتب ومجلات في الأدب والتاريخ الإسلامي، ولاسيما الفترة العباسية، إلى جانب بعض الأشرطة السمعية البصرية المتعلقة بالسيرة النبوية الشريفة، وقصص من القرآن الكريم، لعل هناك من يستطيع أن يساعدك على تحقيق رغبتك.

ونشير إلى أن زاوية «بين القارئ والقارئ» لم تعد بين أبواب المجلة.

الأخ وليد محمد سعيد تارع - تعز - اليمن:

نشكر لك رأيك في المجلة، ويمكنك أن تحقق رغبتك في الحصول على أي عدد من أعداد المجلة من خلال مراسلة قسم التوزيع والاشتراكات بالمجلة، وإرفاق شيك بقيمة الأعداد التي تحتاج إليها، علما بأن سعر العدد الواحد ثمانية ريالات.

العمل إلكترونياً ومسألة أمن المعلومات



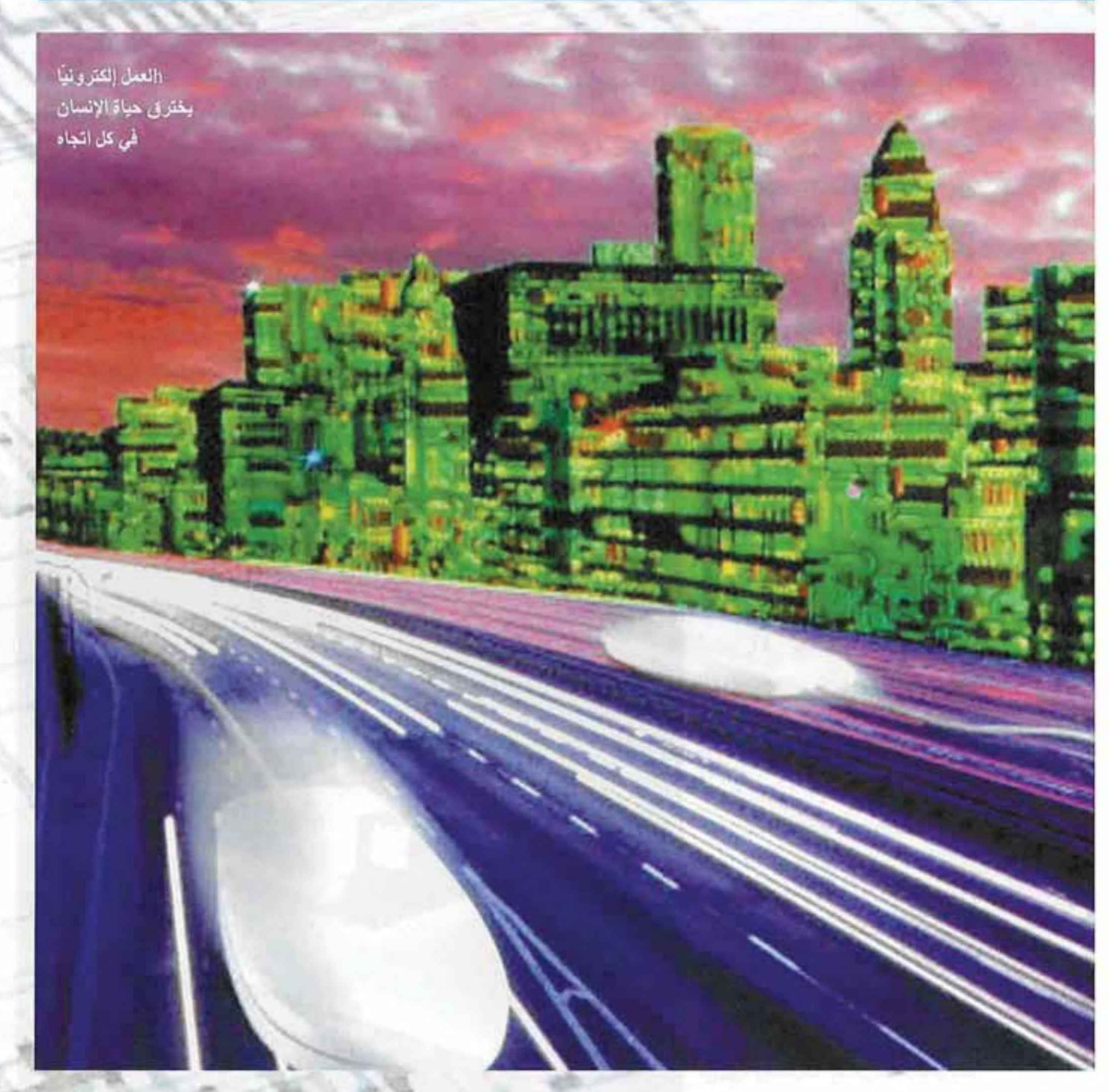
سعد علي الحاج بكري
الرياض - السعودية

يرمي العمل إلكترونيا، في مختلف المجالات، إلى تنفيذ الأعمال بكفاءة أفضل، وتقديم النتائج بنوعية أعلى، وفتح آفاق جديدة للعمل والإنتاج في المستقبل. لكن معيار نجاح العمل إلكترونيًا وتحقيقه للانتشار الذي ينشده هو مستوى أمن المعلومات الذي يمكن أن يقدمه، خصوصًا بالنسبة إلى التطبيقات الحساسة. من هذا المنطلق يأتي هذا المقال ليطرح مسألة أمن العمل إلكترونيا والأسس الدولية المعتمدة لأمن المعلومات، وليستعرض أيضًا الأخطار التي تهدد هذا الأمن، وليناقش بعد ذلك أساليب الحماية التي ينبغي أخذها في الحسبان لمواجهة الأخطار.



أمن العمل إلكترونيًا

لم يعد العمل إلكترونيًا مجرد أفكار ونظريات مطروحة للحوار ولاحتمالات التطبيق في المستقبل، بل بات حقيقة واقعة بدأت تنتشر وتتوسع أفقيًا في شتى المجالات، وتتدعّم عموديًا بالمزيد من التحديث والإمكانات الجديدة. فالعمل إلكترونيًا موجود في المعاملات الحكومية، ويحمل لقب الحكومة الإلكترونية، وفي التجارة يُطلق عليه التجارة الإلكترونية، وفي الإدارة، والتعليم، والخدمات الصحية، وفي الخدمات الإعلامية والنشر، والخدمات المصرفية، وغيرها، وكلها أضافت صفة الإلكترونية إلى معاملاتها عبر شبكات



العمل إلكترونياً يخترق حياة الإنسان في كل اتجاه

المعلومات الخاصة، وعبر شبكات المعلومات العامة، وعلى رأسها شبكة الشبكات الدولية «الإنترنت»(١). ولاشك أن التحول الذي نشهده نحو العمل إلكترونياً لم يأت من فراغ، بل جاء بسبب ما يعطيه هذا العمل من فوائد تؤدي إلى رفع كفاءة أداء الأعمال المختلفة، وإلى تحسين نوعيتها، وتعزيز التكامل مع الآخرين، وفتح آفاق جديدة للعمل والإنتاج. ولعل من أهم معضلات العمل إلكترونياً مسألة أمن المعلومات، بمعنى أمن المعاملات والوثائق التي يجري حفظها وتطبيق إجراءات المعالجة والنقل عليها إلكترونياً لتنفيذ متطلبات هذا العمل.

ولأن الأمن في حياة الإنسان مرافق للثقة، فإن ضعف هذا الأمن في مجال العمل إلكترونياً ضعف للثقة به، وحاجز أمام احتمالات تطوره وتوسعه في المستقبل. على هذا الأساس جاء الاهتمام بمسألة أمن العمل إلكترونياً، وذلك كي يكون هذا العمل آمناً وأهلاً لثقة مستخدميه، مما يتيح له صفة التطور والانتشار.

ولأن أمن المعلومات في مجال العمل إلكترونياً يقتضي الثقة بالمعلومات وبشكلها الإلكتروني المحفوظ أو المتحرك داخل الأنظمة الإلكترونية، فإن هذا الأمن لا يقع فقط ضمن حدود المعلومة وهوية أطرافها، بل يمتد إلى الأنظمة الإلكترونية التي تحملها، وإلى مستخدمي هذه الأنظمة من أشخاص ومؤسسات. ويمتد أمن المعلومات أيضاً إلى بيئة العمل بما يشمل تأثيرات البيئة الطبيعية على الشكل الإلكتروني للمعلومات، وتأثيرات البيئة المهنية أو الإدارية في مضمون هذه المعلومات.

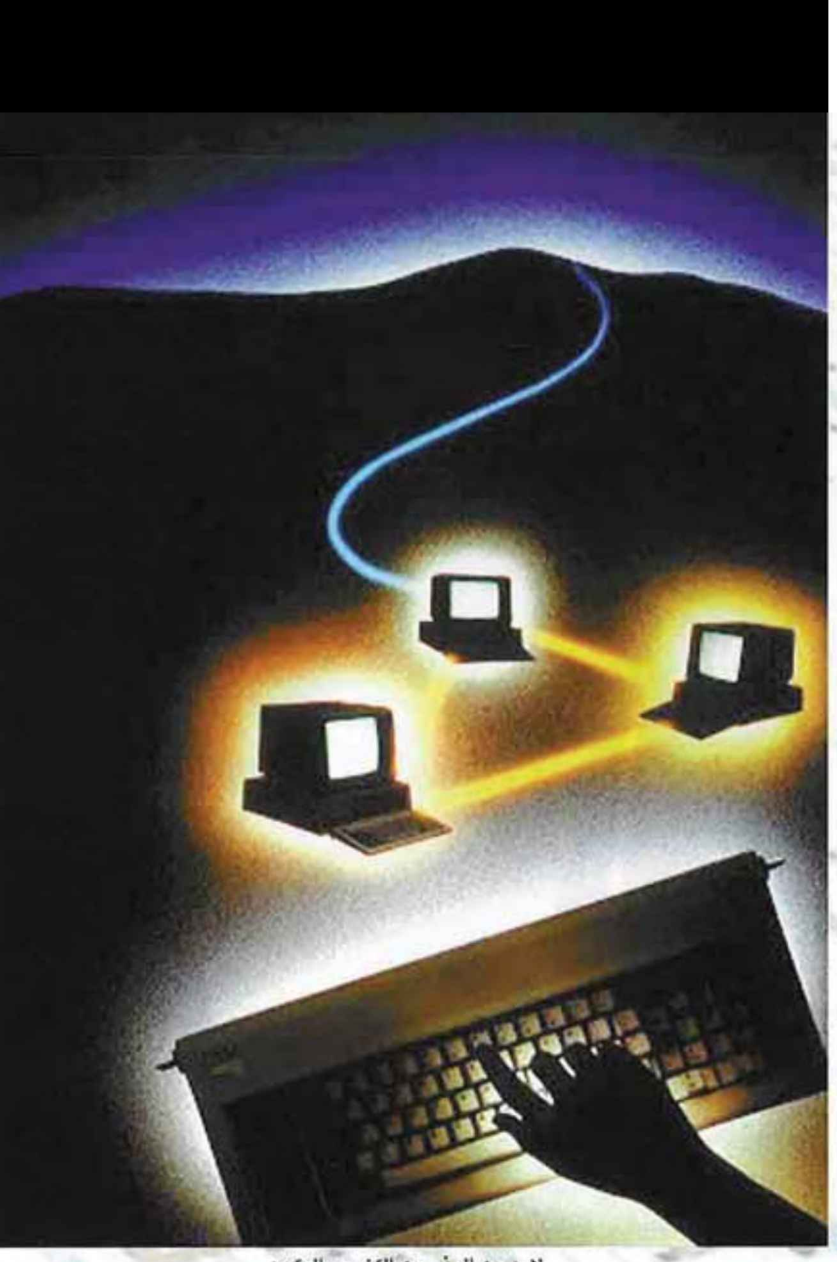
وللأنظمة الإلكترونية ومستخدميها وبيئة العمل بين مُرسل المعلومة ومُستقبلها عناصر متعددة تعتمد على امتداد المسافة بينهما. وفي هذا الإطار هناك أربع دوائر رئيسة للعمل إلكترونياً:

أولاها: دائرة العمل المحلي الخاص، في إطار شبكة خاصة تربط بين مستخدمين ينتمون إلى مؤسسة معينة، وتُعرف «بالإنترانت».

وثانيتها: دائرة العمل مع المساهمين والمشتركين والزبائن المرتبطين بالمؤسسة، وتُعرف بدائرة شبكة «الإكسترانت».

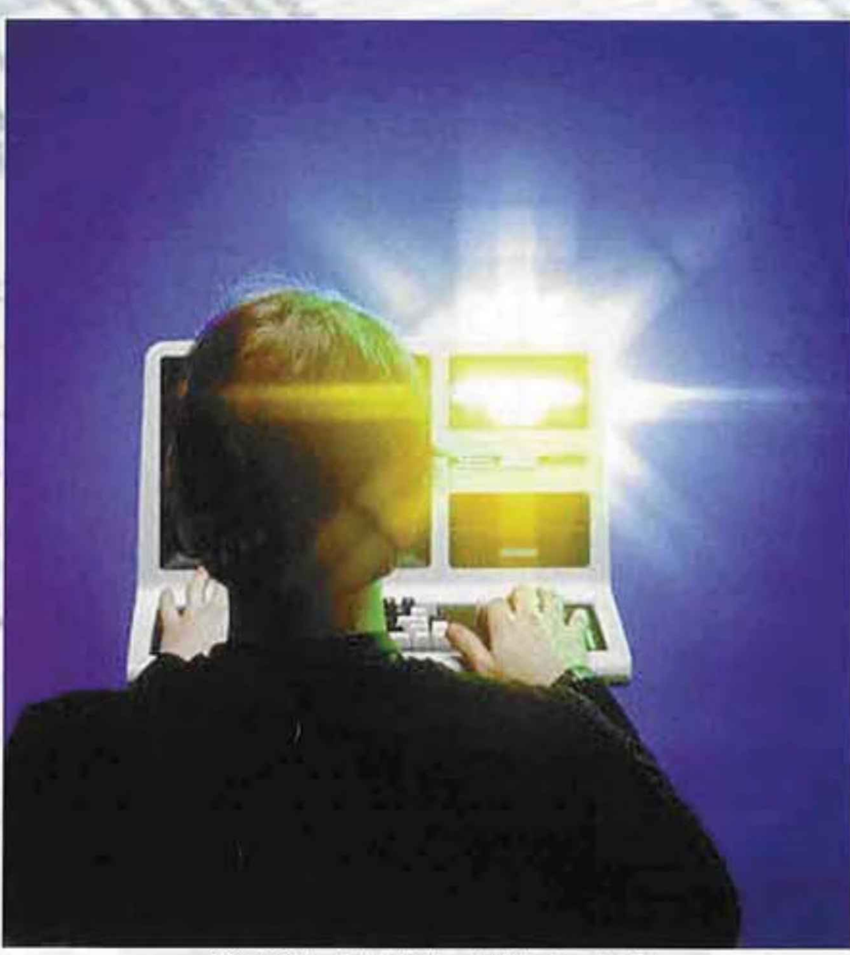
وثالثتها: دائرة العمل العام، ضمن الإطار الوطني، وتُعرف بدائرة «الإنترنت الوطنية». وأخيراً الدائرة المحيطة بجميع الدوائر، ألا وهي دائرة العمل العام على المستوى الدولي، وتُعرف بدائرة «الانترنت الدولية».

على أساس ما سبق يمكن القول: إن مصادر تحدي أمن المعلومات تشمل نطاقاً واسعاً من العناصر. بعضها تقني يرتبط بالأنظمة



لا بد من الحذر من التخريب المتعمد

المستخدمة، بما في ذلك أجهزتها الإلكترونية وبرامجها. وبعضها إنساني يتعلق بالمستخدمين، بما في ذلك مرسلو المعلومات ومستقبلوها. وبعضها مؤسساتي يتعلق بالمؤسسات المتنافسة التي قد ينتمي إليها المستخدمون. وبعضها بيئي ينتمي إلى كلٍّ من البيئة الطبيعية المحيطة بالأنظمة المستخدمة، والبيئة الإدارية أو المهنية للعمل. ويمكن مما سبق القول أيضاً: إن حماية أمن المعلومات من مصادر الخطر السابقة الذكر تتضمن محورين اثنين: محوراً مباشراً يرتبط بحماية المعلومة ذاتها وحماية هوية أطرافها، ويشمل مرسلها ومستقبلها، ومحوراً غير مباشر يتعلق بحماية الأنظمة المستخدمة، ويتضمن حماية الأجهزة الإلكترونية، والبرامج الموجودة فيها، والمعلومات المرتبطة بها.



الإنسان وولع بالتعامل مع التقنيات المعلوماتية الحديثة

الأسس المعيارية

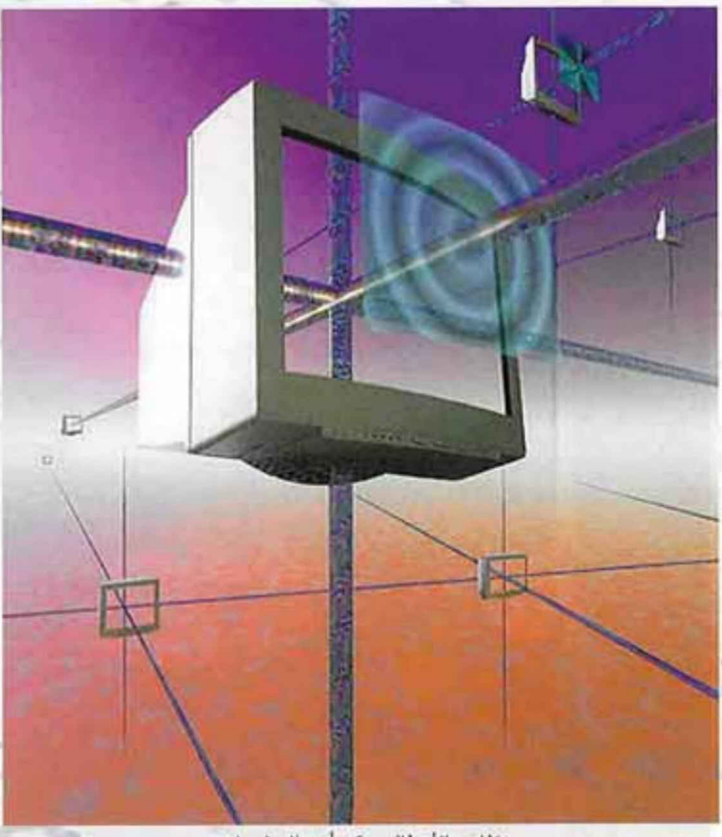
قامت المنظمة الدولية للمواصفات المعيارية بتعريف مصطلح «أمن الأنظمة الحاسوبية» على أنه «إجراءات الأمن التقنية والإدارية التي يجري تطبيقها على هذه الأنظمة، من أجل حماية أجهزتها الإلكترونية، وبرامجها الحاسوبية، وما تحتويه من معلومات، من أخطار التخريب والكشف، المقصودة منها و غير المقصودة». وقد ورد هذا التعريف في مواصفة «مفردات معالجة المعلومات» (٢). وبنظرة تحليلية إلى هذا التعريف نجد أنه يحدد هدف الحماية على أنه «الأجهزة الإلكترونية، والبرامج الحاسوبية والمعلومات». والحقيقة أنه لا يمكن ضمان أمن المعلومات بشكلها الإلكتروني داخل الأنظمة الحاسوبية دون ضمان أجهزة هذه الأنظمة وبرامجها الحاسوبية. وهنا يتكامل مبدأ الحماية المباشرة للمعلومات مع مبدأ الحماية غير المباشرة.

ونجد في التعريف السابق كذلك أن الخطر على أمن المعلومات ليس بالضرورة خطأ مقصوداً، بل ربما يكون هذا الخطأ غير مقصود. وهذا ما يمكن أن يصدر عن المستخدمين وعن البيئة. ونرى في التعريف أيضًا أن الأثر المطلوب مواجهته أو الحماية ضده هو أثر تخريبي أو أثر يؤدي إلى كشف المعلومات التي يجب أن تكون سرية وغير متاحة للآخرين. ويشير التعريف إلى أن وسائل الحماية ليست فقط تقنية، بل إدارية أيضًا. إذا كان التعريف المعياري السابق يشمل كلاً من الحماية المباشرة والحماية غير المباشرة للمعلومات، فإن المنظمة الدولية للمواصفات المعيارية ركّزت كذلك في الحماية المباشرة. وقد جاء ذلك من خلال تحديدها هدفين اثنين لأمن المعلومات: أحدهما يرتبط بالمعلومات ذاتها، ويتعلق

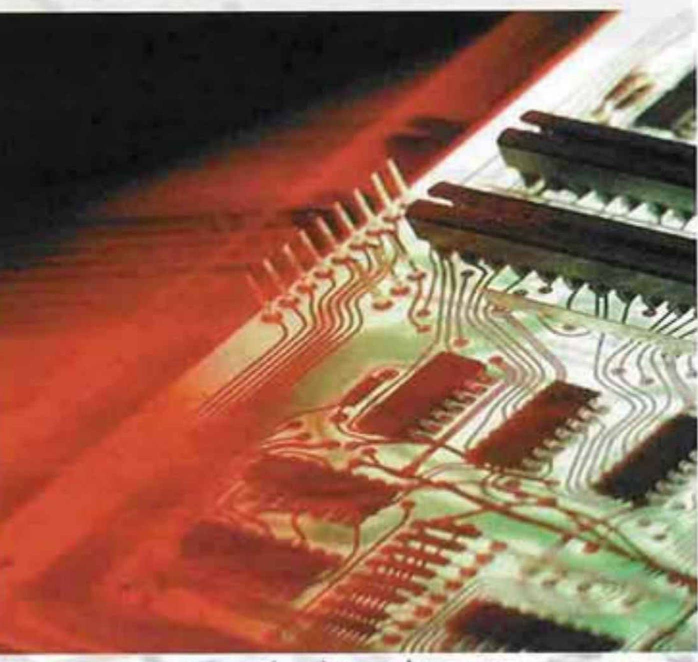
الثاني بأطرافها، أي: مرسلها ومستقبلها(٣).
ويقضي الهدف الخاص بالمعلومات ذاتها بأن الحماية يجب أن تشمل عدم حدوث فقدان، أو تكرار، أو تعديل، أو كشف للمعلومات، بما يضمن صحتها وتكاملها من ناحية، ويحقق سريتها من ناحية ثانية. أما الهدف الخاص بأطراف المعلومات فيقضي بضرورة تحديد كل من هوية المرسل وهوية المستقبل، وهذا ما يتطابق مع مبدأ التوقيع، وربما الختم، عند كل من الإرسال والاستقبال.
وتراعي المعطيات الحديثة لأمن المعلومات في تطبيقات العمل إلكترونياً، ما سبق من توصيات معيارية دولية.

مصادر الخطر

ترتبط مصادر الخطر، كما ذكرنا سابقًا - بعوامل متعددة تشمل التقنية المستخدمة، والإنسان، والمؤسسات، إضافة إلى البيئة.
- في مجال التقنية، فإن أخطارها على أمن المعلومات تكمن في الأعطال التي تحدث فيها، أو ربما عدم قدرتها على تنفيذ الأعمال المطلوبة، لأسباب تعود إلى تصميمها، أو اختيارها، أو إدارتها.
- وفيما يتعلق بالإنسان فإن عدم الوعي، أو قلة التدريب، أو أسلوب العمل غير المناسب، كل ذلك يمكن أن يؤدي إلى أخطاء غير مقصودة تشكل خطراً على أمن المعلومات.
- وفيما يرتبط بالإنسان أيضاً فقد يكون هناك مخربون يقصدون التخريب، ربما بواسطة فيروسات حاسوبية، أو يعملون على كشف معلومات الآخرين، ربما بواسطة السرقة أو بتحليل المعلومات السرية، وذلك من أجل استغلال هذه الأعمال لمآرب خاصة.
- وفيما يتعلق بالإنسان كذلك، فإن بعض أطراف التعامل مع المعلومات ربما تُنكر بعض الاتفاقات أو الوثائق التي تمت إلكترونيًا لأسباب



تفادي الأعطال يحقق أمن المعلومات



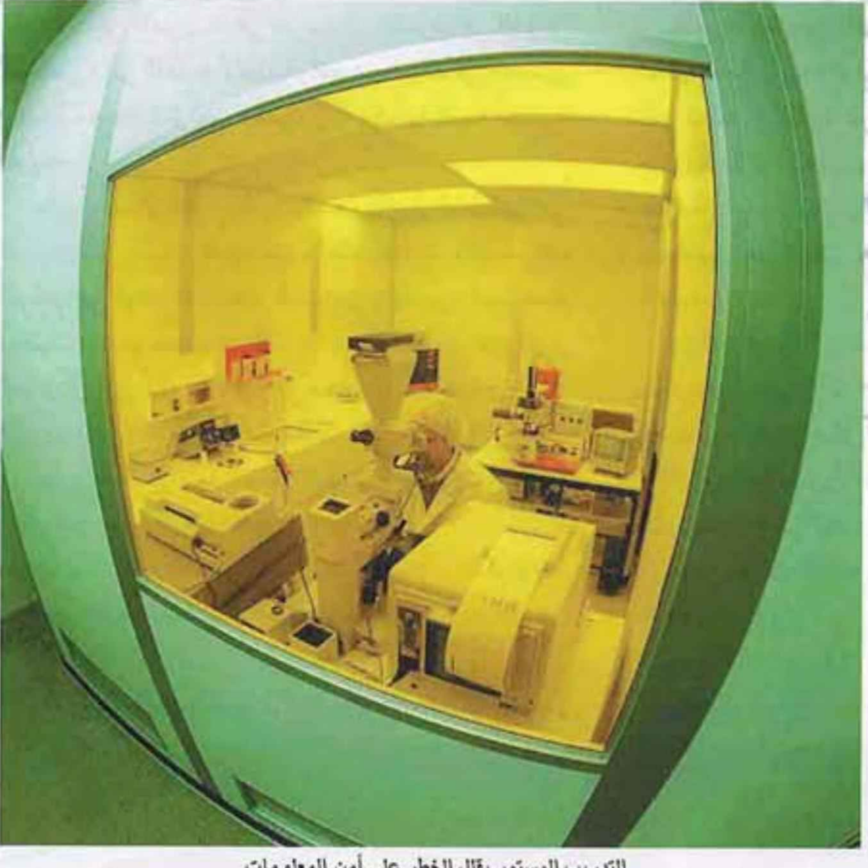
التشفير من أسس حماية سرية المعلومات

طارئة، إن لم تكن مثل هذه الاتفاقات موثقة بالقدر المطلوب.

- ولعل ما يرتبط بالإنسان يرتبط أيضًا بالمؤسسات، فهناك في المؤسسات أيضًا معضلات اختيار التقنية وإدارتها. وهناك أيضًا المؤسسات المتنافسة التي ربما تتجسس بعضها على بعض أو تنكر بعض الاتفاقات.

- ثم هناك ما يتعلق بالبيئة، ففي البيئة الطبيعية هناك الحرارة والتشويش على المعلومات بسبب بعض الآثار الطبيعية، وهناك أيضًا احتمالات أخطار الزلازل والحرائق، والأعاصير وغير ذلك.

- وفي إطار البيئة المهنية والإدارية هناك تشريعات العمل وأساليبه. وقد يؤدي ذلك طبقًا لطبيعته إلى زيادة الأخطار، أو إلى نقصانها.



التدريب المستمر يقلل الخطر على أمن المعلومات

الحماية المباشرة

ترتبط الحماية المباشرة - كما أسلفنا - بحماية المعلومات ذاتها، وكذلك حماية هوية أطرافها، أي: مرسلها ومستقبلها.

وفي هذا الإطار فإن الحاجة إلى الحماية المباشرة تتلخص بما يأتي، كما هو موضح في الجدول(١)(ص:١٣).

- حماية محتوى المعلومات من التشويش الناتج من البيئة الطبيعية المحيطة بالأنظمة المستخدمة.

- حماية سرية المعلومات من الكشف الذي قد يقوم به مستخدمون، ربما ينتمون إلى مؤسسات منافسة، وذلك بهدف استغلال هذا الكشف لمآرب خاصة.

- حماية هوية المُرسل وتوثيقها.

- حماية الاتفاقيات التي تتم إلكترونيًا من «إنكار» أحد الأطراف.

- توثيق الأطراف المتعاملة إلكترونيًا بشكل قانوني.

تعتمد أسس حماية محتوى المعلومات من التشويش على أنظمة كشف الأخطاء والعمل على تصحيحها. ويرتبط مبدأ عمل هذه الأنظمة بإضافة معلومات اختبارية إلى المعلومات الأصلية، غايتها اختبار صحة **المعلومات الأصلية. ويأتي التصحيح إما بطلب إعادة الإرسال، وإما بإضافة معلومات أخرى تصحيحية إلى جانب المعلومات** الاختبارية تستطيع تصحيح الأخطاء **دون إعادة** إرسال.

وترتبط أسس حماية سرية المعلومات بما يُعرف بمبادئ **«التعمية»**، بمعنى تعمية الآخرين عن المعلومات السرية. **وتُعرف** هذه المبادئ أيضًا «بالتشفير»، أي: وضع رموز **خاصة** للمعلومات معروفة فقط لأطرافها. ومما تجدر **الإشارة إليه** أن «التشفير» ككلمة معربة عن الإنجليزية، **بمعنى «**وضع الرموز»، تعود إلى أصل عربي يرتبط **بالصفر أو** بالاشتقاق من الصفر، معيار الأعداد الحسابية **التي تُستخدم** في وضع الرموز. وقد انطلقت هذه الكلمة

«صفر» من العربية، في عز نهضة العرب في القرون الوسطى، إلى اللغات الأجنبية، لتعود بعد ذلك في العصور الحديثة، عند كبوتهم، «شيفرة» وكأنها كلمة أجنبية غريبة.

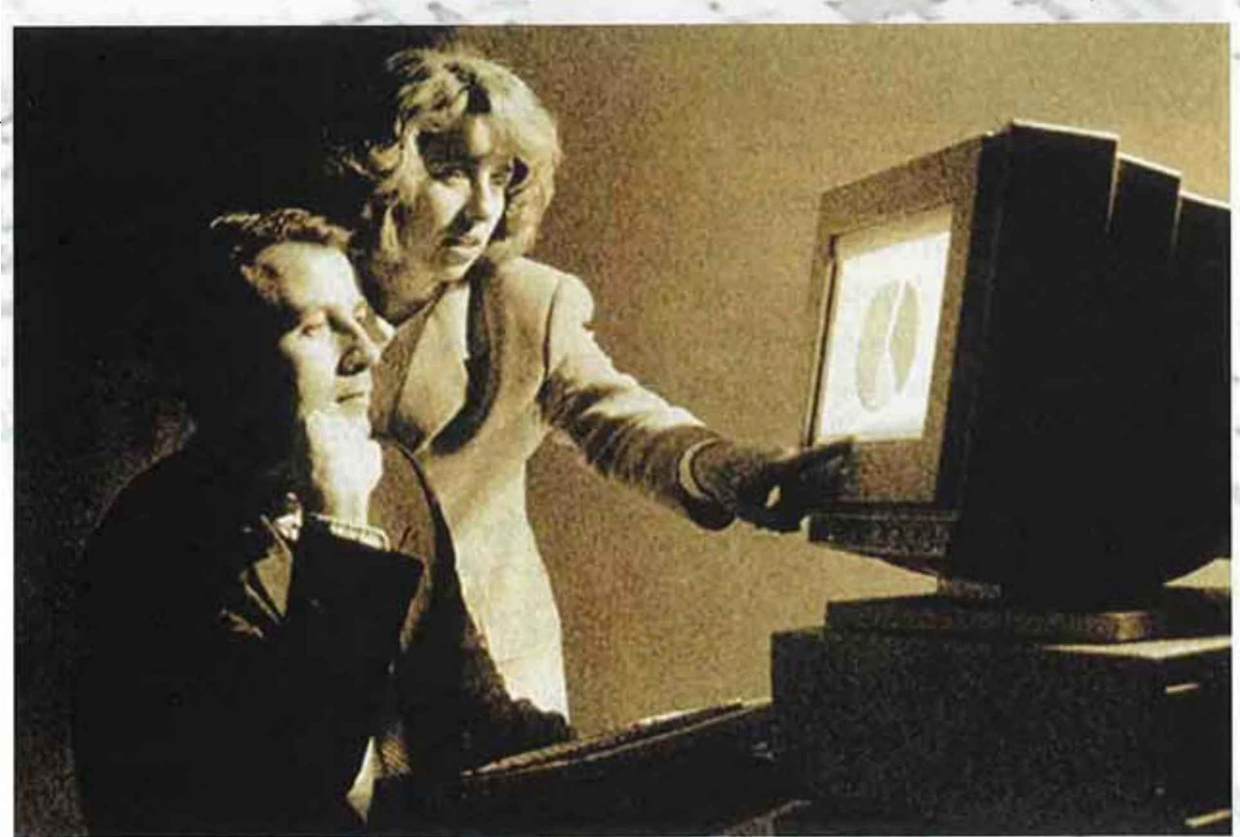
على أية حال فإن مبادئ «التعمية» أو التشفير هي المبادئ التي تستند إليها سرية المعلومات. وتنقسم هذه المبادئ في الوقت الحاضر قسمين رئيسين: قسم قديم ومتجدد، وقسم حديث تم اكتشافه في السبعينيات من القرن العشرين على أيدي باحثين في معهد ماساشوستس التقني المعروف بين أفضل الجامعات التقنية في العالم(٤). وكثيراً ما يجري استخدامهما معاً بشكل متكامل لخدمة سرية المعلومات، وتوثيق هوية أطرافها(٥).

ـ يعتمد القسم القديم والمتجدد على استخدام نظام ترميز سري، يُعرف «بالمفتاح السري» معروف فقط لكل من المرسل والمُستقبل دون أي طرف آخر.

ـ أما القسم المُكتشف حديثاً فيعتمد على تحليلات رياضية تربط بين مفتاحين: أحدهما سري، والآخر علني أو عام تملكهما مؤسسة واحدة. السري معروف فقط للمؤسسة التي تملكه، تُرسل أو تستقبل باستخدامه. والعلني أو العام معروف للجميع يتلقون الرسائل الصادرة من المؤسسة المعنية عليه، أو يرسلون الرسائل إليها باستخدامه، إذ لا يستطيع أحد كشف مثل هذه الرسائل سوى المؤسسة المعنية.

وبواسطة مبادئ «التعمية» السابقة الذكر جرى تصميم نظام «التوقيع الإلكتروني» لتوثيق هوية المرسل، كما تم تصميم نظام «الختم الزمني» لتجنب «إنكار المعاملات الإلكترونية». وجرى أيضاً وضع نظام «بنية المفتاح العام» الذي يعتمد على التعمية من جهة، وعلى إجراءات قانونية من جهة أخرى، لتوثيق الأطراف أو المؤسسات التي تعمل وتتعامل إلكترونياً مع الآخرين(٦).

ويورد الجدول (١) هذه الأنظمة ودورها في حماية المعلومات، وتوثيق هوية أطرافها.



دقة وانتباه.. أساسان مهمان للتعامل مع المعلومات إلكترونياً



ضغطة زر قد تسبب أخطاراً لا حدود لها!

الجدول(١): الحماية المباشرة لأمن المعلومات: المعلومات وهوية الأطراف	
الحماية المطلوبة	**الحل**
المحافظة على محتوى المعلومات من التشويش الناتج من البيئة.	أنظمة اختبار تكامل المعلومات وتصحيحها.
المحافظة على سرية المعلومات من محاولات كشفها من قبل مستخدمين آخرين، ربما ينتمون إلى مؤسسات منافسة.	أنظمة «التعمية» (التشفير): - نظام المفتاح السري. - نظام المفتاح العام.
توثيق هوية المُرسل.	- نظام التوقيع الإلكتروني.
توثيق الإجراءات: عدم إنكار الإجراءات بين أطراف التعامل.	نظام الختم الزمني.
توثيق أطراف العمل إلكترونياً.	نظام بنية المفتاح العام: إصدار شهادات توثيق إلكترونية لأطراف العمل إلكترونياً.

الرجاء.. الانتباه!

الحماية غير المباشرة

تتعلق الحماية غير المباشرة كما ذكرنا سابقاً، بحماية الأنظمة المستخدمة، التي تنفذ عمليات التخزين والمعالجة والنقل للمعلومات، من الأخطار الواردة أعلاه. وعلى هذا الأساس فإن الحاجة إلى الحماية غير المباشرة تتلخص بما يأتي، كما هو موضح في الجدول (٢) ص: ١٦:

ـ حماية موثوقية المكونات التقنية المستخدمة.

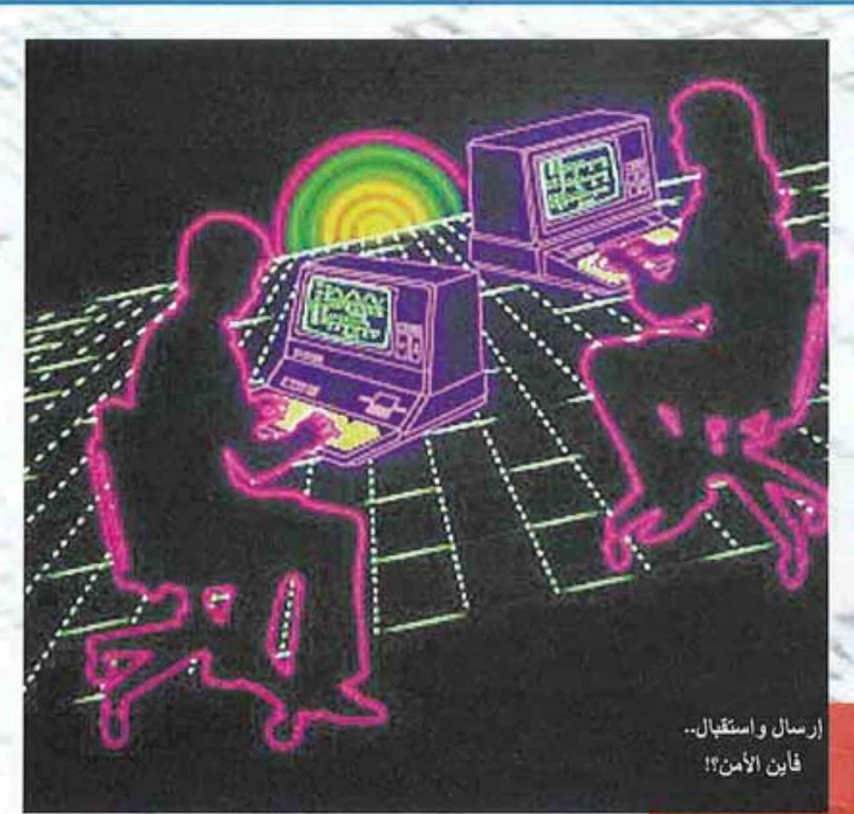
ـ حماية موثوقية عمل المؤسسة، وموثوقية المستخدمين.

ـ الحماية من الفيروسات.

ـ الحماية من أخطار البيئة والحالات الطارئة.

ـ الحماية من أخطار البيئة الإدارية.

في مجال حماية موثوقية المكونات التقنية يجب التنبه على مسألتين مهمتين: تتعلق أولاهما باختيار هذه المكونات، وترتبط



إرسال واستقبال..
فأين الأمن؟!

الثانية بإدارة تشغيلها.

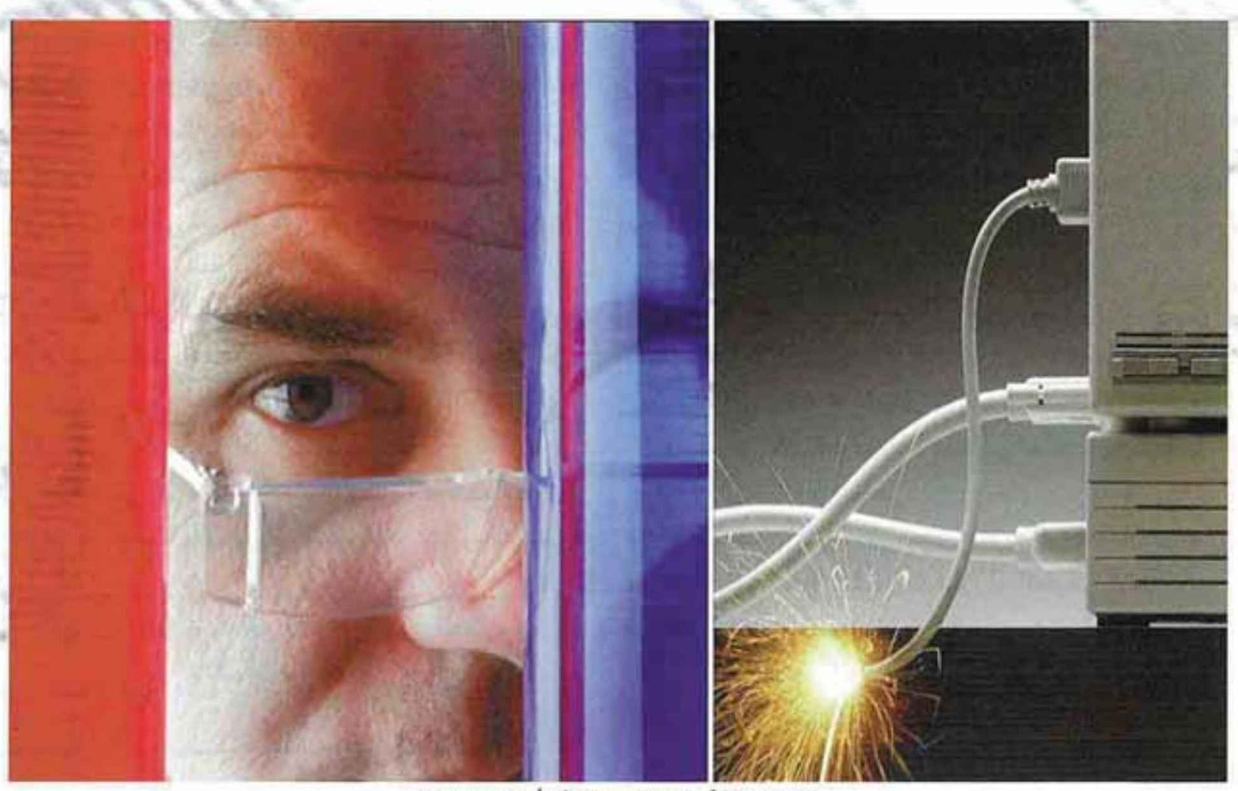
في مسألة الاختيار يجب أولاً اختيار المكونات التقنية التي تناسب العمل المطلوب، ويستحسن أن تكون قد خضعت لاختبارات مسبقة. ويجب كذلك اختيار المكونات ذات الجودة العالية، خصوصاً أن أنظمة العمل إلكترونياً تبقى عاملة على مدار الساعة.

وفي مسألة إدارة تشغيل هذه المكونات يجب أخذ المعايير الدولية، والتوصيات العملية المتعارف عليها في الحسبان كي يجري تنفيذ الأعمال الإلكترونية على أفضل وجه ممكن(٧).

وفيما يتعلق بموثوقية عمل المؤسسة، وموثوقية المستخدمين، على الأقل في إطار دائرتي «الإنترانت والإكسترانت» السابقتي الذكر، ينبغي الاهتمام بثلاث مسائل مهمة:

أولاها: السعي إلى جعل أنظمة عمل المؤسسة وإجراءاتها تتناسب مع متطلبات العمل إلكترونياً.

وثانيتها: الاهتمام بالتوعية، و منح الثقة



الإنسان والآلة عنصران مهمان في أمن المعلومات؟

للمستخدمين على أساس شخصياتهم وإمكاناتهم، خصوصاً بالنسبة إلى النفاذ إلى المعلومات الحساسة. أما المسألة الثالثة فتكمل مسألة الثقة، وتقضي باستخدام أنظمة نفاذ متعددة المستويات طبقاً لمستويات الأمن المطلوبة.

ولعل الفيروسات الحاسوبية من أهم المعضلات الأمنية التي يجب مواجهتها، خصوصاً أن شبكات المعلومات بدوائرها الأربع السابقة الذكر تعطيها قوة الانتشار غير المرغوب فيه. والفيروسات الحاسوبية كالفيروسات الطبيعية تقوم بالتخريب والتكاثر والانتشار، وبذلك تؤدي إلى فقدان المعلومات، وتعطيل الأعمال على مدى واسع، مما يسبب خسائر كبيرة. وعلى ذلك يجب الاهتمام بمقاومتها واستخدام أفضل الأنظمة المقاومة للفيروسات للوقاية منها بكشفها والقضاء عليها مبكراً، أو لإصلاح ما يمكن أن تسببه من مشكلات إن هي لم تكشف مبكراً.

وفي مجال الحماية من أخطار البيئة والحالات الطارئة كالحرائق، والزلازل والأعاصير، وغيرها ينبغي الاهتمام بأنظمة الطوارئ. ويحظى التخطيط للطوارئ باهتمام كبير في جميع الحقول الحساسة خصوصاً السياسية والاقتصادية. فهناك أنظمة طوارئ تماثل الأنظمة القائمة، لكنها تبتعد عنها بمسافات كافية، تبقى في حالة استعداد دائم للعمل، من أجل مواجهة أي طارئ. وتستخدم مثل هذه الأنظمة للمواقع الحساسة. وهناك أنظمة طوارئ قابلة للتنقل تستطيع القيام بالوظائف الأساسية للمواقع الأقل حيوية».

أما موضوع الحماية من مخاطر البيئة الإدارية، فإن له جوانب متعددة ترتبط بمختلف نواحي العمل.

- فعلى سبيل المثال قد تتعرض الشبكة في أي جزء من أجزائها إلى زيادة في حركة المعلومات تفوق قدرتها على الاستيعاب. عند ذلك يجب استخدام أنظمة التحكم بالحركة.

- وقد تتعرض شبكة خاصة «إنترانت أو

إكسترانت»، أو ربما شبكة «إنترنت وطنية»، لوصول معلومات غير مرغوب فيها. ومثال ذلك تعرض شبكات مدرسية خاصة لمعلومات إباحية من مواقع على الإنترنت. عندئذ يجب استخدام أنظمة «حواجز المعلومات»، التي تعرف على أساس الترجمة الحرفية «بجدران النار»، لمنع مثل هذه المعلومات عن الشبكات الخاصة. ويمكن لمثل هذه الحواجز أيضاً أن تستخدم في عمليات معاكسة تمنع المعلومات الحساسة الخاصة من التسرب من الشبكات الخاصة «الإنترانت والإكسترانت»، إلى «الإنترنت».

- ويقضي الاهتمام بالبيئة الإدارية بوضع أنظمة تحدد الواجبات والمسؤوليات، وتحدد عقوبات على

الجدول(٢): الحماية غير المباشرة لأمن المعلومات: الأنظمة المستخدمة

الحماية المطلوبة	الحل
موثوقية المكونات التقنية.	مكونات تقنية عالية الجودة خضعت لاختبارات كافية، والعمل على إدارتها بكفاءة.
موثوقية عمل المؤسسة والمستخدمين.	- أنظمة و إجراءات تناسب العمل إلكترونيًا. - التوعية ومنح الثقة لمن يستحقها. - أنظمة النفاذ إلى المعلومات (المتعددة المستويات).
الحماية من الفيروسات.	- أنظمة كشف الفيروسات والتخلص منها، وحل المشكلات التي يمكن أن تسببها.
مواجهة مخاطر البيئة والحالات الطارئة. (الحرائق، الزلازل، الطوفان ..).	أنظمة طوارئ تستطيع استعادة النشاطات المطلوبة في أقصر وقت ممكن.
مواجهة مخاطر البيئة الإدارية: - ازدحام المعلومات في الشبكة. - حماية معلومات داخلية خاصة. - الحماية من معلومات خارجية ممنوعة. - وجود تشريعات رادعة.	- أنظمة التحكم بحركة المعلومات. - أنظمة حواجز المعلومات (جدران النار). - أنظمة «تشريعية» لأداء الواجبات، ومعاقبة المخالفين.

المخالفين. ويجب أن يتم ذلك على جميع المستويات «الإنترانت، والإكسترانت، والإنترنت الوطنية، والإنترنت الدولية». ولاشك أن مثل ذلك يحتاج إلى خبرات خاصة في المجالات التقنية والقانونية، وإلى تعاون دولي ووطني، وإلى توعية عامة.

الخلاصة

إذا كان العمل إلكترونيًا، في شتى المجالات، يؤدي إلى تطوير في الكفاءة وتحسين في النوعية وفتح آفاق عمل جديدة، فإن نجاح هذا العمل مرتبط بمستوى الأمن الذي يقدمه. وقد تختلف قيمة المستوى المطلوب بين خدمة وأخرى أو بين تطبيق وآخر.

ففي المجال المالي، على سبيل المثال، يكون هذا المستوى مرتفعاً للغاية، وفي المجال البحثي أو التعليمي العام يكون مستوى الأمن المطلوب أقل ارتفاعاً. ومن منطلق ضرورة فهم متطلبات أمن المعلومات في مجال العمل إلكترونيًا، والاطلاع على أساليب حماية هذا الأمن، جاء هذا المقال محاولاً الاستجابة لهذه الضرورة، وذلك في إطار التوعية العامة، وليس في إطار الدراسة التخصصية. وقد أوضح المقال أن الأخطار على أمن المعلومات متعددة المحاور وتشمل أخطاراً تقنية وإنسانية ومؤسساتية، وبيئية، وإدارية، وأن هذه الأخطار قد تكون مقصودة أو غير مقصودة. وبين المقال أيضاً أن للحماية من الأخطار أنظمة تقنية خاصة، وأنها تحتاج أيضاً إلى اهتمام إداري وقانوني، وإلى تعاون محلي ودولي.

المراجع

1- Deitel HM, Deitel PJ, Steinbuhler, e-Business and e-Commerce for Managers, Prentice-Hall, USA, 2001

2 - International Standards Organization (ISO), Dictionary of Computer Science: The Standardized Vocabulary, 1997.

3 - Branstad DK, "Considerations for security in the OSI architecture", IEEE Network Mgazine, Vol.1, No.2, pp 34-39, April 1987.

4 - Rosen KH, Elementary Number Theory and its Applications, 4th Edition, Addison Wesley, USA, 2000.

٥ - المرجع السابق Deitc HM

٦- المرجع السابق.

7-The National Computer Centre Limited, Telecommunications Management, Network Security, UK, 1992.

٨ - المرجع السابق. Worbel LA, Disaster Recovery Planning for Telecommunications, Artech House, USA, 1990.

كيف واجهت أمريكا الآثار الاقتصادية للهجوم على مركز التجارة العالمي والبنتاغون؟

فاخر عبدالستار حيدر
طرابلس - ليبيا

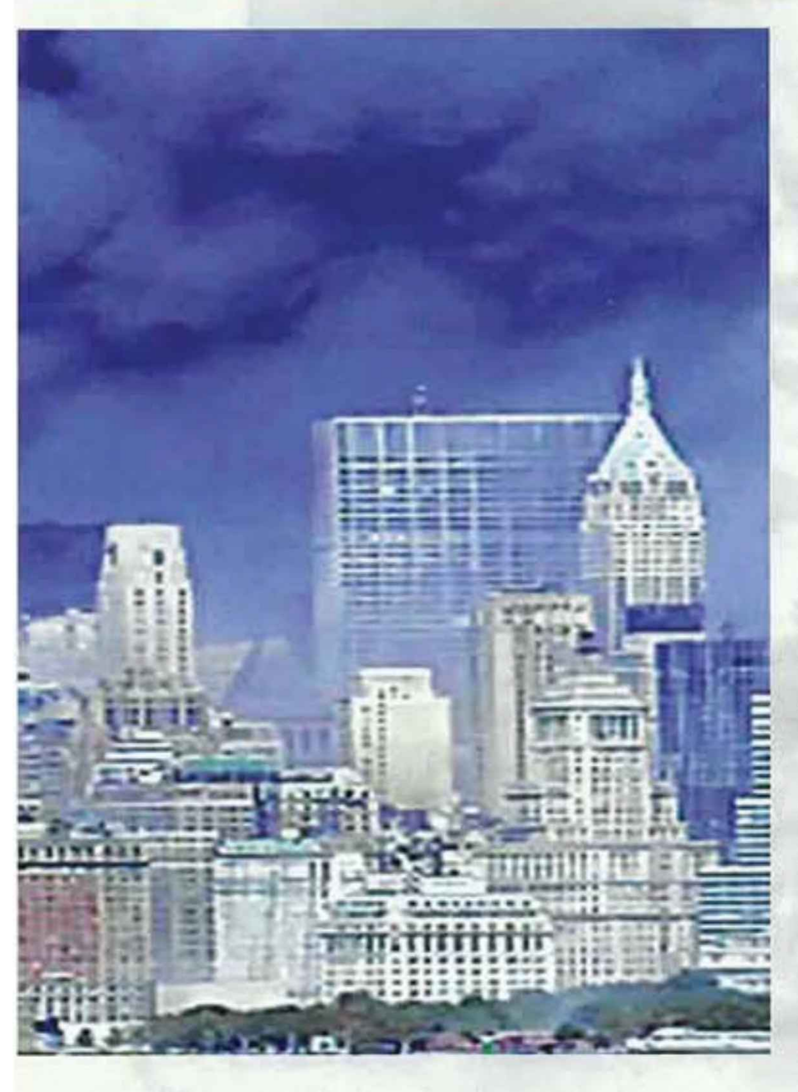
إن الهجمة التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية يوم الثلاثاء الحادي عشر من سبتمبر/أيلول من العام الماضي في مدينتي نيويورك وواشنطن قد تركت آثارًا سلبية في الاقتصاد الأمريكي الذي يعاني أصلاً من تباطؤ في النمو منذ بداية العام الماضي.

ولم تنفع وصفات البنك الاحتياطي الفيدرالي بتخفيض سعر الفائدة سبع مرات خلال تسعة أشهر في إنعاش الاقتصاد وانتشاله من مخالب الركود، بل شهدت معدلات البطالة ارتفاعًا ملحوظًا إذ بلغت ٤.٧٪ من شهر أغسطس/آب الماضي، وبذلك يودع الاقتصاد الأمريكي سنوات الرخاء لتبدأ سنوات عجافًا بعد أن شهد هذا الاقتصاد، في عهد الديمقراطيين، نمطًا جديدًا من الدورات الاقتصادية تمثلت في تزامن النمو مع معدلات منخفضة للتضخم ضاربًا بمنحنى فيلبس عرض الحائط.

إن أخطر ما في هذه الأزمة، من الناحية الاقتصادية، هو رد الفعل السلبي المحتمل من المستهلكين للسلع الأمريكية، خصوصًا إذا علمنا أن الاستهلاك يمثل ثلثي الاقتصاد الأمريكي، وأن حدة هذا الأثر السلبي سوف تتفاقم لو أحس المواطنون الأمريكيون بعجز حكومتهم عن حمايتهم من أي هجمات مستقبلية، والكشف عن الفاعلين لهذه الهجمات، وهذا ما يفسر اندفاع الإدارة الأمريكية لدق طبول الحرب ضد أفغانستان التي ستكون كبش الفداء.

تدمير البنية التحتية

إن الخسارة التي كابدها الاقتصاد الأمريكي كانت تتمثل في تدمير البنية التحتية للمؤسسات المالية العاملة في المركز التجاري العالمي ومنطقة مانهاتن المالية، إضافة إلى الخسارة الكبرى في الموارد البشرية الخبيرة من محللين وخبراء ماليين، إضافة إلى احتمال ضياع بعض المعلومات والبيانات المتعلقة بالاستثمارات، على الرغم من أن هذه المؤسسات قد أعلنت، وهذا شيء طبيعي، أنها تحتفظ بنسخة من هذه المعلومات في مكان آخر.



وكان رد فعل المستثمرين سريعًا، فقد بدأ اتجاه نحو شراء السندات الحكومية والذهب والسلع الأخرى بدلاً من الأسهم والدولار، مما سبب انخفاضاً في قيمته تجاه اليورو، وهذا أمر طبيعي سبق حدوثه عندما تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الهجوم الياباني في بيرل هاربر في السابع من ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٤١م، فشهدت أسعار الأسهم في بورصة نيويورك انخفاضاً بنسبة ٥٪.

أمام هذا الأمر اتخذت الحكومة الأمريكية قراراً سريعًا يعدّ من أهم القرارات التي اتخذت في مواجهة هذه الأزمة وأخطرها، وهو إغلاق بورصة نيويورك حتى يوم الإثنين سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١م أي إلى بعد أسبوع من تاريخ الضربة. وهو إغلاق يحصل أول مرة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، وصواب هذا القرار يأتي من أن مؤشر D -J& Nasdaq ليسا مؤشرين لقياس حالة السوق في بورصة نيويورك فقط، وإنما أصبح هذان المؤشران من الرموز الوطنية المهمة لأمريكا وقوتها، لذلك كان قرار الحكومة بإيقاف التعامل في بورصة نيويورك هو بمنزلة الحفاظ على هذا الرمز من الانهيار ووضعه في صندوق حديدي مغلق إلى أن يتنفس الصعداء سواء من الحكومة أو المستثمرين؛ لأن استمرار العمل في البورصة كان يعني هجوماً كاسحاً من قبل المستثمرين الصغار والكبار للتخلص من الأسهم في محفظتهم الاستثمارية، ومن ثم هبوطًا كبيراً في أسعار الأسهم مؤدياً إلى آثار تدميرية للاقتصاد الأمريكي لا يستطيع أحد أن يتنبأ بعواقبها، ليس للاقتصاد الأمريكي فقط، وإنما للاقتصاد العالمي.

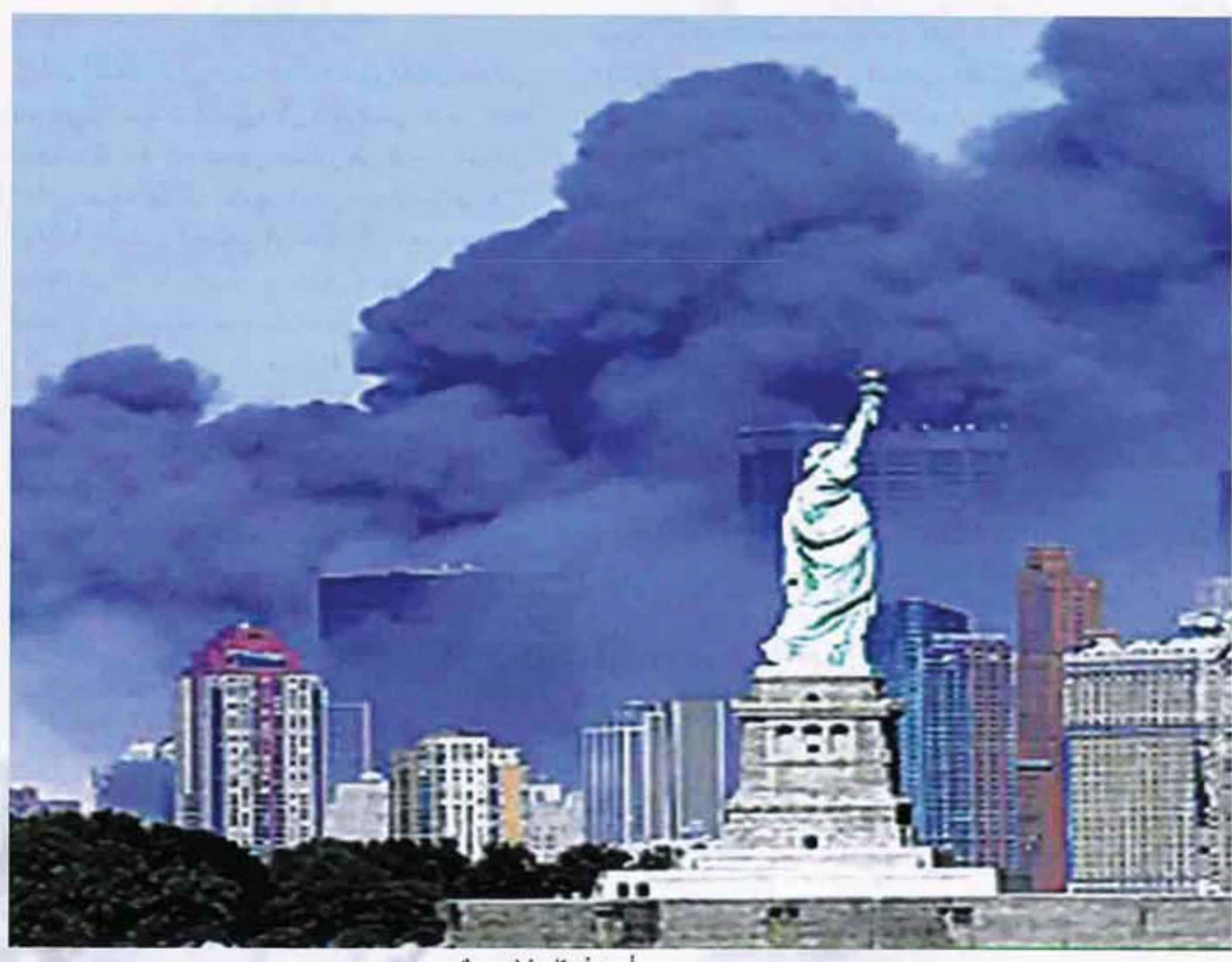
ضابط إيقاع

إلا أننا يجب أن نشير هنا إلى أن إغلاق بورصة نيويورك أسبوعًا كان حكيماً، وذلك لتهدئة النفوس ومشاعر الغضب قبل البدء بالتعامل، إلا أن إقفال البورصة فترة أطول كان من

خسائر شركات التأمين تصل إلى نحو ٣٠ مليار دولار، لأن المركز كان يعمل به ٤٠ ألف شخص، وزواره يوميًا ١٥٠ ألف شخص، وبلغت خسائر شركات الطيران مئات الملايين من الدولارات يوميًا

شأنه أن يفقد الأسواق العالمية ضبط إيقاع حركتها وفقًا لإيقاع بورصة نيويورك التي تعدّ القائد الذي يقود حركة الأسواق المالية الأخرى في العالم. ومن ثم فإن إغلاق البورصة أطول فترة من شأنه أن يجعل الأسواق الأخرى تتحرك من دون بوصلة مما يفقدها التوازن المطلوب.

أما القرار الآخر الذي سارعت الحكومة الأمريكية إلى اتخاذه فهو



يوم أسود في تاريخ نيويورك

استدعاء العجوز آلان غرينسبان رئيس البنك الاحتياطي الفيدرالي الذي كان يحضر مؤتمراً في سويسرا، وقد سارع بدوره إلى اتخاذ قرار ضخ سيولة إضافية في الاقتصاد، فأعلن عن الاستمرار في عمليات الخصم Discount Window، وهذا الإجراء كان يرمي إلى تعزيز ثقة المستهلكين، والإبقاء على نمط إنفاقهم دون تغيير في محفظتهم الاستثمارية، أو تخفيض الإنفاق الذي يعد محرك الاقتصاد الأمريكي.

في اليوم التالي للضربة بدأت الأسواق تكافح من أجل تحقيق الاستقرار وضبط إيقاع الناس وعدم لجوئهم إلى ما يسمى في لغة الأسواق المالية بأثر القطيع Herd effect، وقد دعم هذا الأمر القرار الذي اتخذته الدول الصناعية السبع التي كانت تعقد اجتماعها بدعم الجهود الأمريكية، إذ قامت، وبالتنسيق مع البنك الاحتياطي الفيدرالي، بتوفير ٥٠ مليار دولار للبنوك الأوربية العاملة في أمريكا من أجل دعم الجهود في استمرار الإنفاق من قبل المستهلكين، وقد دعم هذا الاتجاه قرار الأوبك بتأمين إمدادات النفط إلى أمريكا مما ساعد على تراجع أسعار النفط بعد أن ارتفعت قليلاً إثر الضربة. بعد ذلك عزز البنك الاحتياطي الفيدرالي سياسته بتقديم سيولة إضافية تبلغ ٨١.٢٥ مليار دولار لتعزيز احتياطات البنوك التجارية في الولايات المتحدة.

مشكلات التأمين

أما المشكلة التي بقيت عالقة فهي المطلوبات التي تتعرض لها شركات التأمين؛ لأن ما تم تدميره مؤمن عليه، كذلك هناك ٤٠ ألف شخص يعملون في المركز التجاري العالمي سوف يطالب أهاليهم بالتعويض الكامل في حالة الوفاة أو التأمين الصحي في حالة الإصابة بجروح، إضافة إلى العدد الكبير من الزائرين للمركز والذي يقدر بنحو ١٥٠ ألف زائر يومياً وتحاول شركات التأمين وضع تقديرات أولية لحجم خسائرها بسبب التعويضات التي يجب تقديمها للضحايا. وهناك بعض التقديرات الأولية تشير إلى أرقام تصل إلى ٣٠ مليار دولار. علماً أن شركات التأمين كانت قد تعرضت إلى خسائر كبيرة في الماضي، فقد تعرض المركز نفسه إلى الاعتداء بالتفجيرات وخسرت شركات التأمين مبلغ ٥١٠ ملايين دولار تعويضات عن الموجودات المادية فقط، أما في انفجار أوكلاهوما فقد دفعت الشركات مبلغ ١٢٠ مليون دولار، أما أكبر خسارة تعرضت لها شركات التأمين فهي في أثناء إعصار أندرو الذي ضرب جنوب فلوريدا عام ١٩٩٢م إذ وصلت قيمة التعويضات إلى ١٨.٦ مليون دولار.

وكانت خسائر شركات الطيران كبيرة جداً بعد أن أعلنت دائرة الطيران الاتحادي عن إيقاف جميع الرحلات التجارية حتى ظهر اليوم التالي للضربة، مما سبب خسارة لشركات الطيران تصل إلى مئات الملايين من الدولارات يومياً، مما تطلب من الحكومة الأمريكية التعهد بتقديم مساعدات اتحادية لقطاع النقل الجوي؛ لأن لهذه الشركات كثيراً من الأسهم في بورصة نيويورك، وانهيار أسعار هذه الأسهم سيزعزع ثقة المستثمرين بالبورصة.

وكان البنك الاحتياطي قد اتخذ قبل افتتاح بورصة نيويورك يوم الإثنين الذي أعقب الضربة إجراءين مهمين، الأول: ضخ كمية كبيرة من السيولة عن طريق تزويد البنوك باحتياطات إضافية تبلغ ٨١.٢٥ مليار دولار وذلك لدعم الإنفاق وعدم لجوء المستثمرين إلى التخلص من الأسهم التي يمتلكونها، والاتجاه نحو الاحتفاظ بالسيولة، طبقاً للنماذج الاقتصادية التي وضعها عدد من الاقتصاديين الكينزيين أو النقديين.

أما القرار الآخر فهو تخفيض سعر الفائدة بنصف نقطة ليصل إلى مستوى ٣.٥٪ وهو التخفيض الثامن منذ بداية العام الماضي بعد أن كان ٦.٥٪.

إن قرار خفض سعر الفائدة من شأنه، حسب رأي البنك الاحتياطي، تشجيع الاقتراض من المصارف التجارية لغرض الإنفاق والاستثمار وتحفيز النمو الاقتصادي من جهة، ورفع أسعار السندات، وهي موجودات مالية ترتبط أسعارها بعلاقة عكسية مع أسعار الفائدة، وذلك لسد الطريق أمام المستثمرين لبيع ما بحوزتهم من أسهم والاتجاه نحو السندات.

وقد اتفقت شركات الاستثمار قبل افتتاح البورصة على عقد اتفاقية غير عادية تتمثل في دعم أسعار الأسهم التي تتعرض إلى عمليات بيع كبيرة تسبب انخفاضاً في أسعارها.

> قرار الحكومة الأمريكية بإيقاف التعامل في بورصة نيويورك حافظ على هذا الرمز من الانهيار، إلا أن إقفاله فترة أطول كان سيفقد الأسواق العالمية ضبط إيقاع حركتها

حقيقة الاقتصاد الأمريكي

والسؤال المطروح الآن ما حقيقة الاقتصاد الأمريكي؟ هل هو اقتصاد قوي أم ضعيف إلى درجة الخوف من انهياره بسبب سقوط ناطحتي سحاب؟

والجواب بسيط، فالاقتصاد الأمريكي اقتصاد ضخم وقوي. أما فيما يتعلق بضخامة الاقتصاد فتشير الأرقام إلى أن الناتج القومي الإجمالي للولايات المتحدة يصل إلى ٨ تريليونات دولار، وهو بذلك أكبر من الاقتصاد الياباني (٤ تريليونات دولار) أو اقتصاد منطقة اليورو (٦ تريليونات دولار).

و لا شك أن الاقتصاد الأمريكي يتمتع بهياكل إنتاجية وتقانية (تكنولوجية) متطورة، وإضافة إلى تمتعه بأسواق مالية واسعة وعريقة، وهي من أكبر الأسواق المالية في

مشكلة الاقتصاد الأمريكي تكمن في تمتعه بتشابك قوي ومعقد يجعله حساساً لأي طارئ، ومن ثم يمتد تأثيره إلى بقية أجزاء الاقتصاد، ليس على المستوى الداخلي فحسب، إنما على مستوى العالم الخارجي



انهيار مبنى مركز التجارة العالمي سبب كثيراً من الرعب

العالم، ولكن مشكلة الاقتصاد الأمريكي، وكان من الممكن أن نسميها مشكلة، تمتعه بتشابك قطاعي قوي ومعقد، وهو أمر طبيعي وضروري في اقتصاد مثل الاقتصاد الأمريكي، ولكنه يؤدي في بعض الأحيان إلى أن يكون حساساً جداً لأي أحداث طارئة تحصل في أحد القطاعات، لأن تأثير هذا الحدث ينتقل بسرعة إلى بقية أجزاء الاقتصاد، وليس هذا على المستوى الداخلي فقط، وإنما على المستوى الخارجي أيضاً، فبسبب تكامل الأسواق المالية العالمية أصبح من الطبيعي انتقال الأزمات بين الدول.

دعم الأصدقاء

إن الأمر الذي أظهرته هذه الأزمة بوضوح هو أن أمريكا قد استفادت بدرجة كبيرة من دعم أصدقائها في العالم الذين تحملوا عبئاً كبيراً جراء الضربة التي تعرضت لها، وهذا ما حصل فعلاً، ففي جنوب شرق آسيا كانت ردود الفعل فورية وقوية، إذ شهدت الأسواق العالمية انخفاضاً كبيراً في الأسعار، فانخفض مؤشر نيكاي بنسبة ٦.١٪ ومؤشر هانغ سنغ بنسبة ٨.٩٪، والسبب أن الاقتصاد العالمي يشهد تباطؤاً في النمو، وينتظر من الولايات المتحدة أن تكون هي قاطرة النمو، فإذا أصاب هذه القاطرة أي ضرر، فإن هذا من شأنه أن يعطل النمو في العالم؛ وكان لارتفاع أسعار النفط أثر في عودة المخاوف من شبح الركود التضخمي في أمريكا في السبعينيات والثمانينيات.

لكل هذه الأسباب نجد العالم يهب إلى نجدة أمريكا كلما تعرضت إلى مشكلة خوفاً من سقوطها الذي سوف يكون على رؤوس الآخرين، ويخيل إليّ أن الشركاء الأوربيين أو الآسيويين لأمريكا يهمسون فيما بينهم العبارة الآتية: لو أن العجوز «آلان كريسبان» ابتسم فسنكون كلنا سعداء!!!.

إخفاق الغزاة في محو التسمية العربية للقدس

عبدالله سليم عمارة
عجمان - الإمارات

«سبحانَ الذي أسرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركْنا حَولَه لنُريَه من آياتنا إنه هو السميعُ البصير». الإسراء:١.

تفردت القدس دون سواها من مدن العالم بظاهرة حضارية، جعلتها أقوى من كل النكبات والحروب التي أدت إلى هدمها وإعادة بنائها ثماني عشرة مرة خلال تاريخها، بحيث كانت تخرج من كل محنة مزهوة بصمودها وبتضحياتها، ومزهوة بقدرتها على إعادة الإعمار لتظل وفية لما خصها الله به من قدسية المكان وطهارته.

وفي هذا السياق، كانت القدس وستبقى شامخة، فلم يستطع الغزاة في الماضي محو هويتها العربية الإسلامية، ولن يستطيعوا في الحاضر والمستقبل؛ لأن الله تعالى حصنها منذ نشأتها بأن خصها بالكثير من الأنبياء، حتى قيل: إن بناءها تم على يدهم، وإنهم سكنوها حتى إنه لم يبق فيها موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو قام فيه ملك(١) وزادها الله تحصيناً بالرباط المقدس بينها وبين مكة المكرمة، وبين الأقصى والكعبة المشرفة. إنه الرباط الإلهي، فما وصله الله تعالى لا يقوى الإنسان أن يقطعه(٢).

إن القدس أحد ثلاثة بيوت مقدسة تشد الرحال إليها، فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»(٣)، وتتجلى قداسة القدس بأبهى صورها بما نص عليه الحديث القدسي من أنها تنسب إلى الله ذاته إنه لبيت المقدس: «أنت جنتي وقدسي وصفوتي في بلادي»(٤).

إن المقيم في القدس كالمجاهد في سبيل الله، وفي حديث مسندٍ إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «قال لصعصعة: نعم المسكن بيت المقدس، القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله، وليأتينّ على الناس زمن يقول أحدهم ليتني تبنة في لبنة من لبنات بيت القدس»(٥).

فكيف نشأت القدس؟ ومن أنشأها؟ ومتى؟ وما التسميات التي عرفت بها عبر تاريخها؟ وهل استطاع الغزاة محو تسميتها العربية؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة تمثل مطلباً ملحاً في هذه الآونة بالذات، ليقف القارئ على الحقائق التاريخية بشأن نشأة القدس، وتسميتها العربية التي لازمتها خلال تاريخها دون أن يتمكن الغزاة من طمس هذه التسمية، وإن تمكنوا فلم يدم ذلك أكثر من فترة زمنية قصيرة، ثم تعود إلى القدس تسميتها العربية لتؤكد أن عروبة القدس حقيقة تاريخية، أخفقت كل محاولات الغزاة المحتلين لمحوها، ولن تكون محاولات الكيان الصهيوني لتهويد القدس إلا تكراراً للإخفاق الذي مني به الغزاة في الماضي.



مشهد عام لمدينة القدس

نشأة القدس وتسميتها خلال التاريخ

خرجت من شبه الجزيرة العربية في الألف الرابع قبل الميلاد موجات متتالية من الهجرات العربية القديمة، كان أبرزَها وأكبرَها العربُ الكنعانيون الذين كانت هجرتهم فيما بين الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد، واستقروا في فلسطين، حتى إنها عرفت باسمهم «أرض كنعان أو بلاد كنعان».

فالقدس حاضرة فلسطين في تاريخها القديم، وحاضرتها في تاريخها الحديث، وهي بمنزلة القلب الذي يخطط لفلسطين هويتها العربية والإسلامية، وقد عرفت في مختلف عصورها التاريخية بتسميات كثيرة، ومع تعدد مسمياتها، إلا أنها ظلت محتفظة بتسميتها العربية خلال تاريخها القديم والوسيط والحديث، ومن أبرز مسمياتها:

ـ يبوس:

تنسب هذه التسمية إلى قبيلة يبوس العربية، وهي بطن من بطون العرب الأوائل، نشؤوا في صميم الجزيرة العربية، وترعرعوا في فيافيها، ثم هاجروا إلى فلسطين مع من هاجر من القبائل العربية الكنعانية، ويعود الفضل إليهم في اختيار موقع القدس الحالي في الألف الثالث قبل الميلاد، وأنشؤوا عليه مدينة «يبوس» القدس الحالية، وبذلك يعد اليبوسيون بناة القدس الأولين.

ـ أورو سالم:

وقد نسبت المدينة قديماً إلى الملك العربي الكنعاني «ملكي صادق» الذي يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وقد عرف بالتقوى وحب الخير، حتى قيل عنه: إنه ما أراق دماً، وما أكل سوى الخبز، وما غشي امرأة (٦)، وكان محباً للسلام، حتى أطلق عليه «ملك السلام»، كما عرفت مدينة «يبوس» باسم «سالم» و«شالم»، كما وردت باسم «أوروسالم» أو «يروشالم» أو «يرو ـ شلم» أو

«أورو» ومعناها مدينة، و«شالم» معناها السلام نسبة إلى إله السلام عندهم أو ملك السلام «ملكي صادق»، وبذلك يصبح معناها «مدينة السلام».

- يابيتي أو «أوشاميم»:

سماها الفراعنة في نقوشهم القديمة (كتاباتهم الهيروغليفية) في نحو القرن التاسع عشر قبل الميلاد باسم «أوشاميم» أو «روشاليموم»، كما سماها الفراعنة «يابيتي» وهو تحريف لاسم يبوس الكنعانية(٧).

- مدينة داود «تسمية يهودية عابرة»:

وكان «داود» قد انتزع مدينة يبوس «القدس» من اليبوسيين (نحو ٩٩٧ أو ١٠٠٠ق.م)، دون أن يتمكن من طرد أصحابها العرب الشرعيين من أرضهم، فظلوا محتفظين بحقوقهم الشرعية، وعاش اليهود أقلية بينهم، وحاول «داود» تسمية «القدس» بغير التسمية التي عرفت بها، فلم يستطع إعطاءها تسمية جديدة؛ لأن اللغة في عصره كانت اللغة الكنعانية نفسها، فاضطر أن يسميها مدينة «داود»، واستمرت هذه التسمية متداولة مدة (٧٣) سنة، وهي المدة التي استمر فيها نفوذه السياسي على القدس، وبانتهاء نفوذ اليهود لم تستطع هذه التسمية الاستمرار. فانتهى اسم «مدينة داود» ليعود إليها اسمها الكنعاني العربي «أورشليم».

القدس حاضرة فلسطين في تاريخها القديم، وحاضرتها في تاريخها الحديث، وقد عرفت في مختلف عصورها التاريخية بتسميات كثيرة، إلا أنها ظلت محتفظة بتسميتها العربية خلال تاريخها القديم والوسيط والحديث

كما أن الذين كتبوا التوراة، وحرّفوها بما يخدم مصالحهم، لم يتمكنوا أن يجدوا بديلاً عن التسمية العربية الكنعانية «يبوس»، وفي هذا السياق أوردت التوراة ما نصه: «فيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جداً، قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها، فقال له سيده لا نميل إلى مدينة غريبة...»(٨).

وأوردت التوراة(٩) اسم «أورشليم» الذي يلفظ بالعبرية «يروشالايم» أكثر من ٦٨٠ مرة، وهذه الكلمة مشتقة من الاسم الكنعاني العربي الأصلي، وتطلق التوراة كذلك علي المدينة أسماء أخرى هي: «شاليم» و«مدينة الله» و«مدينة القدس» و«مدينة العدل» و«مدينة السلام»، ويلاحظ أن جميع التسميات التي أوردتها التوراة هي ترسيخ للتسمية العربية الكنعانية الأصلية، ويثبت هذا أن كَتَبة التوراة عجزوا تماماً عن إيجاد تسمية غير عربية كنعانية لها، فاكتفوا بتحريف اسم القدس العربي الكنعاني «أوروسالم» أو «ياروشالم» إلى «أورشليم»، ومن «ياروشالم» جاء الاسم الذي تداولته أوربا «جيروزاليم» Jerusalem. ومن ثم، فإن ما يزعمه الكتاب اليهود أن تسمية «أورشليم» هي عبرانية في أصولها، هو زعم باطل، وافتراء على التاريخ وتزوير له.

- إيليا كابتولينا (تسمية رومانية عابرة):

وفي عام ٦٣ق.م احتل القائد الروماني «بومبي» فلسطين، ودخل القدس، وبذلك أصبحت فلسطين تحت الحكم الروماني، وفي عام ١٣٥ ق.م بدل الإمبراطور الروماني(١٠) «هادريان» اسم «أورشليم» إلى «إيليا كابتولينا» Aelia Capitolina، وحرم على اليهود دخولها لتنقطع صلة اليهود بالقدس وفلسطين مدة ثمانية عشر قرناً متواصلة، وإيلياء هو الاسم الأول لهادريان، إلا أن الإمبراطور الروماني قسطنطين أعاد لها اسمها الكنعاني القديم «أورشليم»، وذلك بعد اعتناقه المسيحية عام ٣١٢م، وقامت «هيلانة» والدة قسطنطين ببناء الكنائس في القدس ومن أبرزها كنيسة القيامة.

وتجدر الإشارة إلى أن اسم «إيلياء» لم يدم أكثر من ٨٩سنة (أي من ١٣٥م - ٢٢٤م) فقط، ومع ذلك ظل اسم «إيلياء» متداولاً بين الناس جنباً إلى جنب مع تسميتها العربية الكنعانية بدليل ورود هذه التسمية في نص عهد الأمان «العهدة العمرية» الذي أعطاه الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل إيلياء «سكان القدس» في السنة الخامسة عشرة للهجرة، ونص عهد الأمان صراحة ألا يسكن اليهود في القدس، وكان ذلك بناء على طلب بطريرك القدس «صفرنيوس» الذي منعهم من السكنى في المدينة المقدسة(١١).



مدخل كنيسة القيامة

- القدس أو بيت المقدس جزء من العقيدة الإسلامية:

إن تسمية «إيلياء» كانت تسمية عابرة، لأنها تسمية غريبة لا تعبر عن قدسية المكان وطهارته، ولا تمت بصلة إلى تاريخ المدينة وعمقها العربي على مر العصور. وقد تلاشت تسمية «إيلياء» نهائياً منذ الفتح الإسلامي لفلسطين سنة ١٥ للهجرة/٦٣٦م، ومنذ ذلك التاريخ ترسخت تسمية القدس «القدس» أو «بيت المقدس» أو «القدس الشريف»، ويقال: إن أقدم من وصفها بالقدس الشريف (وهي التسمية الشائعة في العالم الإسلامي) هو يحيى بن سعيد الأنطاكي (ت ٤٥٨هـ) في كتابه «ذيل التاريخ» الذي ألفه في سنة ٤٥٨ للهجرة، ثم ثبت هذه التسمية العثمانيون(١٢).

وقد أطلق المؤرخون والجغرافيون الإسلاميون أسماء كثيرة على المدينة المقدسة، فجاء في كتاب «إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى» للسيوطي أن من أسمائها «بيت إيل» ومعناه بيت الرب، ومن أسمائها «القرية»، وإلى ذلك تشير الآية القرآنية الكريمة: *ادخُلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رَغَدًا، وادخلوا الباب سُجَّدًا، وقولوا حطَّة نَغْفِر لكم خطاياكم.* **البقرة:**٥٨، ومن أسمائها «الأرض المباركة»، حيث قال تعالى: *ونجيناه ولوطًا إلى الأرض التي باركْنَا فيها للعالمين.* **الأنبياء:**١٧. ومنها «الساهرة»، حيث جاء في الآية الكريمة: *فإذا هم بالساهرة.* **النازعات:**١٤. ومن أسمائها: «المسجد الأقصى» وفي ذلك نزلت الآية الكريمة: *سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله.* **الإسراء:**١، ومنها «الزيتون»، وفي ذلك نزلت الآية الكريمة: *والتين والزيتون وطُور سنين وهذا البلد الأمين.* **التين:** ١ - ٣. حيث قال ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) نقلاً عن

ابن عباس: «إن التين بلاد الشام، والزيتون بلاد القدس، وطور سنين الجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عنده، وهذا البلد الأمين مكة»(١٣).

أصل القدس

إن تعدد تسميات القدس، يدفعنا إلى الإجابة عن السؤالين الآتيين: من أين جاءت تسمية القدس؟ وما معناها؟

لم يأت اسم مدينة القدس بمحض اختيار، ولا بطريق المصادفة، وإنما اشتق من لفظ «قدس» وتعني البركة والطهارة، وإذا ما تتبعنا الأسماء التي أطلقت على القدس نجدها تعني الطهر والطهارة، لأنه مكان مقدس تطهر فيه الذنوب (١٤)، و«بيت المقدس» يعني المكان المطهر المنزه عن العيوب والنقائص، ذلك لأن اشتقاق اسم مدينة القدس كما جاء في لسان العرب في مادة «قدس»: «القدس تنزيه الله تعالى، وهو المتقدس، القدوس، المقدس».

ومن المؤرخين من ذكرها باسم «البيت المقدس» ويعني التطهر والتطهير، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ونحنُ نسبّح بحمدِك ونقدّس لك. البقرة: ٣٠. وبذلك يكون البيت المقدس هو البيت المطهر من الذنوب.

أما ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ) فقد لخص المفهوم المتداول لغويًا عن القدس، فقال: «القدس في اللغة التنزه»، وقال الزجاج: معنى نقدس لك، أي نطهر أنفسنا لك، وكذلك نفعل بمن أطاعك ونقدسه، أي نطهره، ومن هذا قيل للسطل: القدس لأنه يقدس منه، أي يتطهر، قال: ومن هذا بيت المقدس، أي المطهر الذي يتطهر به من الذنوب(١٥).

ويروي شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ) في مؤلفه: «نهاية الأرب في فنون الأدب»: أن المدينة سميت مقدسة لأنها طهرت من الشرك، وجعلت مسكنًا للأنبياء والمؤمنين، وفي هذا السياق، روي عن أبي هريرة أنه قال(١٦): «من مات في بيت المقدس، فكأنما مات في السماء»، وعنه أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «أربع مدائن من الجنة: مكة، والمدينة، ودمشق، وبيت المقدس».

وفي عصر القلقشندي (ت ٨٢١) أطلق على المدينة اسم «القدس»، وهو لا يختلف في معناه عن معاني الأسماء الأخرى، وظلت المدينة المقدسة تسمى بهذا الاسم حتى أصبح اسمًا شائعًا ومعروفًا لدى الجميع، وهو الاسم المتداول في وقتنا الحاضر، وسيظل هذا الاسم قائمًا، ومباركًا ومقدسًا، لأنه جزء من عقيدتنا الإسلامية(١٧).

وعلى الرغم من تعاقب الغزاة على القدس، ومحاولتهم المستميتة تغيير اسمها وهويتها، إلا أن محاولاتهم باءت بالخيبة والإخفاق، وطوال الحقبة التاريخية لمدينة القدس والتي تزيد على خمسة آلاف سنة، لم يغير اسم المدينة إلا فترة لا تزيد على ١٦٢سنة، تمثل فترة سيطرة اليهود والرومان على القدس، بينما ظلت المدينة المقدسة تحتفظ باسمها العربي وهويتها العربية والإسلامية خلال عصورها كلها.

وما تتعرض له القدس في هذه الآونة من تهويد، ما هو إلا امتحان للأمة العربية والإسلامية، ليهبوا جنبًا إلى جنب مع إخوانهم الفلسطينيين المرابطين في بيت المقدس وأكنافه دفاعًا عن أولى القبلتين وثالث المسجدين الشريفين، عن أرض السلام، في مدينة السلام، ليعم فيها السلام، وذلك اتساقًا مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لاتزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقّ، لا يضرهم منْ خالفهم، قيل أين يا رسول الله. قال: بيت المقدس أو أكناف بيت المقدس».

المراجع

١. أحمد سوسة: العرب واليهود، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط٥، ١٩٨١م ص٧٦٥.
٢. شؤون عربية: القدس، العدد ٤٠، ١٩٨٤م ص٣٦.
٣. مؤسسة الدراسات الفلسطينية: فلسطين، تاريخها وقضيتها، ط١، ١٩٨٣م، ص٥.
٤. شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت: الطريق إلى القدس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ص٤٩.
٥. شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت: مرجع سابق، ص٤٩.
٦. عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، ط٣، ص٤٩.
٧. أحمد سوسة: العرب واليهود، مرجع سابق ص٧١٩.
٨. التوراة: قضاة ١٩.
٩. م. ت. ف: دائرة الثقافة، موسوعة المدن الفلسطينية، ط١، ١٩٩٠م، ص٥٨٨.
١٠. شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠١م، ص٣٤.
١١. شؤون عربية: كانون الأول/ديسمبر، ١٩٨٤م، ص٧٣.
١٢. شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت، مرجع سابق، ص٨٢.
١٣. عارف باشا العارف: مرجع سابق، ص١٦٩.
١٤. رفيق النتشة، وآخرون: تاريخ مدينة القدس، ط١، دار الكرمل للشروق، ١٩٨٤م، ص٤٣.
١٥. شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت: مرجع سابق، ص٨٣.
١٦. عارف باشا العارف: مرجع سابق، ص٤٣.
١٧. رفيق النتشة، وآخرون، مرجع سابق، ص٤٣.

مآل
جريمة العبث بالدين

خير الدين عبدالرحمن
حلب - سورية

اعتاد الصهاينة والمتصهينون المضللون والمخدوعون تقديم ما يرونه مسلّمات تعلو على أي نقاش أو تساؤل أو جدل فيما يخص الكيان الذي أقامه مشروع الاستيطان الصهيوني على ما اغتصبه من أرض فلسطين.

من هذه «المسلمات» المزعومة عدّ ذلك الكيان المسمى بإسرائيل دولة يهودية، ودولة كل اليهود في العالم، والاستجابة المجسدة لإرادة الله عز وجل، فضلاً عن إطلاق أوصاف مثل «واحة الديمقراطية والتحضر». يستوي في تبني هذه «المسلمات» المزعومة المؤمنون والملحدون، والغالبية الساحقة للمجتمعات اليهودية والمسيحية، بل إن بعض أوساط مجتمعاتنا الإسلامية تتعامل على هذا النحو تقليداً وتبعية لما يسود المجتمعات الغربية.

ترسخ هذا بينما تزداد وقائع مناقضة ونافية وضوحاً، إذ لا يقتصر الأمر على كون «أكثرية اليهود الإسرائيليين اليوم يقولون إنهم لا يؤمنون بالله ويصفون أنفسهم بأنهم علمانيون»(١)، بل يقسم الكاتب الإسرائيلي جدع جلادي في كتاب أصدره قبل نحو عشر سنوات بأنه لم يلتق في حياته صهيونياً واحداً يؤمن بالله! وهو ما سبق لمفكر شهير آخر هو موشيه مانوحين أن أكده بقوله: «اكتشفت أن الصهاينة لا يعبدون الله، ولكنهم يعبدون قوتهم». هذه نتيجة طبيعية بعدما أكدت التطورات على امتداد العالم صحة ما توافق عليه مفكرون من مجتمعات متعددة رأوا أن الدين اليهودي على الصورة التي صاغها الأحبار قد فقد روحه وجوهره، وتحول إلى تنظيم عصابي متقوقع حاقد على باقي البشر.

شعب مهمته التخريب

جذور جريمة العبث بالدين قديمة. ألم يفضح المسيح عليه السلام تحريف الفريسيين وتزويرهم العهد القديم (التوراة) بقوله: «أنتم تعلمون شريعة بشرية»، على نحو ما وصمهم الله عز وجل بقوله: *يحرفون الكلم عن مواضعه*. **النساء: ٤٦**. *وأنهم يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله*. **آل عمران: ٧٨**. بل إن التزوير قد بدأ قبل الفريسيين عندما راح اللاويون يعلمون أتباعهم اليهود أن المطلب الرئيس لإلههم «يهوه» هو أن يقوموا بإبادة كل من هم ليسوا يهوداً، وأن الله اختارهم لأداء هذا الدور، فباتوا شعبه المختار الذي يمتلك تفويضاً إلهياً شاملاً باستباحة أموال باقي البشر وأعراضهم ودمائهم: «إذا أردت أن تكون.. وفعلت ما أقوله، أعادي أعداءك. تبيد جميع الشعوب التي أعطاك الرب إلهك إياهم» (سفر الخروج)، كذلك «أبيدوا كل الأماكن التي تحتلوها، حيث الشعوب الأخرى، تكونوا قد خدمتم ربكم» (سفر التثنية).



الحاخامات وفضائح لا حد لها!

وهكذا تحول اليهود إلى الشعب الوحيد في التاريخ الذي كانت مهمته التخريب بحد ذاته.. وكانت النية واضحة بقدر ما، لتنظيم قوى فاعلة تخريبية دائمة(٢).

لم يحتمل بعض اليهود الذين اجتمعت لديهم قدرة على التفكير الحر وأحاسيس إنسانية نجت من التشويه مدى الرعب الذي أصابهم لدى التمعن في أحوالهم وتعليمات أحبارهم. قال الكاتب اليهودي موريس صاموئيل مثلاً: «نحن اليهود مخربون.. وسنظل دائماً مخربين». كذلك كتب أوسكار ليفي: «نحن اليهود الذين نصبوا أنفسهم كمنقذين للعالم.. لم نعد اليوم أكثر من مخربين للعالم. إننا أدواته المدمرة ومشعلو حرائقه وجلادوه. إنني أنظر إلى هذا العالم وارتجف، خاصة أني أعرف المنفذين الروحيين لهذه الأهوال: إنهم نحن اليهود»(٣).

تهويد المؤسسات المسيحية

زاد في تعقيد الأمر وتعاظم الخطر ما قد انتشر من تهويد للعقائد والمؤسسات المسيحية، إلى درجة أن فرانكلين ليتل رئيس مؤتمر القيادة الوطنية المسيحية لإسرائيل في الولايات المتحدة، وأحد أبرز رموز الكنيسة الميثودستية جزم قائلاً: «أن تكون مسيحياً يعني أن تكون يهودياً». بل ارتعد عالم الاجتماع و(الأنثروبولوجيا) في جامعة أكسفورد د. غلين براونمان لأن «مسيحية معسكرة تحل محل مسيحية قيم التسامح والمحبة والتفاهم.. سيكون للمسيحيين إله للحرب مثل يهوه، الإله الزائف لليهود المتعطش للقتل والدم».

صحيح أن المسألة ذات جذور قديمة بدأت عندما راح بولس يهوّد المسيحية، ثم راح الذين أغواهم ربط الكنيسة بالسلطان يقتفون خطاه ويرسخونها منذ القرن الرابع الميلادي بشكل خاص، بحيث تلاحقت النتائج من خلال ظواهر الصليبيين ومحاكم التفتيش والحركة الاستعمارية والصهيونية والمسيحية الصهيونية، وصولاً إلى العولمة الراهنة التي يظل أساسها - إلى جانب وجهها السالب المتمثل في خضوع الشعوب للدورة الاقتصادية والأنماط الحضارية التي تفرضها الأمم الغالبة - النزعة الإرجاعية التي يتمثل فيها جوهر الحلول المحرفة لشهود الإنسان للمطلق، كما رأى أبو يعرب المرزوقي في مقالته القيمة «أوهام علموية حول الحداثة الغربية» (المستقبل العربي، بيروت، العدد ١٩٩، سبتمبر ١٩٩٥م)، والذي أردف يقول: إن «التحريف في شكله الحديث، حلول المطلق الإلهي في النسبي الإنساني حلولاً أدى إلى تأليه الناسوت، عبارة أخيرة عن عنصرية الشعب المختار والابن المصطفى.. وهذا التحريف لم يبق أمامه صامداً الآن.. إلا الشهود النافي لعنصرية الشعب المختار وذروتها (الابن) المتأله، أعني الشهود الإسلامي للمطلق».

صليبية متهودة

لقد أكد بنيامين نيتنياهو، رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق، قبل ربع قرن، ما سبق أن فضحه آخرون بقوله: «المسيحية الصهيونية لم تكن مجرد تيار من الأفكار. إن مخططات عملية وضعت فعلاً من أجل عودة [!] اليهود إلى فلسطين.

المسيحيون ساعدوا على تحويل الأسطورة إلى دولة يهودية»(٤).
وهكذا لا سبيل إلى خداع للذات بالتغافل عن وحدة وخبث المقاصد والمنطلق للصليبية المتهودة أو اليهودية المتصهينة.

لا يمكن للبدايات الخاطئة إلا أن تؤدي إلى نتائج خاطئة. فالطاعون الذي أسس نواته الأولى حزقيال وعزرا ونحميا ودانيال وأستير ومردخاي، ذلك التلمود الذي تجرأ على الله عز وجل وأنبيائه ورسله وملائكته، وكذب على الذات الإلهية، وألحق بها من الصفات والأخطاء [!] ما يرتعد حتى إبليس لدى اقترانه، لا يورث أصحابه سوى الجريمة والفساد. ألم ينجب تزاوج هذا الطاعون المسمى تلمودا مع القبالة (الكبالا) بروتوكولات حكماء صهيون، وجنون تحقيق السيطرة اليهودية على العالم بتخريب أخلاق الأمم وإفساد معتقداتها وعلاقاتها وبناها؟ لقد وجه أشعيا - أحد أعظم أنبياء التوراة أشد اللوم إلى اليهود لغرقهم في الرشوة والفساد، وظلمهم المساكين، وإعوجاج القضاء لديهم، وبذخهم وترفهم وجشعهم وطمعهم، وسكرهم وانعدام الأخلاق لديهم، على نحو ما بينت الإصحاحات الخمسة الأولى من سفر أشعيا لدى اكتشافه في عام ١٩٤٧م مع آلاف الوثائق الأخرى في كهف قمران، بالقرب من البحر الميت. حرص الحاخامات، وكذلك المتهودون والخاضعون لنفوذ اليهود في الكنيسة، على إخفاء تلك الوثائق لكي لا يكتشف الناس أن الذي لام أشعيا اليهود بشأنه قد ترسخ وانتشر على أيديهم وبتخطيط منهم ليصبح قوانين التعامل السائد الطاغية في عالمنا المعاصر.

وهكذا كانت النتيجة أن يعترف يهود بارزون بأن «إسرائيل هي جحيم اليهود لا جنتهم»، كما قرر الحاخام جاكوب نيوسنر الذي اتهم الصهيونية بتوريط اليهود


نعوم تشومسكي

نعوم تشومسكي: عشت في كيبوتز في إسرائيل في مطلع الخمسينيات، لكنني لم أستطع البقاء هناك؛ لأنني غير صالح لأحمل كل تلك الكمية من الكراهية فوق ظهري

وقيادتهم إلى حتفهم الأكيد، وربما الأخير(٥). وهذا شأن نعوم تشومسكي الذي قال: «إسرائيل دولة خطرة على اليهود أنفسهم» الدولة العبرية تتجه بخطا ثابتة نحو العدم.. عشت في كيبوتز في إسرائيل في مطلع الخمسينيات، لكنني لم أستطع البقاء هناك؛ لأنني غير صالح لأحمل كل تلك الكمية من الكراهية فوق ظهري»(٦)، كذلك قرر مفكر يهودي أمريكي آخر هو إدوارد هيلمان إذ قال: «إسرائيل تغرق أكثر فأكثر تحت كل أشكال الخطأ.. الحلم في أزمة.. ثمة انحلال أخلاقي ودوران سياسي في الحلقة المفرغة.. إسرائيل لا تستمر بفعل الديناميكية اليهودية، وإنما بفعل وضع إقليمي أو دولي معين»(٧). أكثر من هذا، فضح هيلمان ما يغفل أو يتغافل أكثر الناس عنه، فقال هذا المؤرخ: «عملت الهيئات اليهودية في الغرب، وبوجه خاص في أمريكا، على ترسيخ علاقة عضوية بل جدلية لاهوتية، بين اليهودية والمسيحية، بصورة تجعل الديانة اليهودية، ومن ثم الدولة اليهودية، ضرورة مسيحية». ثم بيّن بوضوح حقيقة العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ومن ثم الهدف من إقامة إسرائيل والتبني والدعم الأمريكيين لها بقوله: «تم استخدام الدولة العبرية في عام ١٩٥٦م وتحديداً في حرب السويس، لإنهاء خدمات الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية.. هذا ما اعترف به وزير الخارجية البريطاني آنذاك في مقالة عنوانها: غروبنا في الشرق..! لم تتحرك تل أبيب بمفردها، فقد كان القرار هو عدم السماح بنشوء إمبراطورية عربية تحل محل الإمبراطوريات الغاربة. إذا كانت القومية العربية تمثل الحافز التاريخي والنفسي (السيكولوجي) لتحقيق ذلك، فالثابت أنه عُهد إلى إسرائيل بالتعقب المباشر لتلك الظاهرة والإجهاز عليها. حدث ذلك في حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧م. بدأ التقهقر العربي منذ تلك اللحظة دون أن يمتلك العرب بعد ذلك قوة الدفع اللازمة لإعادة تأهيل أحلامهم.. كانت هناك دائماً خشية أوربية أمريكية من حالة عربية مفاجئة»(٨).

شمعون بيريز: لقد حاربنا القومية العربية أربعين عاماً حتى قضينا عليها، ومنعنا توحد العرب. أما الآن فعلينا أن نعلم المسلمين كيف يعيدون قراءة القرآن وفهمه



شمعون بيريز

إفساد العقيدة

لم يكمل هيلمان عرض باقي حقيقة تطورات العقود الأخيرة، لكن شمعون بيريز، رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق فعل هذا عندما راح يتباهى قائلاً لصحيفة الفاينَنشيال تايمز البريطانية، ويكرر كذلك لسواها: لقد حاربنا القومية العربية لأربعين عاماً حتى قضينا عليها، ومنعنا توحد العرب. أما الآن فعلينا أن نعلم المسلمين كيف يعيدون قراءة القرآن وفهمه!.. أي إن التدمير الصهيوني لا يقتصر على بنية المجتمعات العربية وآمالها وعلاقاتها وحقوقها في أوطانها، إنما هو مصمم على إفساد عقيدة المسلمين، يفسر هذا الحملة الشعواء التي شنتها الأوساط السياسية والمخابراتية والإعلامية الأمريكية والأوربية لتشويه الإسلام ومحاربة صحوة شهدتها معظم المجتمعات الإسلامية، وخاصة عقب انهيار أحجار الدومينو الماركسي في أوربا الشرقية والجمهوريات السوفييتية السابقة.

بعد الضربات الموجعة التي تم توجيهها للعرب، وتشكيكهم بقدراتهم وبانتمائهم وبمستقبلهم، أدرك أكثرهم الخلل الإستراتيجي الذي وقع فيه التيار القومي العربي عندما استنسخ عدداً من مفاهيمه ومقاييسه من أوربا، والفخ الذي سقط فيه عندما تم استدراجه للتصادم مع التيار الإسلامي، بل حتى مع الفكر الإسلامي، في ظل تفسير مضلل وتطبيق أحمق لشعار «الدين لله والوطن للجميع» ابتعاداً عن الله وعن الدين ثم عن الوطن، وإلى تلاحق الهزائم والانهيارات، ومع نمو هذا الإدراك واتساعه، انتشرت صحوة من نتائجها المنطقية عودة متزايدة إلى الله في المجتمعات العربية.

إن هذه المجتمعات لا تشكل الوعاء البشري الرئيس للإسلام فحسب، وإنما تشكل أيضاً الأداة البشرية الرئيسة التي تقود حركة تجديده وتوسيع نشر دعوته. هذا بالضبط ما استنفر القوى الصليبية المتهودة لتحاصر هذه الصحوة لدى العرب وتجهضها. لكن السحر ينقلب على الساحر دائماً. فالكتلة الكبرى من اليهود المعاصرين هي الخزر، ذات الأصل المغولي الذي نشأ في الهند، شكلت العمود الفقري لمشروع الاغتصاب الصهيوني لفلسطين، والمتحكم الرئيس فيه. وكان لابد لها من التصادم مع الكتل الأخرى الأقل شأناً التي تم استدراجها وقوداً بشرياً لذلك المشروع.

تحول شعب الخزر إلى اليهودية أصلاً في القرن التاسع الميلادي بشكل جماعي بناء على أمر ملكهم. عندما اعتنق ذلك الملك اليهودية. ومن ثم لم يكن التحاقهم الجمعي باليهودية إيماناً أو اعتناقاً طبيعياً، وإنما بناء على «مرسوم» ملكي ترتب على هذا نتائج تدميرية. لقد هاجرت أعداد كبيرة من الخزر إلى أوربا الشرقية والوسطى، ثم الغربية لاحقاً، في موجات متتابعة لتشكل جاليات يهودية اشتد تضافر أفرادها

وانعزالهم في موقف دفاعي إزاء ارتياب المجتمعات المختلفة بهم ونبذها لهم. مارست تلك الجاليات الربا وتجارة الذهب، وعملت على إفساد المجتمعات التي عاشت بينها بالرشوة والدعارة وإثارة الفتن، ثم راحت تهيمن بالتدريج على الصيرفة وصياغة الذهب وتجارته ومهن أخرى، وراح تأثيرها في القطاعات التجارية، والاقتصاد عموماً، ومن ثم في الطبقات الحاكمة والكنائس، وخاصة الكنيسة البروتستانتية، وصولاً إلى تحريف نصوص التوراة والأناجيل المختلفة، ومن ثم التحكم بإعادة صياغة وتفسير المفاهيم والعقائد والطقوس المسيحية، والهيمنة على كثير من المؤسسات الكنيسية، ومن ثم التأثير الشديد في الثقافات والسياسات الأوربية.

مومياوات العصر

شيئاً فشيئاً، تفاقمت التناقضات في المجتمع الذي حاولت الحركة الصهيونية تشكيله في فلسطين. ومن ثم كثرت الصراعات والصدامات. كان جوهر المأزق الصهيوني تزايد الذين صاروا ينظرون إلى الحاخامات على أنهم «مومياوات العصر» كما وصفهم الكاتب اليهودي البولوني آلان مينك الذي شدد على أن «اليهودي يعيش أزمة هوية فعلاً»، وعلى أن «حاخامات المال والسياسة والسلطة مازالوا يستعملون الأساليب البدائية في محاولة الحفاظ على التماسك في إسرائيل»، مؤكداً أن «التوراة التي لا شك أن الحاخامات أعادوا تصنيعها بتلك الطريقة البدائية ليست الكتاب الذي يقدم الحل. إنها موقف ضد العقل وضد القلب.. لقد تأكلت اليهودية أيديولوجياً، وهذا يجعل الأصوليين يبدون كل تلك الشراسة في تسويق النصوص، بل وفرضها»(٩). وإذا كان آلان مينك مقتنعاً بأن «لعبة الروح تنتج مثقفاً مختلفاً»، فإنه يحذر من أن «تقود هذه اللعبة إلى الانغماس في الوضع التلمودي الشديد الظلمة».

بات أغلب اليهود الذين أحضرهم المشروع الصهيوني إلى فلسطين يحذرون مما سموه بـ «اندلاع البربرية» في أرواحهم، بل إن حاخاماً هو أفراهام كوك قد عدّ ميكافيللي مجرد تلميذ صغير عندما تطرح أسماء مئات من الحاخامات وأتباعهم ممن عدّهم الروائي الإسرائيلي عاموس عوز «جماعة متعصبة خالية من الإحساس ومن الرحمة، ظهرت من أحد الأركان المظلمة لليهودية مهددة بتدمير كل ما هو مقدس وعزيز، لتفرض ديانة متوحشة دموية مجنونة.. إن هدفها هو فرض الشكل الشائع والمشوه لليهودية الذي تتبناه، لتخضع اليهود، ولتفرض علينا جميعاً الاضطهاد الذي يمارسه أنبياؤها الكذبة المتوحشون»(١٠).

لا يقتصر الأمر على عقول متحجرة، وأحاسيس متبلدة، ونفوس شريرة، بل يشمل كذلك ممارسة أبشع الموبقات والمفاسد تحت ستار الأردية والقبعات السود، فسلوك أعداد كبيرة من الحاخامات يعجل بتأكل مجتمعهم وفساده وانحلاله. كشفت عالمة النفس الإسرائيلية أستير جوشان أن زوجات ما بين خمس وربع الحاخامات يتحملن كل أعباء إعالة أسرهم، فيعملن نهاراً لتحصيل الرزق، وليلاً لإنجاز ما تحتاج إليه بيوتهن. أما الحاخامات فرجال كسالى اتكاليون تماماً يتذرعون بدراسة التوراة للتحلل من مسؤولياتهم تجاه أسرهم. لكن مشكلة أكثر هؤلاء الحاخامات أن معظم وقتهم فراغ يحتاج إلى ما يملؤه، وهنا يجيء دور إدمان المسكرات والمخدرات والسرقة والتهريب والمتاجرة بالممنوعات من مخدرات ومجوهرات مسروقة، وغسل الأموال القذرة، وممارسة الدعارة والشذوذ الجنسي، وضرب الزوجات وتوجيه الشتائم لهن وللأبناء! لعل أشهر حالة فساد هي الحاخام يوسف درعي وزير الداخلية في عدد من الحكومات الإسرائيلية السابقة، وزعيم حزب شاس الديني الذي حوكم عدة سنوات، ثم أدين بالرشوة واختلاس الأموال العامة والفساد، فدخل السجن آخر الأمر. لكن التحقيقات مع معاوني درعي كشفت جرائم أخرى، فلدى التحقيق مع سائقه مثلاً، تبين أن درعي قد دفعه إلى قتل والدة زوجته (فردبار) بصدمها بالسيارة في نيويورك، عندما تأكد درعي أنها قادمة لتشهد أمام المحكمة الإسرائيلية نافية ما ادعاه درعي بأن حماته هي مصدر ثروته وليست الاختلاسات! مع ذلك تم إغلاق ملف القتل، والاكتفاء بملف الفساد والاختلاس.



بنيامين نتنياهو

الحاخامات وعصابات الجريمة المنظمة

نشرت الصحف الإسرائيلية بشكل يومي تقريباً ما يفتضح من جرائم يرتكبها الحاخامات. لكن المثير هو الارتكاب الجماعي لجرائم منظمة تحت ستار شرعي! نشرت صحيفة هآرتس مثلاً مقالة للبروفيسور مناحيم فريدمان، مسؤول البحث والإحصاء المكاني، قال فيها: «إن من أهم المؤسسات المركزية التي تجعل الحاخامات والأصوليين اليهود من كبار الأثرياء وجود محاكم دينية خاصة بهم. فمن خلال قضاتهم ومحاكمهم تجري عمليات غسل أموال ضخمة بين أتباعهم وعصابات الجريمة المنظمة في العالم، لأنه ما من قوة خارجية تستطيع نقض ما تقرره تلك المحاكم الدينية حتى في شؤون

المال والاقتصاد». يتولى الحاخام القاضي مثلاً تنظيم عقد ملزم في مقابل ١٠٪ من قيمة المبلغ المراد غسله، فيصبح كل شيء مشروعاً وقانونياً، حتى لو كان المبلغ مسروقاً أو من أموال المخدرات أو الدعارة! بل إن شخصاً من غلاة المتطرفين، هو إبراهام ابن يتسحاق كاهانا، أحد زعماء اليهود في الولايات المتحدة هرب إلى فلسطين المحتلة بعد ملاحقته قضائياً لدى افتضاح قيامه بغسل أموال طائلة لكارتل تهريب وتجارة المخدرات في كولومبيا وعصابات الجريمة المنظمة في الولايات المتحدة، إذ كان يقوم بتحويل تلك الأموال إلى بنوك إسرائيلية زاعماً أنها تبرعات للمدارس الدينية اليهودية وللحاخامات الذين تواطؤوا معه، ثم يعيد تحويل تلك الأموال مجدداً إلى أصحابها من تجار المخدرات وعصابات الجريمة المنظمة بعد خصم عمولته، وكذلك بعد خصم عمولة الحاخام الذي تواطأ معه، وزوده بوثائق التغطية من المحاكم والمؤسسات الدينية اليهودية، وتبلغ عمولة الحاخام عادة ١٥٪ من أصل المبلغ.

علم اللاويون اتباعهم اليهود أن المطلب الرئيس لإلههم (يهوه) هو أن يقوموا بإبادة كل من ليسوا يهوداً، واستباحة أموالهم وأعراضهم

لقد تم في السنوات الأخيرة اعتقال عشرات الحاخامات في الولايات المتحدة وبريطانيا وبلدان أخرى، وأدانتهم المحاكم بغسل الأموال، والمتاجرة بالمخدرات وتهريبها، وفقاً لما نشرته صحيفة هآرتس التي ذكرت أن الحاخامات يعاقبون بقسوة عندما يشي أحد الناس بأحدهم إلى الشرطة، كما أن كبار الحاخامات وضعوا تقليداً يقضي بعدم إجبار أي حاخام أو متدين على الإدلاء بأقواله للشرطة والاستعاضة عن التحقيق معه بتسوية أمره مع الحاخام الأكبر! كما أكدت الصحيفة أن البنوك تعرف تماماً المصادر المشبوهة للثروات الضخمة التي تدخل الحسابات المصرفية للحاخامات، لكن تلك البنوك تتجاهل الأمر وتتغافل عنه، مكتفية باستفادتها من إيداع تلك الأموال لديها. أما الولايات المتحدة التي صرح رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي فيها أن «إسرائيل أكبر مركز في العالم للاتجار بالمخدرات وغسل أموالها»(١١) فتغض الطرف عن هذا، مثلما تغض الطرف عن كل الجرائم التي ترتكبها إسرائيل، وتصر أن تستمر في ممارسة دور الحماية المطلقة لإسرائيل في مواجهة باقي العالم. بالمناسبة، تعترف أوساط الحاخامات باستشراء الفساد في المجتمع الإسرائيلي، لكنها ترده إلى «الإنترنت»، لذلك دعت الصحف الدينية الإسرائيلية المؤمنين إلى مقاطعة الإنترنت، ومقاطعة التلفاز أيضاً، علماً بأن في الكيان الصهيوني إحدى أعلى نسب حيازة أجهزة الكمبيوتر في العالم. قال إريك شاختر، المحلل في صحيفة جيروزالم بوست: «إن ما يخيف الحاخامات ليست المشاهد الخلاعية والإباحية في شبكة الإنترنت، وإنما البريد الإلكتروني الذي يفتح أمام مستخدميه نوافذ على العالم». أما الحاخام صمويل جاكوبوفتش، مدير شعبة المشكلات المعاصرة في حاخامية (إيداح هارديت) فقد رد على المنتقدين قائلاً: «إن فتوى تحريم الإنترنت قرار بطولي لا مثيل له في تاريخ الديانة اليهودية. فالإنترنت أخطر أداة للعولمة التي تشكل بدورها الخطر الأكبر على القيم الأخلاقية والمثل الدينية».

قتل الهنود الحمر والعرب

وكتبت غريس هالسل: «سألت البروفسور غوردون والتي، عالم الاجتماع والأجناس من جامعة رايت في أوهايو: هل من الأخلاق أن يرفض المسيحيون وجود نحو بليون (ألف مليون) مسلم، وأن يقدموا ملايين الدولارات من أجل تدمير أماكنهم المقدسة؟ أجابني: «إن الإنجيليين الأصوليين الذين يجمعون الأموال لتدمير المسجد الأقصى يمارسون العقيدة نفسها التي مارسها أجدادهم من قبل.. وكما أن بعض المستوطنين المسيحيين في أمريكا وجدوا أن من الصواب قتل الهنود الحمر، سكان أمريكا الأصليين. فإن بعض المسيحيين يجدون الآن أنه من الصواب تقديم المال إلى الصهاينة الذين يقتلون الفلسطينيين»(١٢)، لا يجوز لعربي أن ينسى شعار «ادفع دولاراً تقتل عربياً» الذي كان مرفوعاً في كل أرجاء الولايات المتحدة ضمن حملات التبرع الدائمة لإسرائيل، فذلك الشعار الإجرامي العنصري هو من محاور تربية أجيال متعاقبة بما يفسر عدوانية جارفة باتت فطرية، لا تحجبها أقنعة السياسة وابتسامات خادعة لمصالح عابرة. ولكن هل تستطيع الولايات المتحدة أن تحمي إسرائيل من نفسها وهي تمارس الانتحار بمثل ما تمارس قتل الآخرين وسرقتهم وتدميرهم وإفسادهم؟

المراجع

1 - Newsweek, 30-11-1985.

٢. دوغلاس ريد، جدل حول صهيون، ترجمة غياث كنعو، ط٢، دار الحصاد، دمشق، ١٩٩٨م ص١١٤.

٣. م. ج. بيته، المؤشر العالمي للثورة الروسية، نقلاً عن: الصهيونية، دار النضال، بيروت، ١٩٩٠م ص٢٨٩.

٤. غريس هالسل، النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السماك، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٨٩م ص ١٤٠ - ١٤١.

٥. هيرالد تريبيون، ١٠/٣/١٩٩٧م.

٦. أورينت برس، حوار مع نعوم تشومسكي، الاتحاد، أبو ظبي، ٧/١/٢٠٠٠م

٧. كلام مثير لباحث مستقبلي أمريكي يهودي، الاتحاد، أبو ظبي، ٢٤/٤/٢٠٠٠م ص٢٣.

٨. المصدر السابق.

٩. حوار مع أورينت برس، الاتحاد، أبو ظبي، ٣١/١٢/١٩٩٩م

١٠. إيمانويل هيمان (كاتب يهودي فرنسي)، الأصولية اليهودية، ترجمة سعد الطويل، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م

١١. المحاكم الدينية لحاخامات إسرائيل أكبر مركز عالمي لغسيل أموال المخدرات، المحرر، بيروت، العدد ١٥٥، ٢٩/٨/١٩٩٨م ص١٤.

١٢. غريس هالسل، م. س. ذ. ص١١٧.

الواقعية والتعبيرية في المسرح

زياد الحكيم
لندن - بريطانيا

كثيراً ما يساء فهم هذين المصطلحين على الرغم من أهميتهما. فالواقعية في الدراما ليست (حقيقية)، والتعبيرية ليست (غير حقيقية) فكلتاهما شكل من أشكال الوهم الدرامي. ولكن التقنيات المستخدمة لإحداث هذا الوهم - أي الأساليب المتبعة - مختلفة اختلافاً كبيراً، ولا يملك أي مؤلف مسرحي أن يخلط بين الاثنين.

والواقعية الدرامية في أبسط معانيها هي تقديم الجوانب المختلفة للمسرحية من ديكور وحدث وحوار بالشكل الذي نراه ونسمعه في واقع الحياة. وليس من الضروري أن نكون قد عرفنا أشخاصاً كأشخاص المسرحية من أجل أن نشعر بأن المسرحية واقعية. أما التعبيرية فهي في أساسها استخدام للتشويه على نحو متعمد ومغالي فيه.

الواقعية الدرامية


أنطون تشيخوف

الجمهور يتوقع الملابس أن تكون مألوفة. علاوة على ذلك فإن الجمهور يبني افتراضات معينة تختص بالحوار والحدث. قد يدهش الجمهور لما تقوله أو تفعله شخصية من الشخصيات. ولكنه يفترض أن المسرحية (تعني شيئاً) وأنها تصور أنماطاً مختلفة من الشخصيات.

والأهم من ذلك هو أن الجمهور يتوقع أن تخضع المسرحية الواقعية لما اتُّفِقَ على أنه القوانين الطبيعية للكون.

ينطبق التقليد الواقعي على المناظر والملابس والحوار والحدث كله. وإذا أردنا أن نكون أكثر تحديداً فإننا نقول: إنه عندما يقدم الكاتب المسرحي إلى جمهوره زنزانة سجن وممراً فإنه يشير بذلك إلى أن المسرحية ربما تكون واقعية. وعلى هذا الأساس فإن

إن غرفة الجلوس الواقعية المستخدمة في كثير جداً من المسرحيات مؤلفة من ثلاثة جدران، ولكن غرفة كهذه في الحياة تعدّ غرفة غريبة الشكل. ونحن نعدّها (واقعية) فقط لأننا قبلنا الوهم بأن المسرحية عرض للعالم المألوف لنا. وهذا في أساسه هو العملية

النفسية (السيكولوجية) نفسها التي نقبل بها لوحة واقعية، في الوقت الذي ندرك فيه أنها مجرد عرض للأصباغ على سطح مستو.

وعلينا أن نذكر هنا أن الحوار أيضًا هو مجرد وهم للواقع. وكما أن علو صوت الممثل ووضوح كلماته هما ابتعاد واضح عن السلوك المنزلي العادي، فإن أنماط الكلام ومادة الحديث تخلقان مجرد وهم لأحاديث حقيقية. وعلى سبيل المثال لاحظ رغبتنا في قبول (همسة الخشبة) كما لو كانت همسة حقيقية على الرغم من أن الجمهور في الصفوف الأخيرة يسمعها. أو لاحظ وضوح اللفظ في كلام شخصيات يفترض أن يكون لفظها غير واضح كما هو حال ويلي لومان في مسرحية (موت بائع) أو ستانلي كوالسكي في مسرحية «عربة اسمها اللذة». أو وازن وحدة الفكرة في الحوار خلال مشهد العشاء في مسرحية ميللر (منظر من الجسر)، مثلاً، بفوضى الأفكار في أي عشاء حقيقي.

علاوة على المناظر أو الحوار فإن الفعل الدرامي الواقعي ليس في الحقيقة إلا وهمًا لما يحدث في النشاط المحموم الذي نسميه الحياة. ففي معظم المسرحيات يجب أن نفهم من الخروج والدخول والحركة على الخشبة، حتى الإيماءات البسيطة على أنها وسيلة للكشف عن الشخصية والفكرة، على الرغم من أنها في الوقت ذاته تظهر طبيعية كما يظهر الفعل في الحياة الحقيقية.

الواقعية إذن جملة من الأوهام، ولكنها تحاكي أو تعكس أنماطًا مألوفة في حياتنا اليومية.

التعبيرية في الدراما

تشير التعبيرية في الدراما إلى التشويه الذي نشاهده في القصص الخيالي، وهي تختلف عن التشويه الذي يستخدم في الدراما الواقعية في أنها غالبًا ما تكون واضحة للعيان وصارخة. ويلاحظ الجمهور بسهولة هذا الابتعاد عن الأنماط الحقيقية الحياتية. وسرعان ما يجهز نفسه لنظام منطقي جديد.

في أغلب الأحيان، المناظر على الخشبة هي التي تشير إلى أن المسرحية ستكون تعبيرية. خذ مثلاً مسرحية (آلة الجمع) للكاتب الأمريكي إلمر رايس، وبطلها مستر زيرو محاسب تشغل الأرقام تفكيره على مدار الساعة. إن الديكور الذي وصفه الكاتب في نص المسرحية مكون من غرفة نوم على جدرانها عشرات الأرقام الجاهزة للجمع والضرب والطرح والتقسيم. وهذه الأرقام ما هي إلا إسقاط لما يدور في رأس مستر زيرو. ومسرحية آرثر ميلر (موت بائع) مثلاً مسرحية واقعية إلى حد كبير حول بائع عجوز يعيش فيما يوصف بأنه (نيويورك اليوم)، ولكن ثمة عددًا من التفصيلات التعبيرية في المسرحية بما في ذلك شخصية خيالية تعرف باسم العم بن. والعم بن هذا ضرب من الأسطورة العائلية عرف عنه أنه بنى ثروة في إفريقية وألاسكا، ويبدو كأنه يخرج من العدم، يقول سطوراً ثم يختفي بشكل غامض. ومن الطبيعي أن يتحدث شخص عاقل مع شخص خيالي، وليس من الغريب جداً أن لهذا الحديث بأن يكون مسموعًا. عندما نشاهد العم بن واقفًا



الواقعية: جملة أوهام تعكس أنماطًا مألوفة في حياتنا اليومية

على الخشبة فعلاً فإننا نقبل فرضية أننا في ذهن ويلي لومان بطل المسرحية، وأننا نرى المشهد كما يراه.

الأسلوب نفسه يتوسع ويغدو الأداة الرئيسة في مسرحية يونيسكو (الكراسي). هنا الشخصيات الخيالية تفوق بعددها الشخصين المرئيين على الخشبة. ولو كانت هذه المسرحية واقعية لعددناها دراسة نفسية (سيكولوجية) لشخصين مجنونين تماماً. ولكن منطق المسرحية يصر على أن نفهم المسرحية بصورة رمزية. فَقَلْعتُهُمَا في وسط البحر هي نوع من العزلة التي يشعر كثير من الناس العقلاء بأنهم يعيشون فيها. وأصدقاؤهما هم انعكاسات لحاجاتهما وآمالهما وأوهامهما.

هذه الأمثلة للحوار التعبيري تتضمن بالضرورة الفعل التعبيري. ويلي لومان لا يشاهد نائماً في كرسي عندما يدخل العم بن إلى الخشبة، لأن هذا ليس إيحاء حرفياً بحلم. إنه يقترب من العم بن ويخرج أبناؤه لملاقاته ببساطة لأن المشهد ليس حلماً.



هنريك إبسن

التعبيرية إذن ليست فترة أدبية تجب دراستها كمرحلة متميزة للدراما. إنها أحد القطبين اللذين يزودان الكاتب بعدد وافر من التقنيات. والواقعية والتعبيرية مختلفتان اختلاف خبرة اليقظة وخبرة الحلم. وبعبارة فنية فإنهما مختلفتان اختلاف لوحات هوبر ويث عن لوحات بيكاسو وشاغال.

وعلى الرغم من اختلافهما فمن الخطأ عدّهما مستقلتين تماماً. إن دخول العم بن في (موت بائع) هو وسيلة تعبيرية؛ ومع هذا فإن مشاهد كاملة من تلك المسرحية تعرض بصورة واقعية كما تعرض مسرحيات إبسن أو تشيخوف. ويختلف الكتاب المسرحيون في أسلوبهم من مسرحية إلى مسرحية. فمسرحية آرثر ميللر «بعد السقوط» تعبيرية جداً، ولكنه كتب فيما بعد مسرحية «الثمن» وهي عمل واقعي تماماً لا ينطوي على رأي أثر للتشويه. ويجب أن يعتقد الكاتب المسرحي الممارس أن هاتين التقنيتين المختلفتين هما مجرد مدرستين تاريخيتين. إن كلاً منهما تمثل على الخشبة اليوم تمثيلاً رائعاً، وإن الاعتراف بقيمة كل منهما يعطي الكاتب المسرحي عدداً أكبر من الخيارات.

مسرح العبث

في التقليد التعبيري: هناك عدد من المدارس مثل الدادوية، والسريالية، ومسرح الصدمة. ومعظمها ذو أهمية من وجهة نظر تاريخية فقط. على أن إحدى هذه المدارس كان لها تأثير عظيم في المسرح المعاصر حتى إن كاتباً مسرحياً ممارساً لا يستطيع تجاهلها، هذه المدرسة هي مسرح العبث.

وعلى الرغم من أن الحركة تستعير كثيراً من الدادويين الذين كانوا يكسرون التقليد القديم للمسرحية المصنوعة جيداً قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها وبعدها، فإن مسرح العبث بمعناه المحدد بدأ في الخمسينيات من القرن الحالي واستمر إلى اليوم.

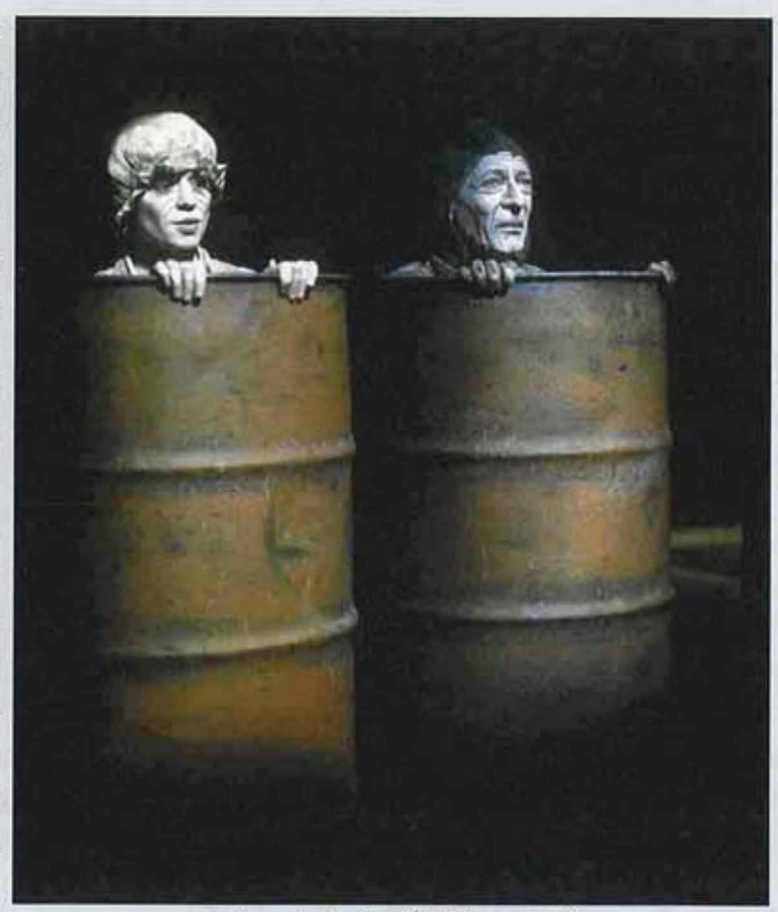
هناك نحو عشرين كاتباً مسرحياً ارتبطوا ارتباطاً مباشراً بالحركة، أشهرهم: يوجين يونيسكو، وصامويل بيكيت، وهارولد بينتر، وإدوارد ألبي، أما جان جينيه، وآرثر أداموف فهما في صفٍ وحدهما. ولكن يجب ضمهما أيضاً إلى تقليد مسرح العبث.

يمكن تعريف الحركة ببساطة شديدة بأنها تتألف من رأيين فلسفيين وثلاث تقنيات درامية مستخدمة لتقديم هذين الرأيين. وهذه الخصائص الخمس موجودة في جميع مسرحيات العبث إلى درجة مدهشة.

أولاً، هناك الرأي بأن الحياة عبث بمعنى أنه ليس لها هدف نهائي أو معنى نهائي. ومفهوم العبث كامن في أعمال الكتاب الوجوديين من أمثال سارتر، وكامو، وتأثيره في الدراما أكبر من تأثيره في القصة أو الشعر. وهو مفهوم يستبعد الإيمان بالتقدم أو الكرامة البشرية أو النزعة الإنسانية أو التطور التاريخي. إن الحياة تغدو عبثاً بهذا المعنى الخاص عندما لا يكون هناك أنماط لتوجيه مسار المرء وأفعاله أو تحديدها.

طويل عقيم في أن أحداً سيصل. وفي مسرحية «النادل الأحمق» يستخدم هارولد بينتر غرفة في قبو كما في مسرحية «نهاية اللعبة»، وحافز الانتظار كما في مسرحية «بانتظار غودو»، ويضيف شيئًا من العنف في النهاية وهو عنف مربك وعديم المعنى وعبثي. وكل هذه المسرحيات تستخدم تعبيرات شاعرية شبيهة بالحلم لتصوير الألم والدعابة الساخرة من دون الاطمئنان إلى قيم مطلقة أو معنى مطلق.

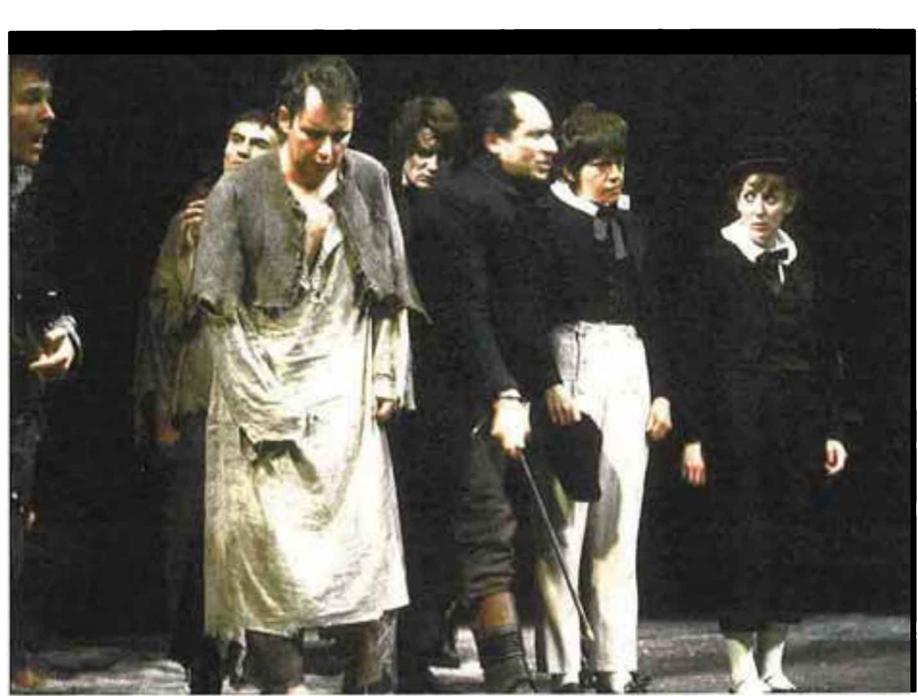
والموقف الفلسفي الثاني لهؤلاء الكتاب المسرحيين هو النزعة المناهضة للعقلانية التي تنطوي عليها أعمالهم. فالعقل، في نظرهم، لن يحل أي مشكلة. وينظر هؤلاء الكتّاب إلى محاولات اللجوء إلى العقل بأنها خداع للذات. لقد رفض الإيمان بالفكر العقلاني الذي هيمن على القرن التاسع عشر إلى حد كبير، ورفض الأمل في التقدم الاجتماعي. إن التعلم عديم الجدوى في عالم لا مستقبل له. ويغدو الماضي نسخة شاحبة فقط للحاضر في التنبؤ بالصورة التي سيكون عليها المستقبل.


كان لمسرح العبث تأثير عظيم في المسرح المعاصر

ليس من المستغرب والحال هذه أن نرى شخصيات مثل المدرس في مسرحية يونسكو «الدرس» الذي يغدو قاتلاً، والخطيب في مسرحية «الكراسي» وهو الرجل الذي سينشر في العالم رسالة الحق والعدل يغدو رجلاً أبله لا تعدو لغته كونها أصواتًا مبهمة. وفي مسرحية «نهاية للعبة» يمضي الآباء والأمهات حياتهم في أوعية النفايات. ففي عالم يفتقر إلى المعنى فإن المدرسين والآباء والأمهات ورجال الكنيسة والمسنين هم أكثر الناس حماقة.

وإذا انتقلنا من الموقف الفلسفي إلى التقنية فإننا نرى أول ما نرى اعتماداً كبيراً على الأسلوب التعبيري. إن كل مسرحية تقريبًا تعدّ من مسرحيات العبث هي مسرحية خيالية. وفي الحقيقة هناك ميل إلى إيجاد مشهد لماذا لا ينتحر الإنسان في مثل هذه الظروف؟ عالج كامو هذا السؤال بالتحديد في مقاله (أسطورة سيسيفوس). وبطريقة أو بأخرى فإن جميع الكتّاب المسرحيين الذين يضمهم تقليد مسرح العبث فعلوا الشيء ذاته في أشكال درامية. لا تقدم المسرحيات حلولاً. فهي مجرد أفكار تحاول أن تستكشف كيف يعيش الإنسان في عالم يفتقر إلى المعنى تماماً. في العادة يتم هذا من خلال استعارة مركزية؛ ففي مسرحية يونيسكو «الكراسي» الحياة تشبه العيش في قلعة في وسط البحر على أمل وحيد هو اصطناع «رسالة» للعالم كحافز للعيش.

وفي مسرحية بيكيت «نهاية اللعبة» الاستعارة هي غرفة في قبو حيث منظر العالم من خلال نوافذ صغيرة غير واضح. وفي مسرحية «بانتظار غودو» الحياة أمل



الواقعية مازالت موجودة في المسرح المعاصر بمزاياها الكثيرة

خيالي يقوم بوظيفة استعارة أساسية للتعبير عن الفكرة الإيحائية للمسرحية. والمناظر عادة مستقلة عن الزمان والمكان، والحدث أيضاً غير منطقي، والحوار مملوء بمغالطات منطقية.

والخاصة الثانية للتقنية هي استخدام الدعابة المظلمة. وهي مظلمة بمعنى أن الموضوعات مثل القسوة والجريمة والانتحار غالباً ما تتحول إلى عناصر هزلية. ففي مسرحية يونسكو (الكراسي) مثلاً ينتحر الزوجان العجوزان بالقفز من إحدى نوافذ قلعتهما. إن نصف الجمهور تقريباً يشعر بالإشفاق عليهما في حين أن النصف الآخر يستجيب لانتحارهما بالضحك. فالفعل هو في الوقت ذاته تراجيدي وهزلي على نحو عبثي.

ومصدر الهزل في أمثلة أخرى هو عدم قدرة الأفراد على التفاهم فيما بينهم بوضوح. إن كلاً من هارولد بنتر ويوجين يونيسكو يستخدمان أقوالاً لا علاقة لها بالحديث، وتجيب الشخصيات إجابة لا علاقة لها بالسؤال المطروح، ويجعلان شخصياتهما تردد عبارات لا معنى لها، ويوليان مشكلة الاتصال الإنساني اهتماماً كبيراً. وتتمثل هذه المشكلة في عدم قدرتنا على الإصغاء بالشكل المطلوب، وعلى التكلم بدقة، وعلى إدراك عواطف الآخرين.

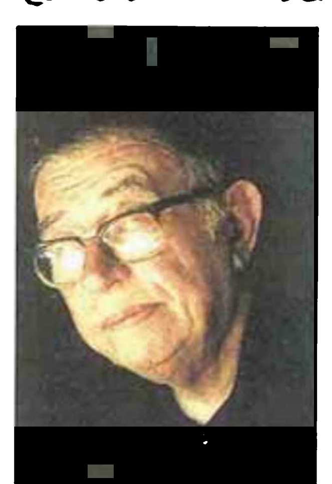
وتقوم الدعابة أحياناً بدور ساخر. فمسرحية يونيسكو «المغنية الصلعاء» في الواقع مجموعة من المشاهد الهزلية غير المترابطة التي تسخر من مواقف الطبقات الوسطى، وبصورة أخص الطبقات الوسطى البريطانية ورسمياتها. وأكثر هذه المشاهد نجاحاً هو المشهد الذي يتحدث فيه رجل وامرأة حديثاً مهذباً ثم يكتشفان أنهما من المدينة ذاتها، ومن الشارع ذاته، ومن البيت ذاته. إنهما يكتشفان أخيراً أنهما زوج وزوجة.

إن سخرية ألبي الموجهة إلى الأم والأب في «صندوق الرمل» أكثر حدة في «الحلم الأمريكي» حيث تغالي الشخصيات باستخدام «كليشيهات» الطبقات الوسطى، وتتحول هذه «الكليشيهات» إلى تشويهات خيالية في أسلوب يماثل أسلوب يونيسكو، وسخرية بنتر أكثر حدة إذ يدرك الجمهور أنماطاً شخصية معينة، وحالات اجتماعية معينة هزلية على نحو غريب من خلال التشويهات. هذا على الرغم من أن عمله ليس مقصوداً به السخرية.

وليست جميع مسرحيات العبث هزلية. ولكن لما كانت أغلبية هذه المسرحيات مضحكة إلى حد ما - على الأقل بطريقة مشوهة - فإنها تشير إلى مشكلة خاصة في هذا النمط من المسرحيات. إن الافتقار إلى بنية درامية، وهو ما يميز كثيراً جداً منها، يجعل مسرحيات العبث بحاجة إلى تقنية بديلة ليواصل الجمهور اهتمامه، والهزل حل طبيعي.

ويعيد مارتن إسلين في كتابه «مسرح العبث» هذا العنصر الهزلي إلى الدراما الوسيطة وعروض المهرِّجين والبهلوانيين في العصر الوسيط. ويرى أيضًا تأثيرات من مصادر حديثة مثل المسرحيات القصيرة الهزلية التي تشتمل على أغنيات ورقص وأفلام صامتة. وهذا واضح بشكل خاص في مسرحيات مثل «بانتظار غودو» وإذ يتعين على الكاتب المسرحي أن يسلي جمهوره ساعتين ونصف الساعة من دون قصة.

والخاصة الثالثة لمسرحيات العبث هي الطبيعة الساكنة؛ فبدلاً من تطوير حدث درامي نحو ذروة ما، فإن هذه المسرحيات تدرس حالة أساسية واحدة دون أن تطورها. في مسرحية «الكراسي» مثلاً يقيد يونيسكو نفسه بشخصيتين تعيشان في قلعتهما في وسط البحر.



جان بول سارتر

ولكنه يستكشف اهتمامات زوجين عجوزين تحت هذه الظروف. فهو يقدمهما أولاً شخصين متعاليين، ثم شخصين يشبهان الأطفال في سلوكهما، وبعد ذلك شخصين متواضعين متبجحين، ثم شخصين يملؤهما تفاؤل مرضٍ في مواجهة عالم بلا معنى. والمسرحية سلسلة من المقاطع الشعرية التي تعالج مشكلة الوجود الإنساني.

ربما يكون هذا هو السبب في أن كثيراً جداً من المسرحيات المكتوبة وفق هذا التقليد أو المتأثرة به تلجأ إلى هزل غريب، أو إلى وسيلة لصعق الجمهور مثل العنف والعري. إن تجريد الدراما من حبكتها يزيل واحدة من التقنيات الأساسية للتأثير العاطفي، ويضطر الكاتب المسرحي إلى إيجاد بديل لها.

ولمسرح العبث تأثير عظيم في الفن المسرحي المعاصر، ولكنه لم يستول عليه استيلاء كاملاً. فالمسرح الأسود الأمريكي نادرًا ما يلجأ إلى أسلوب العبث لأن هناك معنى وعقيدة في الاحتجاج. وكثير من الكتّاب المسرحيين البيض الأصغر سنًا مثل لانفورد ويلسون يجدون قوة في الحبكات الدرامية الغريبة الواقعية، أي في الحياة عندما ينظر إليها من زوايا جديدة. حتى إن بعض مؤسسي تقليد العبث قد ابتعدوا عنه أحيانًا، فهذا إدوارد ألبي يخرج على التقليد إلى حد ما في مسرحية «صندوق الرمل» في أنه بنى حبكة (تؤدي إلى موت بطولي في التقليد القديم) وشخصية مؤثرة واقعية تحظى باحترامنا. وهو خارج مسرح العبث تماماً في مسرحيات مثل «موت بيسي سميث» وهي تصوير درامي لحدث تاريخي - الليلة التي توفيت فيها مغنية البلوز السوداء الشهيرة لأن مشفى أبيض لم يستقبلها للمعالجة.

وحتى يوجين يونيسكو خرج عن الشكل الساكن في مسرحيته «خروج الملك»، وهي مسرحية خيالية عن تقبل الإنسان للقواعد الأخلاقية. وعلى الرغم من أن البيئة في المسرحية تعبيرية إلا أن الملك وحاشيته يمران بسلسلة من الأحداث ذات بنية شبيهة بالمأساة الإليزابيثية.

مازالت الواقعية موجودة في المسرح المعاصر بمزاياها الكثيرة. فهي تستحوذ على خيال الجمهور، وإذا تم بناؤها بمهارة فإن لحبكتها تأثيرًا دراميًا في سلسلة من الذرا طوال العرض. وهي مفيدة في التعبير عن الهموم الأخلاقية والاجتماعية في عصرنا. وأسوأ ما في التقليد الواقعي هو أنه يقدم للكاتب المبتدئ فرصة للإفادة من الشخصيات الجاهزة، والحوار المبتذل، والموضوعات التقليدية.

أما التعبيرية من أي نوع - ومسرح العبث بشكل خاص - فإن لها المزايا والصعوبات ذاتها التي يتصف بها الشعر الحر. فهي تقدم نوعًا من الحرية يحتاج إليه كل فنان، ولكنها في الوقت نفسه تستبعد البنية التي يحتاج إليها كل فنان. والمشكلة هي ألاّ يستطيع الكاتب أن يقدم حافزًا جديدًا يبقى متحركًا وحيًا.

عشيرة اللغات الإفريقية الآسيوية

الطاهر محمد داود
كانو - نيجيريا

تعرف هذه العشيرة أيضا باللغات السامية الحامية، وهي واحدة من العشائر اللغوية السبع عشرة التي تكون لغات العالم(١)، وتضم الإفريقية الآسيوية ٢٤٠ لغة تنتشر في الثلث الشمالي من إفريقية وشبه الجزيرة العربية. من أهمها لغتنا العربية وتليها في الأهمية العددية لغة هوسا في شمال نيجيريا وجنوب جمهورية النيجر، ثم اللغة الأمهرية ولغة أورومو وشلها في الحبشة، والعبرية (لغة اليهود) وتمازيغات في شمال إفريقية، والصومالية في منطقة القرن الإفريقي(٢).

وتتوزع لغات هذه العشيرة على أربع فصائل رئيسة هي: اللغات السامية، واللغات الكوشية، واللغات البربرية، واللغة المصرية القديمة، وفرع خامس شبه مجهول لدى القارئ العربي يعرف باللغات التشادية.

تطور الدراسات في اللغات الإفريقية الآسيوية

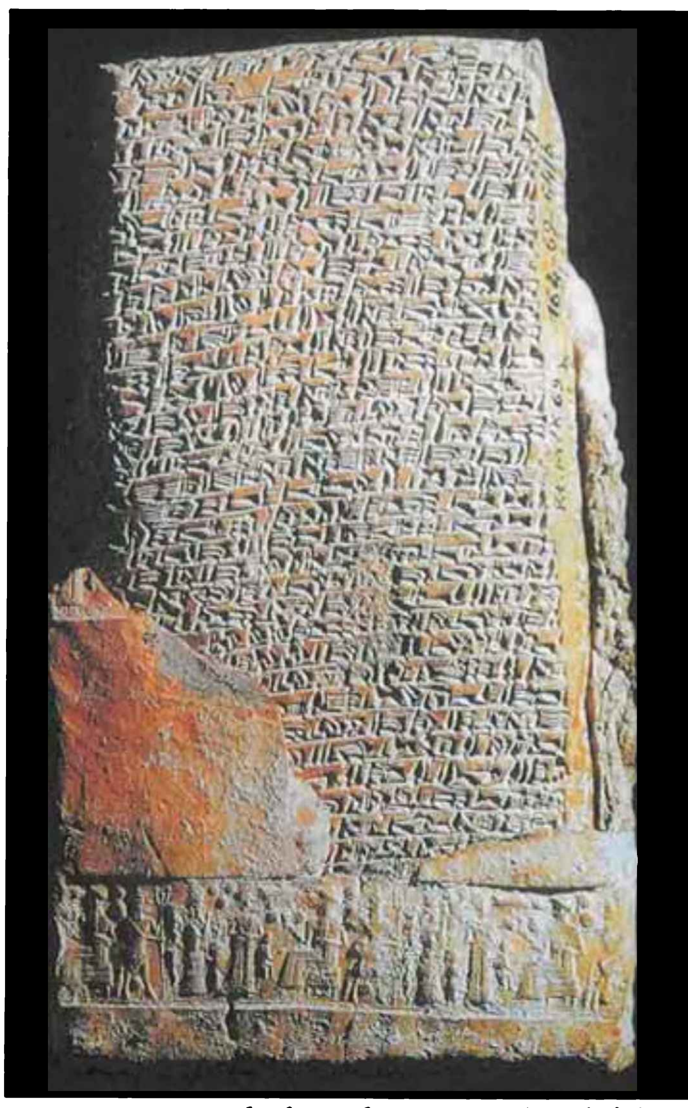
كان فرع اللغات السامية أول فروع المجموعة الإفريقية الآسيوية الذي عرفه العلماء الأوربيون لأسباب ثقافية وجغرافية، فمنذ عام ١٥٣٨م تحدث العالم الفرنسي غيوم بوستال Guillaume Postal عن صلة القربى بين العربية والآرامية والعبرية، وكانت هذه الحقيقة معروفة من قبل ذلك لدى اليهود والمسلمين(٣)، فقد لاحظ اليهود (العبريون) في الأندلس عند فتح العرب لتلك البلاد الشبه الشديد بين لغتهم العبرية ولغة العرب الفاتحين(٤).

ثم توسعت هذه الدراسة لتشمل عدداً كبيراً من اللغات التي سادت في منطقة الشرق الأوسط؛ وهي اللغات التي عرفت (باللغات السامية)، فقد اتضح للعلماء أنها تشكل أسرة لغوية ذات أصل واحد. كما امتدت هذه الأبحاث لتضم مجموعة أخرى من اللغات هي (اللغات الحامية) فقد تبيّن أيضًا أنها ذات صلة باللغات السامية؛ وبذلك سموا هذه المجموعة بالعشيرة (الحامية - السامية) Hamito-semitic.

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر أصبح فرع (اللغة المصرية القديمة) وفرعا (البربرية والكوشية)

مجموعة أسرية واحدة متميزة عرفت بالأسرة الحامية. وفيما بعد أضاف العلماء فرعاً رابعاً إلى هذه الأسرة هو فرع (اللغات التشادية Chadic). وأول لغة من اللغات التشادية يتم إلحاقها بالأسرة الحامية، هي: لغة هوسا Hausa. «فقد ذكر عالم اللغات البربرية فرانسيس نيومان Francis w Newman صلة لغة هوسا بالأسرة الحامية السامية في عام ١٨٤٤م وهي الصلة التي قبلها العالمان ماكس مولر Max Muller في عام ١٨٥٠م، وكارل لبسيس Karl Lepsiusفي عام ١٨٦٠م. ثم ظهر أن لغة هوسا واحدة من مجموعة لغات عرفت باللغات التشادية(٥). وكان الباحثون حتى وقت قريب يميلون إلى عدّ كل المجموعة غير السامية في العشيرة الحامية السامية، أسرة لغوية واحدة تعرف بالحامية، ولكن الدراسات الحديثة أثبتت أنه من الناحية اللغوية ليست هناك قاعدة يبنى عليها تميز سلالة بشرية أو لغوية باسم (الحامية) (٦).

وكانوا يقسمون العشيرة الحامية السامية مجموعتين رئيستين هما: الأسرة السامية والأسرة الحامية، ثم قسموا الأسرة الحامية أربع شعب هي: المصرية القديمة Ancient Egyptian، والبربرية Berber، والكوشية Shitic، والتشادية Chadic. وفي عام ١٩٥٠م جاء العالم جوزيف هـ. جرينبرج Joseph H. Greenberg بتقسيم جديد، فيه بعض التعديلات على التقسيم السابق(٧).



اللغة الأكدية تعرف في بعض المراجع باللغة المسمارية نسبة إلى الخط المسماري السومري

أولاً: غيّر جرينبرج اسم العشيرة من (الحامية السامية) إلى (الإفريقية الآسيوية) وكان هذا المصطلح قد استعمله قبله ديلافوس Delafosse منذ عام ١٩١٤م. وقد اختار جرينبرج هذا الاسم الجديد لأن مصطلح (الحامية) ليس له أدلة لغوية تسنده كما سبق أن أشرنا.

ثانياً: عدّ جرينبرج أفراد ما كان يعرف بالأسرة الحامية، أسراً مستقلة كل واحدة منها على قدم المساواة مع الأسرة السامية.

ولا يقصد جرينبرج أن كل فرع من هذه الفروع يبعد عن الآخر بعداً شاسعاً، ولكنه أراد تصحيح الخطأ في جعل المصرية القديمة والبربرية والكوشية في مجموعة واحدة هي الحامية.

ثالثاً: أكد هذا العالم بالأدلة اللغوية انتماء فرع اللغات التشادية التي تنتمي إليها لغة هوسا إلى العشيرة الإفريقية الآسيوية. وفيما يأتي نتناول فروع هذه العشائر الخمس كل واحدة على انفراد.



يرى بعض العلماء أن المصرية أقرب إلى السامية من أختيها البربرية والكوشية

اللغة المصرية القديمة

سادت هذه اللغة في أرض مصر، ولكنها انقرضت منذ القرن السابع الميلادي عندما تغلبت عليها اللغة العربية مع الفتح الإسلامي لمصر. ومن آثار اللغة المصرية القديمة الكتابات والنقوش التاريخية العظيمة التي خلفتها الحضارة الفرعونية، كذلك تعدّ اللغة القبطية صورة من تلك اللغة. وقد كانت القبطية لغة الدولة المصرية المسيحية قبل أن تقضي عليها العربية، وتبقى من آثار القبطية استعمالها في بعض جمل الكتاب المقدس لأغراض دينية في الكنائس.

تقول المصادر التاريخية: إن سكان مصر القدماء كانوا مزيجاً من عناصر سامية وحامية مختلطة، بعضها زنجي وبعضها ليبي (بربري)(٨). أما لغتهم فمن القضايا التي لجّت فيها الآراء، وتضاربت حتى إنك لتجد بعض الباحثين ينسب هذه اللغة إلى الفصيلة الحامية، ثم لا يلبث أن يعود فينسبها إلى الفصيلة السامية(٩). بينما في الحقيقة، المصرية ليست سامية أو حامية (بربرية)، ولكنها فرع مستقل من عشيرة واحدة مع تلك اللغات.

ومما يؤكد اندراج اللغة المصرية القديمة في عداد المجموعة الإفريقية الأسيوية، ما اتضح للعلماء من وجوه الشبه بين اللغة المصرية واللغات البربرية والكوشية والسامية. ونورد هنا بعض الأمثلة على شبه المصرية بالساميات كما رصدها الدكتور عبد المنعم محمد حسن الكاروري(١٠):

يؤكد اندراج اللغة المصرية القديمة في عداد المجموعة الإفريقية الآسيوية، ما اتضح للعلماء من وجوه الشبه بين اللغة المصرية واللغات البربرية والكوشية والسامية

- في الأصوات: في المصرية كثير من الأصوات التي تشبه أصوات الساميات مثل: الهمزة، والحاء، والعين، والقاف التي لا توجد في اللغات الهندية الأوربية وإن كانت العين والقاف قد أميلتا في فرعها القبطي.
- الضمائر المتصلة والمنفصلة: كياء المتكلم «أبي» في المصرية «قلبي». كاف المخاطب «نحتك» أي حقلك. نون الجمع «نوت» أي مدن و«نوتن» أي مدننا. أنتم، في المصرية «أنتو».
- الأسماء، ففي المصرية مفرد ومثنى وجمع، وفيها جامد ومشتق، وظرف زمان ومكان، وتذكير وتأنيث «تأنيث معنوي وتأنيث بالتاء» ونعت يتبع المنعوت،

وعطف بالحروف، وإضافة مباشرة أو باللام على نحو «كتاب لمحمد»، وحال وتمييز وإعلال، وجملة اسمية وأخرى فعلية ونسب بالياء مثل «نت»أي مدينة و«نتي» أي مدينتي.

ـ الأفعال: في المصرية الفعل بأزمانه، وفيها تعدية الفعل بالتضعيف وكذلك تغيير المعنى به مثل «سن» أي أخ وتقابل «صنو» العربية، ويضعفونها «سنسن» لتعني آخى ويؤاخي ونحو ذلك وفيها تكوين المضارع بوضع الضمير في أول الفعل.

ـ الأعداد: تشارك المصرية السامية في سبعة أعداد.

ـ تشارك المصرية السامية في سيادة المصادر الثلاثية وهي خاصية تميزها من غيرها، وفيها اشتقاق اسم الآلة بتصدير الميم مثل «حنى» أي جدف يشتقون منها محنت أي المعبر «المعدية»، وفيها كثير من أوجه الشبه بالساميات في البناء، وفيها زيادة أهمية الأصوات الساكنة على أصوات اللين في دلالة المفردات ونطقها.

ويلاحظ على المصرية أنها تبتعد عن الساميات ابتعاداً أكبر مما تبتعد المجموعتان البربرية والكوشية. فهي تفتقد ميزة مشتركة بين السامية والحامية، وهي تصريف الأفعال، كما أنها تكون الأسماء بطريقة خاصة بها(١١).

اللغة الأوغاريتية واحدة من اللغات الكنعانية وتعرف بلغة رأس شمرة

هذه ملاحظة الدكتور عبد المنعم محمد الحسن الكاروري على اللغة المصرية، ولكن بعض العلماء يرون أن المصرية أقرب إلى السامية من أختيها البربرية والكوشية. مثلاً يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي(١٢): وقد ظهر للباحثين وجوه شبه كثيرة بين اللغات السامية من جهة وكل من مجموعتي اللغات البربرية والكوشية من جهة أخرى، وخاصة في النواحي المتعلقة بالصرف والاشتقاق. غير أن وجوه شبهها باللغات السامية أقل كثيراً من وجوه الشبه بين اللغات السامية والمصرية القديمة. وقد اختلف العلماء في تعليل ذلك. فبعضهم يرى أن اللغات السامية والمصرية والبربرية والكوشية هي أربع مجموعات لفصيلة واحدة غير أن انفصال البربرية والكوشية عن السامية قد حدث قبل انفصال المصرية عن السامية بزمن طويل، ولذلك كانت مسافة بعدهما عن السامية أكبر من مسافة بعد المصرية عنها ونعتقد أن الفريقين قد نظرا إلى القضية من زاوية ضيقة مما أوقعهما في هذا التناقض؛ وذلك

لأنهما عدّا اللغة المصرية والبربرية والكوشية أفراداً من أسرة واحدة هي الحامية، بينما السامية أسرة قائمة بذاتها توازي الحامية. ونميل إلى الاعتقاد أن الصواب هو كما ذكر جرينبرج أن كل هذه اللغات مضافاً إليها اللغات التشادية لغات مستقلة، ولكن من عشيرة واحدة فبسبب استقلالها اختلفت بعضها عن بعض في بعض النواحي، ولأنها من عشيرة واحدة تشابهت بعضها مع بعض في النواحي الأخرى.

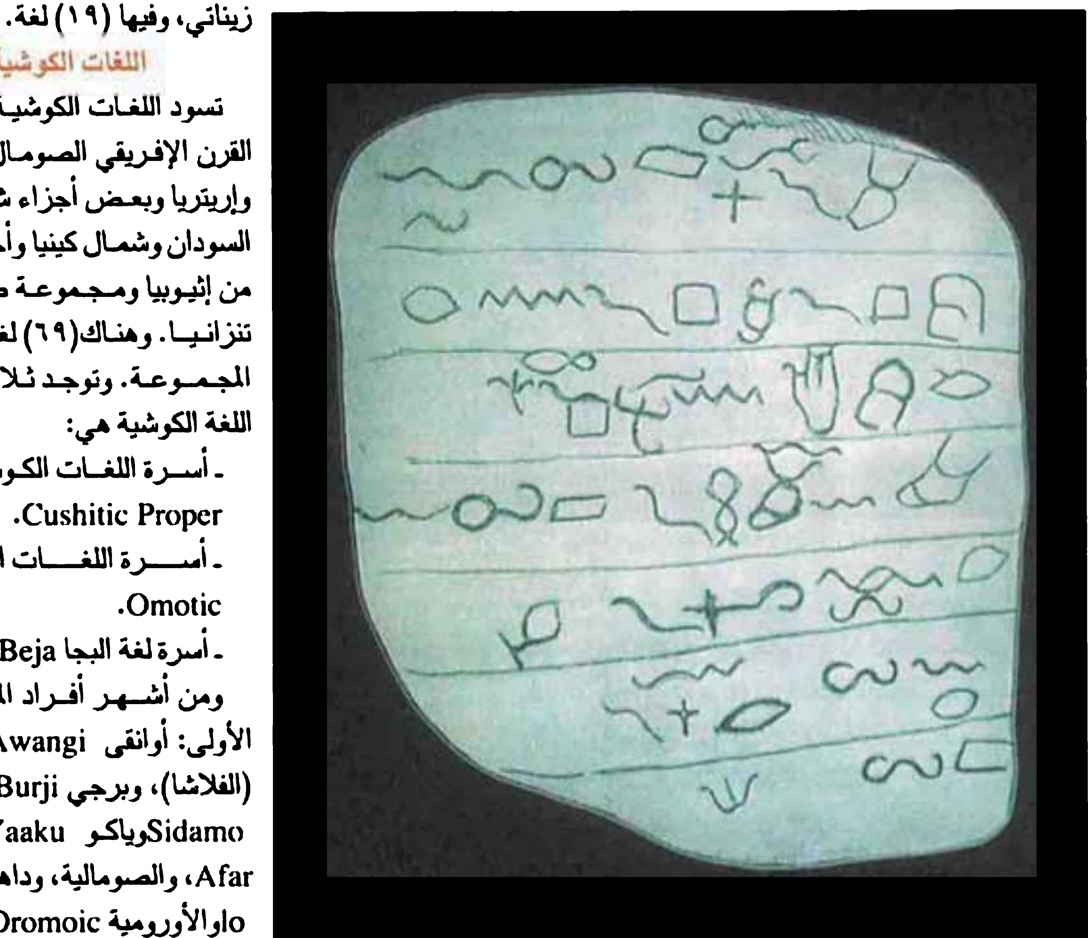
اللغات البربرية

سادت هذه اللغات في شمال إفريقية قبل أن تتغلب عليها العربية في القرن السابع الميلادي. ولكن لم تنقرض البربرية تماماً كما حدث للمصرية، إذ إنها حتى اليوم موجودة في أرجاء متفرقة من المغرب والجزائر بصفة رئيسة ثم في تونس وليبيا وموريتانيا ومالي والنيجر بأعداد أقل. ومعظم البربر اليوم، الرجال خاصة، يتحدثون العربية بجانب لغتهم الأم(١٣)، مما يوحي أن العربية ما تزال تهدد البربرية في عقر دارها.

وتنقسم اللغات البربرية ثلاث مجموعات رئيسة هي:

- غوانشي Guanche.
- اللغة النوميدية وهي اللغة الليبية القديمة East numidian.
- اللغة البربرية القح: Proper Berber.

وقد انقرضت المجموعتان (الأولى) و (الثانية) وبقيت المجموعة الأخيرة، وفيها (٣٠) لغة منها ما يأتي: أواجلا، وسوكنا، وتامهاق، وتمازحيق، وتماشيق، وزيناق، وشلحا، وتمازيغت، وكابيلي ومجموعة زيناتي، وفيها (١٩) لغة.



السينائية لغة استخدمها الكنعانيون في صحراء سيناء

اللغات الكوشية

تسود اللغات الكوشية في منطقة القرن الإفريقي الصومال وجيبوتي وإريتريا وبعض أجزاء شمال شرق السودان وشمال كينيا وأجزاء كبيرة من إثيوبيا ومجموعة صغيرة في تنزانيا. وهناك(٦٩) لغة في هذه المجموعة. وتوجد ثلاث أسر في اللغة الكوشية هي:

- أسرة اللغات الكوشية القح Cushitic Proper.
- أسرة اللغات الأوموية Omotic.
- أسرة لغة البجا Beja.

ومن أشهر أفراد المجموعة الأولى: أوانقى Awangi كيمنت (الفلاشا)، وبرجي Burji، وسيدامو Sidamoوياكو Yaaku، وعفار Afar، والصومالية، وداهالو Daha-loوالأوروموية Oromoic.

وقد ظهرت آراء حديثة حول عدّ

اللغات الكوشية بفروعها الثلاثة أسرة واحدة في العشيرة الإفريقية الآسيوية، أو عدّ كل فرع منها مستقلاً عن الآخر. مثلاً في عام ١٩٦٩م أشار اللغوي الأمريكي هارولد فليمين Harold c. Fleming إلى أن الأوموية ليست من ضمن الفرع الكوشي، بل هي فرع مستقل يكون الفرع السادس في العشيرة الإفريقية الآسيوية. ووجد هذا الاقتراح قبولاً قوياً في السبعينيات. وأخيراً ظهر انتقاد لضم الفرع الشمالي للمجموعة الكوشية، واقترح جعل هذا الفرع المعروف باسم البجا فرعًا مستقلاً أيضًا(١٤). وفي عام ١٩٨٠م اقترح هيترزون Heterzon إعادة تقسيم المجموعة الكوشية، وعليه يقول: إنها لا تشمل الأوموية والبجا(١٥).

ويكاد الآن يكون هناك إجماع على أن العشيرة الإفريقية الآسيوية تشمل المصرية القديمة والسامية والبربرية والتشادية كأصول مستقلة. أما الاختلاف ففي الفرع الكوشي أهو فرع واحد أم فرعان أم ثلاثة أصول؟ اعتماداً على من يجعل فرع البجا والأومو.

فكرة انتماء اللغات التشادية إلى العشيرة الإفريقية الآسيوية لم تمض بسهولة ويسر، بل أبدى الاعتراض عليها نفر من العلماء ولا سيما الذين سيطرت على أفكارهم مبادئ علم الأجناس البشرية

اللغات السامية

اللغات السامية(١٦) إحدى فصائل العشيرة الأفريقية الآسيوية، كما سلف الذكر في الفصل السابق. وتضم هذه الفصيلة عشرين لغة تمثل اللغة العربية وحدها نحو ٨٣٪ من مجموع عدد المتحدثين بهذه اللغات.

الموطن الأول للشعوب السامية

يقطن الساميون الآن شبه جزيرة العرب وشمال إفريقية، أما موطنهم الأصلي فتلك قضية تضاربت حولها الآراء(١٧)، وفيما يأتي مجمل لتلك الاختلافات:

أولاً: يقول بعض العلماء: إن الموطن الأول للساميين يقع في منطقة أرمينيا على الحدود الفاصلة بينها وبين كردستان. بل منهم من ذهب إلى أبعد من ذلك قائلاً: إن هذه المنطقة هي المهد الأصلي للأمم السامية والأمم الهندية الأوربية أيضًا.

اللغة الفينيقية هي لغة سكان البحر المتوسط في منطقة الشام

ثانيًا: نظرت مجموعة أخرى منهم إلى التشابه بين اللغات السامية واللغات الحامية (البربرية والكوشية) فقالت: إن موطن الساميين كان في إفريقية في بلاد الحبشة أو شمال إفريقية.

ثالثًا: اعتمد آخرون على محتويات النقوش التي عثر عليها في رأس شمرة(١٨)، وذهبوا إلى أن الموطن الأصلي للساميين هو بلاد العموريين في شمال سورية.

رابعاً: يرى فريق من العلماء أن مهد الساميين يقع في بلاد ما بين النهرين (في المجرى الأوسط لنهر دجلة أو منطقة جنوب نهر الفرات) وبرهنوا على صحة دعواهم

بسرد طائفة من الكلمات وجدت في كل الألسن السامية، وهي ذات علاقة قوية بطبيعة تلك المنطقة.

خامساً: تميل طائفة كبيرة من العلماء إلى الرأي القائل بأن جزيرة العرب - من غير تحديد لمنطقة معينة فيها - كانت الموطن الأصلي لكل الشعوب السامية، واستدلوا على ذلك بجملة أمور منها:

قول الأستاذ محمد الأنطاكي(١٩): «إن التاريخ القديم قد صرح بنزوح كثير من الأمم السامية من هذه الجزيرة، مثل: الأكديين والكنعانيين وغيرهم، وإن جميع الأمم السامية تغلب عليها صفات البداوة، والأخلاق الصحراوية، ولا تفسير لذلك إلا أن تكون هذه الأمم قد عاشت أدواراً من حياتها الأولى في منطقة صحراوية، وهذه المنطقة هي جزيرة العرب لا غيرها(٢٠)، أيضاً مما يدعم هذا الرأي قولهم: إن الدراسات الجيولوجية قد أثبتت أن منطقة الجزيرة العربية قد كانت خصبة في عهد ما قبل التاريخ، وقد كانت فيها ثلاثة أنهر؛ مما يجعلها جذابة لسكنى الناس».

هذا مجمل الآراء حول موطن الساميين، وقد يتسنى لنا التوفيق بين الرأي القائل: إن الوطن السامي الأول كان في إفريقية والرأي القائل إنه في جزيرة العرب؛ وذلك بأن نقول: إن إفريقية كانت الموطن الأول، ثم هاجرت منها الفصيلة السامية، واستقرت في جزيرة العرب، ومنها كانت هجرات الأسر السامية المختلفة إلى العراق والشام وغيرها. ومما يقوي هذا الزعم الآتي:

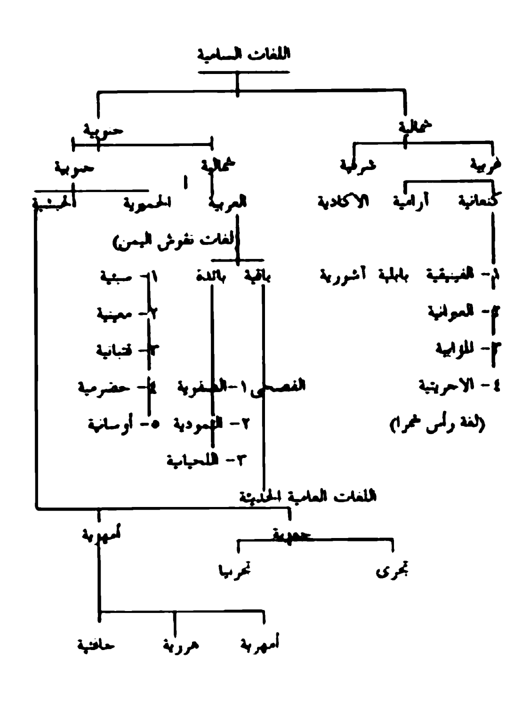
أولاً: يلاحظ أن كلّ فصائل العشيرة الإفريقية الآسيوية موجودة في إفريقية (السامية في الحبشة، والمصرية في مصر، والبربرية في شمال إفريقية، والكوشية في القرن الإفريقي، والتشادية في منطقة بحيرة تشاد وغربها)، بينما لا نجد تمثيلاً لأي فصيلة من هذه الفصائل في القارة الآسيوية غير اللغة السامية. وهذه الملاحظة تجعلنا نميل درجة أخرى إلى قبول رأي الذين قالوا: إن السامية نفسها قد كانت بدايتها في إفريقية مثل بقية أخواتها من الإفريقيات الآسيويات.

ثانياً: وجود منافذ طبيعية بين إفريقية وجزيرة العرب في برزخ السويس عبر سيناء أو جنوباً عبر باب المندب حيث يضيق البحر الأحمر مما يسهل اجتيازه.

دونت اللغة الجعزية بالخط الحبشي القديم (منذ عهد ملوك أكسوم)، وهو خط مشتق من الخط المسند اليمني، ومن خصائص الجعزية عدم التمييز بين المذكر والمؤنث في الأسماء كما تنقص الجعزية أداة التعريف

وهذا يعطي تفسيراً للكيفية التي تمكنت بها الفصيلة السامية من الهجرة من إفريقية إلى جزيرة العرب.

ثالثاً: اكتشف علماء الآثار في إفريقية أقدم الآثار البشرية في العالم مما دعاهم إلى القول: إن إفريقية كانت موطن الإنسان الأول ومنها تحركت الهجرات إلى مختلف بقاع الأرض(٢١). وإذا صحّ هذا، فإن الهجرة السامية إلى الجزيرة العربية ما هي إلا حلقة متأخرة من سلسلة هجرات الإنسان من موطنه الأصلي إفريقية إلى سائر أنحاء العالم الفسيح.



الجدول (١)

اللغة السامية الأولى:

عندما حاول الباحثون تحديد موضع معين كأول أرض نشأ فيها الجنس السامي، اختلفوا في ذلك اختلافًا بينًا. وقد حدث الأمر عينه حول تعيين اللغة السامية .فمنهم من قال: إن العبرية هي أمّ الساميات، بل هي أقدم لغة إنسانية على الإطلاق، ومنهم من زعم أنها الآشورية أو البابلية، وفريق ثالث رأى أن العربية هي أقرب اللغات إلى اللغة الأولى(٢٢).

ويحظى الفريق الأخير بتعاطف أكبر بين العلماء وذلك لما أورده هذا الفريق من الحجج المتعددة المتمثلة في الآتي:

أولاً: احتفظت العربية بعناصر سامية قديمة أكثر مما نجده في أي لغة سامية أخرى؛ وذلك في الأصوات وفي ظواهر الإعراب ونظامه الكامل وصيغ جموع التكسير، وغير ذلك من الظواهر اللغوية التي يؤكد الدارسون أنها كانت سائدة في اللغة السامية الأم(٢٣).

ثانياً:لم تخالط العرب غيرها كثيراً ولم تدخل طويلاً تحت حكم أجنبي(٢٤)، وهذا مما ساعدها على الاحتفاظ بخصائصها اللغوية نقية من الشوائب.

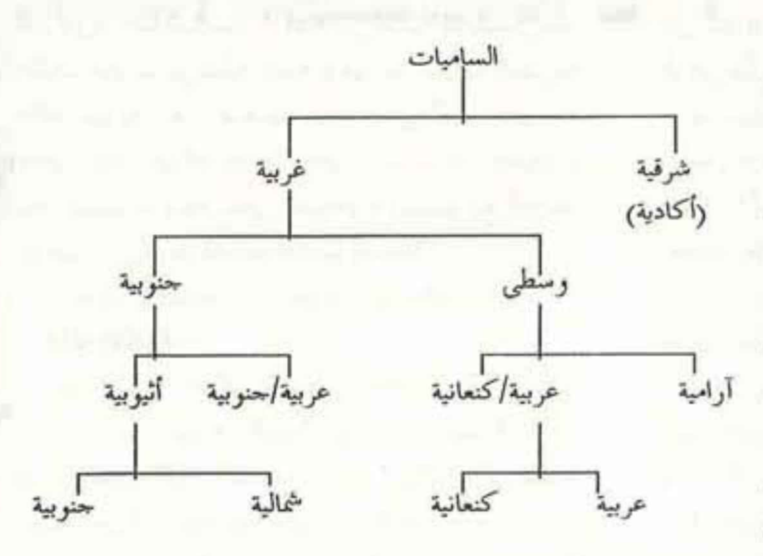
أسر اللغات السامية:

عندما استعمل العلماء الأوربيون ـ قرب نهاية القرن الثامن عشر ـ مصطلح «الساميين» كانوا يرمزون به إلى أبناء سام من الآراميين والآشوريين والعبرانيين، ولكن مع مرور الوقت اتسع نطاق مدلول هذا اللفظ، نتيجة ازدياد المعرفة عن هذه الشعوب واكتشاف شعوب أخرى لها صفات مماثلة، وبعد أن صار من الممكن أن نحدد بقدر أكبر من الدقة العملية الصفات المميزة التي تكوّن اللغات السامية(٢٥). فصارت الفصيلة الآن تضم مجموعة كبيرة من الأسر اللغوية، كما يظهره لنا الجدول الموضح في ص٤٤ رقم(١)(٢٦).

ويتضح من هذا الجدول تفرع الفصيلة اللغوية السامية إلى أسرتين كبيرتين، شمالية وجنوبية وانقسمت الأسرة الشمالية قسمين: غربية وشرقية. والشرقية هي اللغة الأكدية التي ضمت البابلية والآشورية، أما الغربية فضمت الآرامية والكنعانية. وتشعبت الأسرة السامية الجنوبية إلى مجموعتين شمالية وجنوبية، وتشمل المجموعة الجنوبية: لغات اليمن القديمة التي اكتشفت من الآثار والنقوش، وتشتهر باللغة الحميرية وشعبتها الثانية في الجانب الإفريقي المقابل لليمن، أي: الحبشية. وتسمى المجموعة الشمالية «بالمجموعة العربية» وتنقسم إلى:

(أ) بائدة وهي اللغات العربية التي اندثرت ولم تعد مستعملة الآن، وقد تمّ اكتشاف هذه اللغات من نصوص الآثار والنقوش القديمة التي عثر عليها المنقبون وهذه اللغات هي: الصفوية، والثمودية، واللحيانية. أما العربية الباقية فهي فرعان: قحطانية وعدنانية، ومن فروع العدنانية، لغة قريش (الفصحى) التي نزل بها القرآن الكريم، وجاء بها الشعر الجاهلي وهي لغة الحضارة والأدب منذ العصر الجاهلي حتى يومنا هذا.

وقبل الحديث التفصيلي عن هذه اللغات نتوقف لحظة عند التقسيم الذي أورده العالم ميرت روهلن Merritt Ruhlenفي مؤلفه «الدليل إلى لغات العالم» A Guide to the World's Languagesعلى النحو الموضح في الجدول (٢) أعلاه.



الجدول (٢)

لقد أوردنا هذا التقسيم لما فيه من اختلاف كبير عند الكتّاب العرب في نقطة مهمة، وهي عدّ العربية الجنوبية «الحميرية» لغة مختلفة تماماً عن اللغة العربية «القرشية»، بل انه عدّ الكنعانية أختاً شقيقة للعربية، بينما الحميرية (لغة اليمن القديمة) لا يجمعها مع العربية إلا جد أعلى ثم بدأ تشعب اللغات السامية*.

وفيما يأتي نبذة من كل واحدة من هذه اللغات:

اللغة الأكدية:

اللغة الأكدية «الأكادية» هي اللغة السامية الشمالية الشرقية كما يظهر في الجدول. ولم تعرف هذه اللغة إلا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حين تمكن العلماء من فكّ رموزها. والأكديون شعب سامي تحرك

اللغة المؤابية هي لغة قبائل المؤابيين الذين أسسوا لهم مملكة في شرق الأردن

من الجزيرة العربية، واستقر في العراق بدءاً من الألف الرابع قبل الميلاد.

وتعرف اللغة الأكدية، أيضًا: باللغة البابلية الآشورية. وسكن البابليون جنوب العراق وعاصمتهم بابل(٢٧) «باب إل» أي باب الله، ويسمى البابليون أحيانًا بالكلدانيين نسبة إلى إحدى أسرهم الحاكمة. أما الآشوريون(٢٨) فهم سكان آشور إلى الشمال من منطقة البابليين.

وبعض المراجع تسمي اللغة الأكدية باللغة المسمارية نسبة إلى الخط المسماري السومري الذي كتبت به(٢٩). ومن أهم خصائص اللسان الأكدي ما يأتي:

أ- احتوت أبجديته على ثمانية عشر حرفاً هي ا ب ج د ز ح ط ك ل م ن س ب(P ص ق ر ش ت (٣٠).

ب - يلاحظ اختفاء بعض الحروف التي تعدّ من خصائص اللغات السامية مثل الظاء والضاد والعين والغين.

ج - كانت الكتابة الأكدية من الشمال إلى اليمين.

د - خضعت اللغة الأكدية لتأثيرات قوية من اللسان السومري مما أفقدها بعض الخصائص السامية في الأصوات والمفردات، بل حتى في النحو مثل ظاهرة فقدان الفعل الماضي في الآشورية.

هـ - احتفظ اللسان الأكدي ببعض مظاهر الإعراب الذي فقد في معظم اللغات السامية عدا العربية والأوغاريتية.

و - أبرز آثار اللسان الأكدي في الألسن السامية الأخرى أسماء أشهر السنة نيلسانو (نيسان)، طبتو (كانون الثاني)، ايرّو (أيار)، سباطو(شباط)، سيمانو (حزيران)، أدّارو (آذار)، دوزو (تموز)، آبو (آب)، أولولو (أيلول)، تشرينو (تشرين الأول)، أرح سمنا (تشرين الثاني)، كيسليمو (كانون الأول).

اللغة الكنعانية:

يغلب الظن أن القبائل الكنعانية خرجت من الجزيرة العربية نحو سنة ٢٣٠٠ ق.م، واستوطنت بلاد الشام، وعملت بالزراعة والتجارة وركوب البحر. وبنت مدناً تجارية مثل صور وصيدا وجبيل وبيروت، كما أسست



العبرية لغة العبرانيين الذين انفصلوا عن سائر الكنعانيين وتجولوا في صحراء الشام والعراق

مستعمرات تجارية تابعة لها في شمال إفريقية «قرطاجنة» (٣١)، وفي أوربا «مرسيليا»، وغيرهما.

ومن اللغات الكنعانية:

أ- اللغة (الأوغاريتية)(٣٢): وتعرف بلغة رأس شمرة وهي منطقة شمال اللاذقية بسورية تمّ الكشف فيها عن آثار هذه اللغة.

ب - اللغة الفينيقية: وهي لغة سكان سواحل البحر الأبيض المتوسط في منطقة الشام.

ج - اللغة المؤابية: وهي لغة قبائل المؤابيين الذين استقروا نحو سنة ألف قبل الميلاد، وأسسوا لهم مملكة في شرق الأردن. وكانت بينهم وبين العبريين حروب كثيرة.

د - اللغة العبرية: والعبريون قبائل انفصلت عن سائر الكنعانيين وتجولت في صحراء الشام والعراق ثم استقرت في فلسطين نحو سنة ١٦٠٠ق.م. وخرج العبريون من فلسطين إلى مصر ثم عادوا إليها بزعامة النبي موسى (عليه السلام) في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وفي نحو ٦٠٠ ق.م هدم البابليون مملكة إسرائيل وعاصمتها أورشليم (القدس)، وأجلوا سكانها إلى بابل، وهذا ما عرف في كتبهم بالسبي، ولكنهم نجحوا مرة أخرى في تأسيس دولة لهم سنة ١٤٠ - ٣٦ق.م ثم أزال الرومان تلك الدولة عندما غزوا المنطقة. ومنذ ذلك الحين لم يقم لهم كيان خاص بهم كشعب مستقل إلا حديثاً في عام ١٩٤٨م عندما أقاموا دولة إسرائيل. غير أن العلماء يشيرون إلى أن سكان دولة إسرائيل المعاصرة من اليهود ليسوا هم أنفسهم خلف العبريين الأقدمين. وفي هذا يقول الأستاذ محمد الأنطاكي: «أما اليهود في العالم اليوم فليسوا بني إسرائيل الذين تفرقوا في البلاد بعد الفتح الروماني كما تدعي النظرية الصهيونية، إنما هم أمشاج من أمم شتى تهودت في أزمان مختلفة من التاريخ»(٣٣).

واللسان العبري من أكثر الساميات شبهاً بالعربية فكثير من قواعد النحو والصرف والمفردات هي ذاتها في كلا اللسانين. ولقد تأثرت العبرية باللغتين الآرامية والعربية تأثراً كبيراً، كما أن عبرية اليوم قد بعدت كثيراً عن أصلها بما دخلها من تراكيب وألفاظ أجنبية.

اللغة الآرامية:

الآراميون قبائل سامية هاجرت إلى نواحي الشام من الجزيرة العربية في نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وعلى الرغم من المقاومة العنيفة التي واجهوها من الآشوريين والكنعانيين ومن الإسرائيليين، إلا أنهم



وجدت آثار اللغة الثمودية في شمال الحجاز ونجد وسيناء

قد أفلحوا في آخر المطاف في بسط سيطرتهم على كل المنطقة، وفرضوا لغتهم التي أضحت لسان الأدب والفكر لكل سكان العراق والشام وجزء من الأناضول عدة قرون من الزمان. وانقسمت الآرامية إلى عدة لهجات بسبب المساحة الشاسعة التي انتشرت فيها. ومن تلك اللهجات ما يأتي:

أ- التدمرية: أقام التدمريون دولة قوية ذات نظام جمهوري شبيه بنظام الجمهوريات الإغريقية، وقد بلغت دولتهم أوج مجدها في الفترة من ١٣٠ ق.م إلى ٢٧٣ م ومن أشهر ملوكهم أذينة وزوجته زنوبيا.

ب- النبطية(٣٤): وجد العلماء آثار هذه اللهجة في ناحية العلى بالحجاز، وفي بترا بسيناء، ومنطقة بصرى بالشام.

ج- السريانية: وكان مركزها في مدينة أودسا أو أورهى كما هي في السريانية، ويطلق عليها العرب «الرها» واسمها اليوم أورفا. والسريانية اسم أطلقه الإغريق على الآراميين وقد رحب به مسيحيوهم، وفضلوه على اسمهم الأول الذي كان يذكرهم بماضيهم الوثني. ولا تزال السريانية حية في عدة قرى في شمال العراق فيما بين بحيرة أروميا وبحيرة فان، حيث يقيم بعض النصارى من النساطرة، وفي شمال الموصل حيث يعيش عدد من اليهود، وفي طور عابدين من البلاد الفارسية حيث يقيم بعض اليعاقبة، وكذلك في ثلاث قرى سورية منعزلة بعضها عن بعض هي: «معلولة» وأكثر سكانها مسيحيون، وقرية «جبعدين»، و«بخعة» وسكانها من المسلمين.

اللغات الحميرية

تعرف اللغات الحميرية(٣٥) أيضاً باللهجات العربية الجنوبية، وبلغات نقوش بلاد اليمن. وتسميتها بالحميرية نسبة إلى قبيلة حمير التي كان لها السيادة في بلاد اليمن في عصر ما قبل الإسلام(٣٦). أما تسميتها الثانية، أي «العربية الجنوبية» (٣٧) فإنها تستوجب الحذر كي لا تختلط بتقسيم العربية الباقية إلى عدنانية وقحطانية أو شمالية وجنوبية. وفيما نظنه محاولة لتفادي هذا الخلط سماها الدكتور السيد يعقوب بكر «العربية الجنوبية القديمة»(٣٨) بإضافة كلمة «القديمة» لتحديد المعنى المطلوب. وتستحق تسمية اللغات الحميرية «بلغات نقوش بلاد اليمن»(٣٩) بعض التحفظ أيضاً، لأن هذه اللغات ليست لغات نقوش وآثار، بل منها لغات حيّة ما تزال سائدة إلى اليوم كما سنرى. ومن اللغات الحميرية:

أ- اللغة المعينية: وهي أقدمها، وكانت لسان مملكة

معين ومن مدنها «قرناو» و«يثل»، ويعتقد أن سقوط هذه الدولة كان في الفترة التي بين القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد.

ب ـ اللغة السبئية: وهي لسان مملكة سبأ التي كانت عاصمتها مدينة مأرب، ومن ملوكها المشهورين الملكة بلقيس. وقد ورد ذكر سبأ في القرآن الكريم: *لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور*. سبأ:١٥.

ودامت مملكة سبأ ردحًا طويلاً من الزمن حتى أزالتها الأحباش عام ٣٧٥م. ثم عادت إلى الوجود مرة ثانية بزعامة الملك «كرب» الذي طرد الأحباش وتهودت ذريته نحو سنة ٤٠٠ م، وسميت المملكة بالحميرية(٤٠). واستمر حكم هذه الأسرة الحميرية المتهودة إلى عهد ذي نواس الذي هزمه الفرس عام ٥٢٥م وفي عام ٥٧٠ طرد الفرس الأحباش من بلاد اليمن، ومكثوا فيها حتى دحرهم الفتح الإسلامي.

ج ـ وهناك لغات أخرى من لغات اليمن القديمة «لغات النقوش»(٤١). وهي لغات ممالك حضرموت وقتبان واللغة الأوسانية.

د ـ وانحدرت من اللغات الحميرية لغات لا تزال حية منها:

- المهرية بفرعيها الهرسوسي والبوتهاري(٤٢).
- الشحرية وفرعها في جزر الكوريا والموريا في خليج عدن.
- السوقطرية في مهرة وجزيرة سوقطرة.

ومن أهم ملامح اللغات الحميرية أنها وسط بين العربية الفصحى والحبشية القديمة «الجعزية»، وقد كتبت الحميرية في الأغلب من اليمين إلى اليسار وبصورة أقل «خاصة في الكتابات القديمة» على طريقة «سير المحراث» وهي أسلوب الكتابة من اليمين إلى اليسار ثم من اليسار إلى اليمين ثم من اليمين إلى اليسار... وهكذا الخ.

ولقد كانت اللغات الحميرية شديدة التشابه فيما بينها مما جعل بعض العلماء يعدّها لهجات للغة واحدة(٤٣).

أما الفروق بينها فقد كانت ضئيلة منها مثلاً: ضمير المفرد للملكية «هاء» في السبئية كما هو الحال في العربية الفصحى ولكنه «سين» في المعينية «كتابهُ = كتابسُ». وتعدى السبئية فعلها الثلاثي بزيادة الهاء «هراق = أراق»، بينما تجعله المعينية ومثلها القتبانية والحضرمية بزيادة السين «سراق = أراق».



الخط الصفوي شبيه بالخط الثمودي

اللغات السامية الإثيوبية

عاشت كل اللغات السامية في منطقة الشرق الأدنى من القارة الآسيوية «جزيرة العرب والعراق والشام» عدا أسرة واحدة هي اللغات السامية الاثيوبية ويرجع العلماء أن هذه اللغات قد هاجرت من اليمن إلى إفريقية(٤٤) حيث استقرت، وتفرعت إلى:

ـ الجعزية:

وتسمى «اللغة القديمة المقدسة» وهي لغة قريبة الشبه بلغات نقوش بلاد اليمن. ومعنى كلمة جعز «الأحرار». أسس الجعز مملكة قوية عاصمتها «أكسوم» بدأت مملكة وثنية ثم اعتنقت المسيحية على الكنيسة القبطية(٤٥).. ولقد اضمحلت الجعزية منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، ولا وجود لها الآن إلا في نطاق ضيق في أداء الشعائر الدينية الكنسية. وتعد لغتا التجرى والتجرنيا لهجتين من اللسان الجعزي. وتسود لهجتا التجرى والتجرنيا شمال إثيوبيا وجمهورية إريتريا.

وقد دونت اللغة الجعزية بالخط الحبشي القديم (منذ عهد ملوك أكسوم) وهو خط مشتق من الخط المسند اليمني. ومن خصائص الجعزية عدم التمييز بين المذكر والمؤنث في الأسماء كما تنقص الجعزية أداة التعريف.

اليهود في العالم اليوم ليسوا بني إسرائيل الذين تفرقوا في البلاد بعد الفتح الروماني كما تدعي النظرية الصهيونية، إنما هم أمشاج من أمم شتى تهودت في أزمان مختلفة من التاريخ

الأمهرية:

قوض الأمهريون مملكة أكسوم في عام ١٢٧٠م وأسسوا مملكة جديدة عاصمتها أديس أبابا، وتقول الأساطير: إن أسرتهم الحاكمة من نسل نبي الله سليمان عليه السلام والملكة بلقيس ملكة سبأ، وكان آخر ملوكهم الإمبراطور هيلي سلاسي الذي أزيح عن الحكم في انقلاب عسكري في السبعينيات.

واللغة الأمهرية اليوم هي اللغة الرسمية في إثيوبيا. ويلاحظ في الأمهرية أن الصبغة الحامية قوية فيها. ومن لهجات اللغة الأمهرية لهجة مدينة هرر ولهجة أهل جافات ولهجة قبائل أرجوبا.

اللغة العربية: وهي اللغة السامية الجنوبية الشمالية وتنقسم قسمين(٤٦):

ـ عربية بائدة: نقصد بها اللغات العربية التي انقرضت قبل ظهور الإسلام بقليل. ولكن وجدت آثارها مخلّفة في النقوش، وقد تمّ الكشف عن ثلاث من هذه اللغات:

أولاً: الثمودية(٤٧): وجدت آثارها في مواطن ثمود شمال الحجاز وفي نجد وشبه جزيرة سيناء، ولا تختلف هذه اللهجة عن لهجة قريش الفصحى إلا في أمور يسيرة. ومثال لهذه اللهجة محتوى أحد النقوش وهو كالآتي: «ذن لقض بنت عبدمنت»(٤٨) ومعناه: هذا «القبر» لقيض بنت عبد مناة.



اللغة اللحيانية تنسب إلى قبائل لحيان، وقد بادت قبل الثمودية بزمن طويل

ثانياً: اللحيانية: وتنسب هذه اللهجة إلى قبائل لحيان التي يرجّح أنها كانت تسكن شمال الحجاز بين ينبع وإيلة إلى نواحي العلا وهضاب خيبر. ومعظم النقوش اللحيانية المكتشفة ترجع إلى ما بين ٤٠٠ - ٢٠٠ق.م (٤٩). وقد بادت هذه اللهجة قبل الثمودية بزمن طويل. ويقول الأستاذ محمد الأنطاكي(٥٠) في معرض تأكيده أن اللهجة اللحيانية عربية صميمة: «على أنه مما لا ريب فيه أن اللهجة اللحيانية عربية بحتة، ففيها حروف الذال والثاء والغين والضاد، مما لا يُرى إلا في اللسان العربي من بين كل الألسن السامية، كما عثر فيها على أفعل التفضيل وعلامة التثنية التي هي من الخصائص البارزة في اللسان العربي».

ثالثاً: اللهجة الصفوية: هذه التسمية اصطلاحية، نسبة إلى المنطقة التي اكتشف فيها معظم آثار هذه اللغة، وهي الحرة الواقعة بين جبل الدروز وأرض الصفاة في سورية. والخط الصفوي شديد الشبه بالخط الثمودي، حتى إن بعض الدارسين يعدونه امتداداً للخط الثمودي. ومعظم النقوش الصفوية ترقى إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين(٥١). ويضاف فرع رابع إلى هذه اللهجة يسمونه اللهجة الجاهلية(٥٢)، وهي لهجة لغة نقوش كشفها المستشرقون في منطقة غير بعيدة من منطقة الصفاة. يرجع تاريخ أقدمها إلى عام ٣٢٨م وأحدثها إلى عام ٥٦٨م، أي إلى قرن واحد فقط قبل ظهور الإسلام، وأهم هذه النقوش وأقدمها نقش النمارة الذي كشف في مدفن امرئ بن عمرو، ويعدّ الدكتور السيد يعقوب بكر(٥٣) لهجة النقوش الصفوية ضمن فروع اللغة العربية الفصحى إذ يقول: «وأقدم نص للعربية الفصحى نفسها نقش محفور على قبر في النمارة «إلى الجنوب الشرقي من دمشق» يرجع إلى ٣٢٨م، ولكنه مكتوب بالخط النبطي، فيظهر بعد ذلك في ثلاثة نقوش عربية أخرى هي: نقش زَبَد «إلى الجنوب الشرقي من حلب»، ويرجع إلى ٥١٢ – ٥١٣م، ونقش حَرّن «جنوب دمشق»، ويرجع إلى ٥٦٨م، ونقش أمّ الجمال جنوب بُصرى، ويرجع إلى الفترة ذاتها». ويميل هذا البحث مع اتجاه الرأي

خط المسند استخدمه عرب جنوب الجزيرة العربية

الأخير، الذي يعدّ لهجات نقوش النمارة وزبد وحران وأم الجمال من العربية الفصحى، أو بتعبير أدق جزءًا من اللهجات التي كونت العربية الفصحى.

والآن وبعد أن تتبعنا شجرة فصيلة اللغات السامية وفروعها المختلفة، وتحدثنا عن خصائص كثير منها ومميزاته، نقدم للقارئ الكريم فيما يأتي ملخصًا عامًا لأهم مظاهر اللغات التشادية، وتطور الدراسات فيها، والحجج التي جعلت العلماء يضعونها ضمن العشيرة الإفريقية الآسيوية.

الجعزية واحدة من اللغات الإثيوبية، وهي اللغة القديمة المقدسة

فصيلة اللغات التشادية

لقد سبق الذكر أن فصيلة اللغات التشادية فرع من العشيرة الإفريقية الآسيوية، التي تضم بجانب اللغات التشادية كلاً من: اللغة المصرية القديمة، واللغات البربرية، واللغات السامية.

أخذ اسم اللغات التشادية من بحيرة تشاد التي تقع في أقصى شمال شرق نيجيريا حيث تلتقي حدود نيجيريا عندها مع حدود جمهورية الكاميرون وتشاد والنيجر، ويعني اسم تشاد Tsade لدى الكانوريين وغيرهم من أوائل السكان الذين سكنوا حول البحيرة: مساحة كبيرة من الماء(٥٤). قدر العالم بول نيومان(٥٥) عدد اللغات التشادية بنحو ٥٠ لغة بينما يقول روهلين(٥٦): إنها ١٢٣ لغة موزعة في شمال نيجيريا وجنوب النيجر وشمال الكاميرون وبعض أجزاء من تشاد وإفريقية الوسطى وغانا توغو وبنين(٥٧). وتعدّ لغة هوسا أهم اللغات التشادية وأشهرها على الإطلاق إذ يشكل المتحدثون بها وحدها نحو ٨٠٪ من مجموع المتحدثين بلغات هذه العشيرة.

التسلسل التاريخي لتطور الدراسات في اللغات التشادية وتقسيمها:

يعود بدء الأبحاث المنفردة التي تصف اللغات التشادية إلى أوائل القرن التاسع عشر إلا أن هذه اللغات في مجملها قد ظلت مهملة حتى الثلاثينيات من هذا القرن عندما اتجهت إليها دراسة جي لوكاس J. Lukas، ثم نشطت الدراسات في موازنتها وتقسيمها. أما أول محاولة علمية لتصنيف اللغات التشادية فقد قام بها العالم في اللغات البربرية فرانسيس نيومان F.W. Newman في عام ١٨٤٤م(٥٨)، عندما ذكر أن للغة هوسا صلة قربى باللغات الحامية السامية مما أثار دهشة العلماء آنذاك! فتساءلوا: كيف تمت لغة من إفريقية السوداء بصلة إلى اللغات السامية!؟ وفي عام ١٨٦٢م اقترح العالم شون J.F. Shon(٥٩): عدّ لغة هوسا لغة سامية. وتتبع روهلين هذا التسلسل التاريخي في دراسة اللغات التشادية قائلاً(٦٠): «في خمسينيات القرن التاسع عشر ظهرت فكرة فرانسيس نيومان، القائلة: إن للغة هوسا صلة قربى باللغات الحامية السامية، ثم جاء قبول ماكس ملر Max Muller لذلك الرأي، وتبعه في ذلك كارل لبسيس Karl Lepsius في الستينيات من ذاك القرن. وإضافة إلى هذا اتضح أن للغة هوسا أخوات في منطقة بحيرة تشاد سميت باللغات التشادية، ففي عام ١٨٦٢م أثبت هـ. بارث H. Barth صلة لغة هوسا بلغة لوقون Logone (وهي لغة صغيرة جنوب بحيرة تشاد) وأضاف كراوس G.A. Krause لغات مسقو Musgu وبدى Bade ومرقي Margi وغيرها إلى

فصيلة اللغات التشادية، ولكن بارث لم يطلق عليها اسم اللغات التشادية في بادئ الأمر، بل سماها مجموعة لغات هوسا - موسكانسن Hausa - Muskanischen Group.

وفي الفترة من ١٩١١ إلى ١٩١٣م حدد ميجود Migeode بصورة واضحة صلة القربى بين هوسا وأنقاس - بولي Angas- Bole، وجاء ديلافوس Delafosse في عام ١٩٤٢م وضم لغة هوسا إلى مجموعة كبيرة سماها مجموعة اللغات الزنجية التشادية Nigro - Tchadian. وقبل هذا جدد كارل منهوف Carl Meinhof القول بأن لغة هوسا ذات علاقة باللغات الحامية، وكان ذلك في عام ١٩١٥م. كما تقدم فيسل Vycichl في عام ١٩٣٤م بفكرة وجود علاقة بين لغة هوسا واللغة المصرية(٦١) ولاتزال هذه الفكرة تتمتع بأنصار أشهرهم البروفيسور حمبلي جنجو. ومن الذين أدلوا بدلوهم في هذا المجال، وسترمان Westerman الذي اقترح مجموعة لغوية سماها هوسا - كوتوكو Hausa- Kotoko grouppe ومن ثم الفصيلة التشادية التي ظهرت على يد لوكاس Luckas في عام ١٩٣٦م وقد حدد لوكاس مجموعتين في الفصيلة التشادية: هما اللغات التي لها جنس مذكر ومؤنث مجازيان مثل مندرا، مرغى. ومن المحاولات الأولى لتقسيم اللغات التشادية: تقسيم لبسيس لعشيرة اللغات الإفريقية الآسيوية التي كانت تعرف بالحامية السامية إذ قال في نهاية القرن التاسع عشر إنها تضم فصيلتين كبيرتين هما: السامية والحامية.

ثم قسم الحامية أربع أسر هي(٦٢): المصرية القديمة، والبربرية، والكوشية، والتشادية.



انقسمت الآرامية عدة لغات بعد انتشارها على مساحة واسعة

يكاد الإجماع الآن ينعقد على أن العشيرة الإفريقية الآسيوية تشمل المصرية القديمة والسامية والبربرية والتشادية كأصول مستقلة، أما الاختلاف ففي الفرع الكوشي أهو فرع واحد أم فرعان أم ثلاثة أصول؟

وساد تقسيم لبسيس هذا العالم ردحاً من الزمن حتى جاء العالم جوزيف غرين برج Joseph H. Greenberg(٦٣)، وأعاد هذا التقسيم وأدخل عليه تعديلاً مهماً هو عدّ أسر اللغات الحامية الأربع التي ذكرها لبسيس فصائل مستقلة بعضها عن بعض وعلى قدم المساواة مع الفصيلة الساميه وأنها جميعاً من العشيرة الإفريقية الآسيوية. ويعدّ تقسيم قرين بيرج المرجع الأساسي لجميع المؤلفات الحديثة المتداولة اليوم حول تقسيم اللغات الإفريقية الآسيوية عموماً والتشادية على وجه الخصوص.

وقال روهلين(٦٤) إن عدّ قرين برج فصائل العشيرة الإفريقية الآسيوية مستقلة بعضها عن بعض لا يعني أنها تبتعد بعداً شاسعاً بعضها عن بعض ولكنه أراد تصحيح الخطأ في جعل المصرية القديمة والبربرية والكوشية والتشادية مجموعة واحدة تسمى الحامية.

وقد ناقش البروفسير بول نيومان Paul Newman آراء قرين برج فقال: اشتمل اقتراح قرين برج على ثلاثة افتراضات مهمة:

أولها: الادعاء بأن لغة هوسا - مع أهميتها المتعددة - لا

تعدو كونها لغة واحدة من اللغات ذات الأصل الواحد في المنطقة، لذا فإنه يلزم أن نضع في حسباننا لصلات قربى محتملة بين هوسا والمصرية أو البربرية أو الكوشية أو السامية، جعل المجموعة التشادية ككل وليست الهوسوية منفردة وحدها.

ثانياً: يرفض قرين برج وجود ما يعرف بالأسرة الحامية، وبما اشتهر باسم العشيرة الحامية السامية، ونادى بدلاً عن ذلك بالعشيرة الإفريقية الآسيوية الأكثر شمولاً والتي تضم خمس فصائل ذات قرابة فيما بينها.

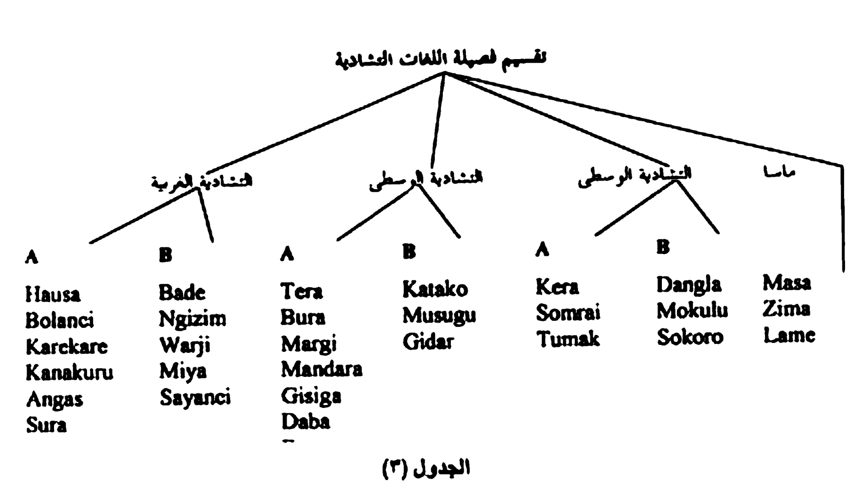
ثالثاً: يؤكد قرين برج أن اللغات التشادية من صميم اللغات الإفريقية الآسيوية، وقد نالت كل هذه الافتراضات قبول المهتمين بالدراسات الإفريقية الآسيوية الذين يعتمد عليهم ورضاهم(٦٥).

والجدير بالذكر أن فكرة انتماء اللغات التشادية إلى العشيرة الإفريقية الآسيوية لم تمض بسهولة ويسر، بل أبدى الاعتراض عليها نفر من العلماء خاصة الذين سيطرت على أفكارهم مبادئ علم الأجناس البشرية، وهكذا طال الجدل بين المؤيدين والمعارضين نحو قرن من الزمان منذ عام ١٨٤٤م إلى عام ١٩٧٠م تقريباً. أما في المراجع العربية الحديثة فلا يزال انتماء اللغات التشادية إلى عشيرة واحدة مع اللغة العربية من الموضوعات التي لم تجد ما تحتاج إليه من الدراسات الجادة(٦٦).

ومن العلماء الذين أبدوا اعتراضهم على هذه الفكرة:

التدمرية من اللهجات الآرامية

مارسيل كوهين Marcel Cohen الذي حذف لغة هوسا من المجموعة الحامية في عام ١٩٢٤م ووضعها ضمن اللغات الزنجية الإفريقية، ولم يغير رأيه هذا إلا في عام ١٩٧٠م حين اضطر إلى التراجع أمام الحجج القوية التي تضافرت، ولكنه مع تسليمه بفكرة أن لغة هوسا ليست كاللغات الزنجية الأخرى، إلا أنه لم يخضع لوضعها ضمن اللغات الحامية فعدها لغة منفردة ليست بزنجية وليست بحامية. ومن طائفة المعترضين أيضاً عالم الأجناس البشرية رديتشاد J.C.Prichard والعالم ليسلاو Leslau الذي تعمد في عام ١٩٦٢م ألاّ يذكر اللغات التشادية ضمن العشيرة الإفريقية الآسيوية، فتجاهلها وكأنها غير موجودة بتاتاً(٦٧). وقد قال بول نيومان عن هؤلاء وغيرهم من المعترضين(٦٨): «إن أي بحث علمي يغفل ذكر عضوية اللغات التشادية ضمن العشيرة الإفريقية الآسيوية بحجة أن تقسيم هذه اللغات غير مؤكد، يرتكب خطأ فادحاً يماثل إقحام لغات أو مجموعة من اللغات ضمن عشيرة لا تنتمي إليها....» ويردف نيومان قائلاً: «باستعمال الطرائق المتبعة في عالم اللغة عند تقسيم اللغات ينبغي أن يكون جعل اللغات



الجدول (٣)

السريانية لهجة آرامية لا تزال تستخدم في بعض مناطق العراق وسورية

آثار اللهجة النبطية وجدت في الحجاز وسيناء وبصرى الشام

التشادية ضمن العشيرة الإفريقية الآسيوية أمراً تمّ حسمه منذ عهد بعيد لو كانت هذه اللغات مثلاً في واحات متفرقة في الصحراء الكبرى. ولكن كون هذه اللغات في إفريقية الزنجية جعل هذا الأمر يطول كل هذه الفترة، ولكن بالنظر إلى الأدلة اللغوية الدامغة لا يمكن عمل أي شيء سوى جعل هذه اللغات من العشيرة الإفريقية الآسيوية ».

والجدول رقم (٣) فيه تفصيل لشجرة فصيلة اللغات التشادية كما وضعها كل من قرين برج، ونيومان، وروهلين(٦٩).

رأي علماء اللغة العرب

ذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي(٧٠) أن العشيرة السامية الحامية «الإفريقية الآسوية» تشمل فصيلتين كبيرتين:

أولاهما : الفصيلة السامية، وتشمل الأكدية والكنعانية والآرامية.

وثانيتهما: الفصيلة الحامية وتضم: المصرية والليبية أو البربرية واللغات الكوشية. وفي سياق هذا التقسيم لم يدرج اللغات التشادية ضمن اللغات الحامية السامية بل عدّ كل اللغات الإفريقية الأخرى عشيرة واحدة سماها: لغات السودان وغانة، وقال إنها لغات غير سامية ولا حامية ومنها اللغات البنطوية Bantou، وتشمل السواحلي، والدوالا، والجندا، والجالوا، والتونجا، والزولو، والهوسا(٧١). إذن فإن الدكتور علي عبد الواحد لم يقتنع بأن اللغات التشادية من شجرة واحدة مع أخواتها في العشيرة الإفروآسيويات.

احتفظت العربية بعناصر سامية قديمة أكثر مما نجده في أي لغة سامية أخرى؛ وذلك في الأصوات، وفي ظواهر الإعراب ونظامه الكامل، وصيغ جموع التكسير

أما الدكتور السيد يعقوب بكر فيقول: «هذه هي مجموعة اللغات السامية التي تنتمي إليها لغتنا العربية، وهذه الأسرة اللغوية جزء من مجموعة أوسع من اللغات اصطلح على تسميتها: اللغات السامية الحامية... واللغات الحامية التي تشارك في هذه المجموعة الواسعة هي: المصرية وسليلتها القبطية والليبية البربرية في شمال إفريقية والكوشية (الصومالية ولغة الجلا)(٧٢). وكما هو واضح فإن نظرة السيد يعقوب بكر لا تختلف في شيء عن سابقتها؛ أي نظرة علي عبد الواحد فيما يخص اللغات التشادية وعلاقتها باللغات الحامية. ويسود هذا الرأي معظم المؤلفات العربية إذ نجد تجاهلاً لموقع الفصيلة التشادية في العشيرة الإفريقية الأسيوية أو جعلها كما فعل الدكتور صبحي الصالح(٧٣) من زمرة اللغات الإفريقية الزنجية. ومن العلماء من صرح بتحفظه إزاء هذا التقسيم، كما فعل الدكتور علي أبو بكر(٧٤) - رحمه الله - حين قال: «إن بعض الباحثين قد وضعوا الهوسية في

قسم اللغات الحامية بجانب المصرية والبربرية محتجاً بتوفر ظاهرة التمييز بين المذكر والمؤنث فيها فإنه لا يسعنا إلا أن نصرح بتحفظنا إزاء هذا التقسيم، وذلك لأن البحث في هذه اللغات لا يزال في مراحله الأولى». وأردف في فقرة أخرى قائلاً: «وعلى الرغم من أن كلا من الهوسية والفلانية لا تمت إلى العربية بصلة من حيث الأصل، إلا أنهما قد استعارتا منها ما لا يقل عن خمس كل واحدة منها». فعبارة الدكتور علي أبو بكر هذه تشير بوضوح إلى أنه لا يرى أي صلة قربى للهوسية بالعربية على عكس ما تؤكده الدراسات اللغوية المتخصصة كما سبقت الإشارة إلى ذلك».

ولكن حتى الدكتور علي أبو بكر نفسه لم يستطع أن يغض الطرف عن وجوه الشبه البينة بين العربية وهوسا فسرد لنا منها أمثلة كثيرة: كانتهاء المؤنث بتاء التأنيث، وشبه كبير في الضمائر، ووجود ميم اسم الآلة والفاعل والمكان وجمع التكسير(٧٥).

وشذ أفراد من الباحثين العرب في قبولهم للغات التشادية ضمن اللغات الإفريقية الآسيوية، منهم الأستاذ

الهوامش والمراجع

١. هذه اللغات هي: الخويسانية «جنوب إفريقية». النيجر كردفانية «وسط وغرب إفريقية». النيلية الصحراوية «وسط إفريقية». الإفريقية الأسيوية «جزيرة العرب وشمال إفريقية». القوقازية «وسط أسيا». الهندية الأوربية «أوربا وشمال وغرب أسيا والهند والباكستان». الأورالية «فنلندا وإستونيا». الألتية «وسط أسيا، وتركيا، والصين، وكوريا واليابان». التشكوكتشية «شمال شرق سيبيريا». الإسكيمو اليوتية «ألسكا، وكندا، وقرينلاند وشمال شرق روسيا». الألامو درافدية «الهند والباكستان وسريلانكا». الصينية التبتية «الصين، والتبت، ونيبال، والهند، وبورما، وتايلاند ولاووس». الأسترية «جنوب شرق أسيا ومدغشقر». الهندية الباسفيكية «جزر الهند، وتاسمانيا، وجزر شمال وجنوب أستراليا». الأسترالية «أستراليا». نا-دين (كندا، كلفورنيا، نيومكسكو وأريزونا». الأميرندية «شمال أمريكا ووسطها وجنوبها).

2 - MERRITT RUHLEN, A GUIDE TO THE WORLD'S LANGUAGES VOLUME :1, CLASSIFICATION, STANFORD UNIVERSITY PRESS, STANFORD, CALIFORNIA, 1988P 87.

٣. المرجع السابق والصفحة نفسها.

٤. دراسات في فقه اللغة العربية، د. السيد يعقوب بكر، مكتبة لبنان، ١٩٦٩م ص:٢.

٥- A GUIDE TO WORLDS LANGUAGES VOL/1 - P.87

6 - LONGMAN 1985 P4.HISTORICAL ATLTAS OF AFRICA J.F. AJAY AND MICHAEL GROWDER.

7 - (a) STUDIES IN AFRICAN LANGUISTIC CLASSIFICATION H. GREENBERG - COLUMBIA JOSEPH UNIVERSITY - 1955 (b) A GUIDE TO WORLDS LANGUAGES P. 85 - 89.

٨. المجلة العربية للدراسات اللغوية معهد الخرطوم الدولي مج: ٢، ٤: ٢ يونيو / حزيران ١٩٨٤م - ص: ٤٧.

٩. المرجع السابق نفسه. وانظر أيضاً فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي، ص:١٨.

١٠. المجلة العربية للدراسات اللغوية. م:٢، ع: ٢ ص: ٤٧ - ٥٣.

١١. المجلة العربية للدراسات اللغوية م: ٢، عدد: ٢، ص: ٥٢.

١٢. فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٤٥م ص: ١٨.

13 - A GUIDE TO WORLDS LANGUAGES VOL/1 P. 87

انظر أيضاً: لهجة شمال المغرب للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال، دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٦٨م ص: ٣١- ٣٥.

14 - 15 - A GUIDE TO WORLDS LANGUAGES P.286 P. 89.

١٦. اللغات السامية نسبة إلى الساميين، وهم أبناء سام بن نوح الذي ورد ذكره في الإصحاح العاشر من سفر التكوين في التوراة، وهو إصحاح يسجل الصلات بين الشعوب، وفيه نجد قائمة أبناء سام، تضم: أرام وأشور وعبر - أي الآراميين والأشوريين والعبريين - وأول من استعمل مصطلح «اللغات السامية» المستشرق الألماني شلوتزر عام ١٧٨١م، ومع ذيوع هذه التسمية وانتشارها فإنها غير جامعة مانعة، لأن بعض من يتحدثون بلغة سامية ليسوا من الجنس السامي مثل الأحباش الذين لغتهم سامية، وهم حاميون.

١٧. انظر:

أ. اللغة والحضارة، دكتور مصطفى مندور، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٤م، ص: ١٧.

ب - المفصل في تاريخ الأدب العربي، أحمد الإسكندر واحمد امين وزارة المعارف المصرية، ج:١، ب ت، ص:١٠.

ج - اللهجات العربية الحديثة في اليمن، دكتور مراد كامل، ص ٥ - ٦.

د - الوجيز في فقه اللغة العربية، محمد الأنطاكي، ص: ٧٨-٨٢.

هـ - فقه اللغة العربية وخصائصها، أميل بديع يعقوب، ص: ١١٠ - ١١١.

و - اللغة العربية كائن حي، جرجي زيدان، دار الهلال، ب ت ص: ٢٩.

١٨. منطقة على بعد بضعة كيلومترات شمال مدينة اللاذقية على الساحل السوري.

١٩. الوجيز في فقه اللغة ص: ٨١ - ٨٢.

٢٠. اللهجات العربية الحديثة في اليمن، ص:٥.

٢١. انظر (أ) THE ATLAS OF AFRICA - J. AFRIQUE AND OTHERS إذ يقول في ص: ٥٤ Man may have originated in Africa. There have been many discoveries in prehistoric archaeology on the continent.

«هناك اكتشافات أثرية كثيرة للفترة ما قبل التاريخ في القارة الإفريقية مما يرجح الاعتقاد بأن أصل الإنسان قد كان فيها»

(ب) موسوعة تاريخ الأمم، وليام لانجر، ترجمة د. محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، ج:١، ب ت، ص: ٥.

٢٢. فقه اللغة العربية وخصائصها، ص: ١١١.

٢٣. المرجع السابق، ص: ١١٣.

٢٤. الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، أحمد الإسكندري ومصطفى عناني، ط:٦ب ت، ص:٥.

٢٥. دراسات في فقه اللغة العربية، د. السيد يعقوب بكر ص: ١٠، مكتبة لبنان - بيروت، ١٩٦٩م.

٢٦. يختلف الكتاب كثيراً في تقسيمات هذه اللغات، والجدول الذي نقدمه هو محاولة للتوفيق بين مختلف الآراء، وتقديمها في صورة تبدو لنا أكثر شمولاً ووضوحاً.

٢٧. وكانت مملكة أكد أول الممالك السامية ظهوراً إلى الوجود، إذ قامت في نحو سنة ٣٠٠٠ ق م، ومن أشهر ملوكها «سرجون الأول» الذي امتدت المملكة في عهده لتشمل كل منطقة ما بين النهرين والشام، وكانت عاصمتها في أكد نفسها. أسست بابل نحو سنة ٢٠٠٠ ق م، من أشهر ملوكها الملك حمورابي الذي اشتهر بنظامه التشريعي الدقيق.

٢٨. كانت عاصمتهم مدينة أشور التي تقع بين نهري الزاب الصغير والزاب الكبير ثم انتقلت إلى كالاخ نحو سنة ١٢٩٠ق م لتستقر أخيراً في مدينة نينوى.

٢٩. اللغة السومرية لغة غير سامية سادت العراق قبل مجيء الأكديين.

٣٠. انظر (أ) الوجيز في فقه اللغة، ص: ٨٦.

(ب) التوزيع الجغرافي في العراق، ص: ٥٨.

٣١. قرطاجنة «قرت حدش» أي القرية الحديثة.

٣٢. الاوغاريتية «نسبة إلى المدينة الكنعانية القديمة التي جرى التنقيب في

أحمد العابد في مقال له بعنوان العلاقة بين اللغة العربية واللغات الإفريقية(٧٦)، والأستاذ عبد القادر بن شيخ في مقال بالإنجليزية(٧٧) بعنوان: Linguistic Interference and Genetic Relations Between Arabic and Hausa فقد قدم أمثلة مثيرة حول التشابه بين العربية ولغة هوسا. ومنهم أيضاً الأستاذ خالد عثمان يوسف الذي قال(٧٨): «إن اللغتين العربية والهوسوية تنتميان إلى الأسرة الإفروآسيوية». ومثل ذلك يقول الدكتور الأمين أبو منقة(٧٩).

هذه هي آراء علماء اللغة العرب، ويبدو من خلالها أن معظمهم يجهل أو يغفل حقيقة صلة القربى بين اللغة العربية ولغة هوسا وبينها وبين أسرة اللغات التشادية. ونرجو أن تكون هذه المحاولة فاتحة لبحوث و دراسات آتية تنقب وتكشف خفايا هذه الروابط اللغوية وأسرارها وتعمقها. والله المستعان.

مصدر الصور: حضارة الكتابة، إعداد: د. سعيد فايز إبراهيم السعيد، أ. عبدالله بن محمد المنيف، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٣هـ.

خرائبها».
٣٣. الوجيز في فقه اللغة، ص:١٩.
٣٤. أقام النبط لهم دولة قوية خضعت لها دمشق زمناً، وذلك منذ القرن الثالث قبل الميلاد. وكانت عاصمتهم في وادي موسى بالقرب من معان، وكان اليونان والرومان يطلقون عليها (بترا).
٣٥. ممن اختار هذه التسمية المفصل في تاريخ الأدب العربي، ج:١، وزارة المعارف المصرية، ب ت.
٣٦. انظر: اللهجات العربية الحديثة في اليمن، ص:٣١.
٣٧. أورد هذه التسمية «اللهجات العربية الجنوبية» الأستاذ محمد الأنطاكي في مؤلفه الوجيز في فقه اللغة، ص: ١٠٧.
٣٨. دراسات في فقه اللغة العربية، ص: ٢.
٣٩. اللهجات العربية الحديثة في اليمن، ص: ٣٠.
٤٠. اتخذت هذه المملكة ظفار عاصمة لها.
٤١. تراوح هذه الآثار في القدم بين القرن الثامن ق.م والقرن السادس الميلادي، وقد بلغ ما نشر منها نحو ستة آلاف نقش. انظر (أ) دراسات في فقه اللغة العربية، ص: ٢. (ب) اللهجات العربية الحديثة في اليمن، ص: ٣١.
٤٢. حول هذه اللغات انظر: اللهجات العربية الحديثة في اليمن، ص: ٣٣.
٤٣. من هؤلاء العلماء محمد الأنطاكي في «الوجيز في فقه اللغة»، ص: ١٠٨ ودكتور مراد كامل في «اللهجات العربية الحديثة في اليمن» ص:٣٢.
٤٤. المرجح أن هده الهجرة قد كانت في القرن السابع أو السادس ق.م. انظر: الوجيز في فقه اللغة، ص٩٨، واللهجات العربية الحديثة في اليمن، ص: ٢٨.
٤٥. دامت مملكة أكسوم حتى عام ١٢٧٠م ومن ملوكها (النجاشي) الذي حدثت الهجرة الأولى في الإسلام إلى الحبشة في عهده.
٤٦. لا تعتمد هذه القسمة على أسس لغوية بقدر ما هي قسمة لتسهيل الدراسة.
٤٧. ورد ذكر قوم ثمود في القرآن الكريم، سورة: الشمس، آية ١١ ـ ١٥.
٤٨. الوجيز في فقه اللغة العربية، ص: ١٠٣.
٤٩. فقه اللغة العربية وخصائصها، ص: ١١٩.
٥٠. المرجع السابق نفسه، ص: ١٠٤.
٥١. المرجع السابق نفسه، ص: ١١٩.
٥٢. الوجيز في فقه اللغة العربية، ص: ١٠٣.
٥٣. دراسات في فقه اللغة العربية، ص: ٩. انظر كذلك اللهجات العربية الحديثة في اليمن، ص: ٢٣.
54 - Working Group) P. I Chadic News Letter No. 20 Dec. 1993. West African Linguistic Society (Chadic)
55 - Paul Newman, the Classification of Chadic within Afroasiatic, P.3.
56 - Merritt Ruhlen, A guide to the world's languages, Standford Univesity Press, California, 987.p.320.
57 - A guide to the world's languages.p.286 . See also: Paul Newman, the Classification of Chadic within Afroasiatic, P.3.
58- P.E.H. Hair, The Early Study of Nigerian Languages . Combridge University Press 1967, P.31.
٥٩. المرجع السابق، الصفحة نفسها.
60 - A guide to the world's languages, P. 87.
61 - The Classification of Chadic within Afroasiatic, P.6.
62- A guide to the world's languages, P. 6.
63- Studies in African Linguistic Classification , the language and communication Researchentre , Columbia University, 1955. 64- A guide to the world's languages, P. 88.
٦٥. ترجمة واختصار عن مؤلفه The Classification of Chadic within Afroasiatic P. 4.
٦٦. تفصيل هذا الكلام سيأتي فيما بعد عند الحديث عن آراء علماء اللغة العرب.
67 - The Classification of Chadic within Afroasiatic P. 12
٦٨. المرجع نفسه والصفحة نفسها
"Any scholarly work that omits Chadic in specifying the membership of Afroasiatic phylum on the ground that the classification is still unproved is committing an error which is equally as serious as the inclusion of some languages or group of languages that does not belong.
٦٩ ـ انظر أيضاً ص: ٢٠ Hausa Language and its nearest relatives.
٧٠ ـ علم اللغة، دكتور علي عبد الواحد وافي، الطبعة الرابعة مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٩٥٧م ص: ١٨٤.
٧١. المرجع نفسه، صفحة: ١٩٤ ـ ٢١٥.
٧٢. دراسات في فقه اللغة العربية، دكتور السيد يعقوب بكر، ص: ٦ ـ ٧.
٧٣. دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة التاسعة ١٩٨١م، ص:٤٤.
٧٤. الثقافة العربية في نيجيريا، الطبعة الأولى ١٩٧٢م، ص: ٣٧٢.
٧٥. المرجع السابق، الصفحات٣٧٥ ـ ٣٧٧. حول نواحي الشبه بين اللغة العربية ولغة هوسا انظر: بحثنا «صلة القربى بين اللغة العربية و لغة هوسا ـ دراسة لغوية مقارنة» أطروحة دكتوراه ـ جامعة بايرو ـ كنو ـ نيجيريا ٢٠٠١م.
٧٦. المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الثالث، العدد الأول، أغسطس ١٩٨٤م، ص١٢.
٧٧. المرجع نفسه، الصفحات: ١٤١ ـ ١٤٥.
٧٨. انظر مقدمة الفصل الأول من بحثه الذي بعنوان: دراسة تقابلية بين اللغتين العربية والهوسوية على المستوى الصوتي، بحث ماجستير، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، أبريل ١٩٩٢م.
79 - Al-Amin Abu-Maanga, Hausa in the Sudan process of Adaptation to Arabic, Frankurt, August 1996.
• وجعل الحميرية غير العربية موجود لدى العلماء العرب، ومن ذلك قول أبي عمرو بن العلاء: «مالغة حمير وأقاصي اليمن بلغتنا ولا عربيتهم بعربيتنا». وانظر دراسات في تاريخ اللغة العربية، ترجمة د. حمزة بن قبلان المزيني، دار الفيصل الثقافية ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٢٢.
• ويرجع بعض الباحثين ومنهم الدكتور عمر فروخ أنها: العقدية ـ بالعين.

ولائم الكتب

عبدالرحمن بن محمد العقيل
الرياض - السعودية

الوليمة: طعام العرس، أو كلُّ طعامٍ صُنعَ لدعوةٍ وغيرها. واشتقاقها من الوَلْم وهو الجمع، وأصلها من اجتماع البنية.

وقد نظم ابن أبي العز الحنفي (ت٦٧٧هـ) في أنواع الولائم فقال:

أسامي الطَّعام اثنان منْ بعدِ عَشْرةٍ
سَأسْرِدُها مَقْرُونةً ببيانِ
وليمةُ عُرْسٍ، ثمَّ خُرْسُ ولادةٍ،
عَقيقَةُ مَوْلُودٍ، وكيرةُ بَانِ
وَضيمَةُ ذي مَوْتٍ، نَقيعةُ قادمٍ،
عَذِيرٌ أو اعذارٌ ليوم ختانِ
ومأدُبةُ الخِلانِ لا سَببٌ لها،
حِذَاقُ صَبيٍّ يومَ ختم قُرانِ
وعَاشِرُها في النَّظم تُحفةُ زائرٍ،
قِرى الضَّيفِ، مَعْ نُزْلٍ لهُ بأمانِ(١)

فالأولى: وليمة «العُرْس» وهو الدخول، وهي سُنَّة لثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً.

والثانية: وليمة «الخُرس» - ويقال: الخُرْسة - وهو الطعام الذي يُصنع لسلامة المرأة من الطلق في النفاس، وهو الولادة.

والثالثة: وليمة «العَقِيْقَة»، قال الأصمعي في أصلها لغة: «أصلها الشَّعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد»، وفي الاصطلاح: اسم للشاة المذبوحة عن المولود يوم السابع من ولادته، وهي سُنَّة واجبة يجب العمل بها.

والرابعة: وليمة «الوكيرة»، وهي لإحداث بناء السكن، مأخوذة من الوكر (وهو المأوى والمستقر).

والخامسة: وليمة «الوضيمة» وهي لموت إنسان، يصنعه جيران أهله وأقاربه الذين لم يشتغلوا بالمصيبة، والدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً؛ فقد جاءهم ما يشغلهم»، حين بلغه صلى الله عليه وسلم نبأ استشهاد جعفر رضي الله عنه، رواه الإمام أحمد وأهل السنن. ويكره ما يبتدع إن كان مأتماً، أو من صُنع أهل البيت.

والسادسة: وليمة «النَقيْعَة» وهي الدعوة لقدوم المسافر، مأخوذة من النَّقْع (وهو الغبار)، وهو مستحب يصنعونه للقادم.

والسابعة: وليمة «العَذِير» - أو الإعذار - وهي الدعوة للختان، والإعذار الختان، وحكى ابن طولون

طرفًا مما قيل في استحباب هذه الوليمة.

والثامنة: وليمة «المأدُبَة» وهي الضيافة التي تُعمل بلا سبب، قال ابن العماد: وقد سُميت مأدبة لاجتماع الناس لها؛ لأنها تقع على كل طعام يُصنع، ويُدعى عليه الناس، وخصوصاً الأصدقاء، وهي أنواع، قال البلقيني: وما يتخذ بلا سبب «مأدبة»، ثم إن كانت عامة فهي «الجفَلى»، أو خاصة فهي «النقَرى».

والتاسعة: وليمة «الحذاقة» - وتُسمّى: التحلية - وهي الإطعام عند ختم القرآن، وكذا إذا ختم الثمُنَ أو الربُعَ أو النصف، ولا ضرر في هذه الوليمة إذا لم يكن فيها منكر أو مبتدع.

والعاشرة: وليمة «التُحفَة» وهي الإطعام لمن يزورك.

والحادية عشرة: وليمة «القِرى» وهي الإطعام للضيف.

والثانية عشرة: وليمة «النُزُل» وهي الإطعام لمن ينزل عليك لضرورة.

والوليمة العلمية واحدة من العادات الجميلة التي عُرفت عند المتقدمين - نسبيًا، ولم تتوغل فيهم - وزالت اليوم، فتولم الوليمة إذا أتم الطالب حفظه للقرآن (وهي الحذِاق)، فيصلي ركعتين بشيوخه ؛ تكريماً له، وإذا ختم قراءة كتب بعينها، وغير ذلك.

وقد تدخل البدع في كثير من الولائم العلمية ، كما داخلت غيرها من الولائم عامة، ومثال ذلك ما حكاه الذهبي في ترجمة أبي القاسم إسماعيل بن محمد الطَّلْحيُ الأصبهانيِ الملقب بقوام السُنَّة (ت٥٣٥هـ): «وسمعت بعض أصحابه أنه كان يُملي شرح «صحيح مسلم» عند قبر ولده أبي عبدالله، ويوم تمامه عملَ مأدبةً وحلاوة كثيرة»(٢).

فما عُهدت القبور مكانًا لتلقي العلم!، واستبعد صحة هذا الخبر عن رجل من أهل السُنَّة والجماعة مثل قوام السُنَّة، والخبر ذكره الذهبي بجهالة فلم يصرح باسم الذي سمع منه.

وأذكر هاهنا نخبة من الولائم العلمية التي عملها بعض العلماء؛ احتفاءً بكتاب أمضوا سنين في تأليفه، أو في سماع كتاب على مؤلفه.

وليمة السُنن للكَجّي

ذكر ابن الجَوزي في ترجمة أبي مسلم إبراهيم بن عبدالله الكَجّي «صاحب السنن» (ت٢٩٢هـ) عن الفاروق بن عبدالكبير الخطَّابي قوله: «لمَّا فرغنا من قراءة كتاب «السنن» على أبي مسلم الكَجّي، اتخذ لنا مأدُبَة أنفقَ فيها ألفَ دينار، وقال: شهدت اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل قولي وحدي، ولو شهدت على دستجة بقل لاحتجت إلى شاهد آخر يشهد معي، أفلا أصنعه شكراً لله تعالى؟»(٣).

وليمة فتح الباري

غلاف «فتح الباري»

لَمّا كمل «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» تصنيفًا وقراءة - وهو أجلّ مؤلفات الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) - أقيم لختمه وليمة عظيمة في مكان بناه المؤيد خارج القاهرة بين كوم الريش ومنية الشيرج، ويُعرف بـ «التاج والسبعة وجوه»(٤)، وكان ذلك في يوم السبت الثامن من شعبان سنة ٨٤٢هـ. وقُرئ المجلس الأخير هنالك، وجلس المصنِّف مع القارئ على الكرسي ، وكان يوماً مشهوداً لم يعهد مثله فيما تقدم، بمحضر من العلماء والقضاة والرؤساء والفضلاء والشعراء، ومنهم: الشريف الأسيوطي، وابن أبي السعود، والديري، والبقاعي، والنَّواجي، والدَّجوي، والمليجي، والبكري، وابن صالح الإشليمي، والسخاوي (وكان صغيراً)، وجَمْع غيرهم، كما شهده العامة والحرفيون، وفي ذلك يقول البقاعي: وخرج الباعة وأهل الأسواق - رجالاً ونساءً - للفرجة، حتى إني أظن أنه لم يتخلف في ذلك اليوم في القاهرة كبير أحد.

وقد نظم الشعراء في مدح «فتح الباري» ومؤلفه قصائد كثيرة أُنشد بعضها في مجلس الختم، وبعضها بعده، ومن ذلك ما أنشده المليجي يوم الختم فقال:

«شــرحُ البــخاري» آيةٌ وافـى بهـا
فــتحٌ من الباري أطابَ مَـقـالَـهـا
وشِـهـابُهـا فـضَحَ الدَّرَاري جـهـرةً
فــينا وأخْـفى بدرَها وهلالـهــا
هو حـافظُ العصـر الذي في مِـصْره
أهلُ النُّهى ضـربت به أمــثـالَـهـا
شــهِـدَتْ له أنْ لا ســواهُ مُــعْـلِنًا
إيضــاحَـهـا ومُـبَـيِّنًا إشكـالَهـا
وجَـلا لهـا كلمـاته اللائي هي السّـ
ـببُ المبينُ حـرامَـهـا وحَـلالَـهـا
يـا واحــــدًا يُملـي ارتجـالاً ديـمـةً
مـنه أحـاديثَ الـهُدى ورجـالَـهـا
اهنأ بيـوم حـــازَ أسـبــابَ الـهـنا
وتحــقَّـقت بقدومـه إقبــالَـهـا
فـتحٌ من البـاري فـمِسْكُ خـتـامـه
بلغَـتْ بـه كـلُّ الورى آمـــالَـهـــا
يومٌ هـو المشـــهـــودُ في الأيام قـد
بسَطت يدًا جُـدواك فـيــه نَوالَـهـا
لمّا رأوا خَـتْمَ الكتـــاب تمسّكوا
بمـقـالـةٍ أوسَـعتَ فـيـه مـجـالَـهـا
شــــرحٌ به كُـتبُ الحـديث تألّـفت
فــهـو الجديدُ وغيـرُه مــا نالَـهـا
خُـذها عـروسًـا قـد زهَـتْ في ليلةٍ
وافـتْكَ تسْـحَبُ في الـهنا أذيالَـهـا
شــهِـدَتْ بأنك كُفءٌ كلِّ كـريـمـةٍ
فـاجـعلْ قَـبُولَ المدح منك وِصالَـهـا

لمّا طبع صديق حسن خان القنَّوجي تفسيره «فتح البيان في مقاصد القرآن» في مصر، أولم وليمة، حضرتها الرئيسة المعظمة تاج الهند صاحبة القِران الثاني «نواب شاهجهان بيكم» وفرقت على الجماعة الحاضرة مبالغ من الفضة كثيرة

ومما أنشده ابن أبي السعود يوم الختم في التاج بعد مقدمة غزلية:

وبعـد رشْـفِ الثنايا رحتُ ملتثـمًـا
خـالاً وكـانَ خـتـامُ المسك مُطَّلَبي
فـجاء حـسنُ خـتـام منه يُسْنِـدُ عن
قـاضي القضاة خـتـام العلم والأدبِ
حَبْرِ الـهدى حافظِ الإسلام أحـمدَ مَنْ
له من «الفتح» ذكرى فتح خيـر نبي
يا عــالـمًـا شـرَحَ اللهُ الصدورَ بـه
وباسـطَ العلـم والآمـــال للطّـلبِ
شرحت صدر البـخاري مثْل «جامعه»
فـراح ينشـدُ: هـذا مُنتـهَى الطّلبِ
هـذا المـنارُ الـذي للعلـم مـــرتـفـعٌ
الله أكـبـرُ كلُّ الفـضـل في العَـربِ
فـحـبَّذا جـامـعٌ بالشّرح صار له
وقـفًا كـبحـرٍ جـرى باقٍ مـدى الحِقَبِ
أضـاء فـيـه مــصـابيحٌ مـسلسلةٌ
من الأحــاديث أو من لـفظِك الضَّربِ
شرحٌ حكى الشّمسَ فالدُّنيا به امتلأت
تَغـيب زَهْـرُ الدَّراري وهو لم يَغبِ
يُغنيك عن طلـب الأسـفـار مقْـولُه
«والسيف أصدق أنباءً من الكتبِ»
وإن رقَـى شـرفَ الإمـلاء تحـسَبُـه
مع الـتـواضـع بحـرًا سحَّ من صَبَبِ
وكم لـه من تصـــانيف حَـلَت وعَلَت
كـالنَّجم تكثُر عن قطر الحيا السُّربِ
يا من يـقـولُ: لقـيتُ النّاسَ في رجلٍ
دع مـن أردت ويمِّـمْ نَعـتَـــه تُصبِ

ومما أنشده شمس الدين الدَّجوي يوم الختم قوله:

بفـــتح البــارئ اتّضــحـت وبانت
مناهـلُ علــمـــه للــوارديــنا
صــحــيحٌ ســدَّ بابَ الطّعنِ فـيـه
وفــتَّـح من مـــسائله العُـيُـونا
جَـلا صورَ المسـائل فـاسـتـبـانتْ
عـــرائسُهـــا بلفظِه يُمـــهـرونا

أولم مرتضى الزَّبيدي بعد أن أنجز الجزء الأول من كتابه «تاج العروس من جواهر القاموس» وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية

سعدتْ بناظريه الدهرَ منه
فإنَّ به كنوزَ الطالبينا
معانيه يحرِّرُها احترازًا
بميزانِ البيانِ لتستبينا
فأصبح روضُه تُسْبيك علمًا
وآثارًا رياضَ الصالحينا
وتصبحَ إن عرفتَ السِّر منه
كما قد قيل: تاجَ العارفينا

وأنشد البقاعي يوم الختم بالتاج بعد مقدمة غزلية:

بأبي الخدودُ نواضرًا حسناتُها
كنواظرِ الغزلان في الدِّينار
قصدَتْ يكونُ المسكُ حُسْنَ ختامها
فتعلَّمت من خَتْم «فتح الباري»
شرحُ البخاريِّ الذي في ضِمْنه
نُظِمَتْ علومُ الشرع مثلَ بحار
في كل طِرسٍ منه روضٌ مُزهِرٌ
وبكلِّ سطرٍ منه نهرٌ جاري
قد حُرِّرت فيه مباحثُ مَن مضى
وكلامُهم أضحى بغيرِ غبار
وبه زوائدُ من فوائدَ جمَّةٍ
وفرائدٌ أعيت على النُّظار
شَرحَ الحديثَ به فكم من مُشكلٍ
فيه انْجلى للعينِ بالآثار
يأتي إلى طُرقِ الحديث يضمُّها
فإذا العيانُ مصدِّقُ الإخبار
سارت به لمشارقٍ ومغاربٍ
نُسَخٌ غدَتْ تُتلى على الأخيار
وتَزاحمَتْ ـ أفديه ـ في تحصيله
زُمَرُ الملوكِ فسَلْ من السُّفّار

وكتب الشريف الأسيوطي:

كم للبخاريِّ من شرح وليس كما
قد جاء شرحك في فضلٍ وتتميم
شروحه الذهب الإبريز ما حكيت
بمثل ذا الختم في جمع وتكريم
وشرحك الرائج المصري بهجتها
وهل يوازن إبريز بمختوم

وأنشد البكري:

وكم من شُروح «للبخاريِّ» عِدَّةٍ
طواها «بفتح الباري» أعجب لما تُطوى
كساهُ جمالاً من عُذوبة لفظه
فنارت به الدُّنيا وسُلِّمَت الدَّعوى

وفرَّق المؤلف على كُتَّاب «فتح الباري» صُرَر فضة، ومجامع حلوى، وقد أنشد الدَّجوي في ذلك:

بفتح الباريْ انشرح البخاري
وأحمدُ ختمه بالفضلِ جامعْ
أدار دراهمًا صُررًا فأنشى
وحلوى فيه تأخذُ بالمجامعْ

ولعل فضل منشأ هذه العادة (التي التزمها ابن حجر مع كُتَّابه) يعود إلى سلطان المغرب أبي فارس عبدالعزيز الحفصي ـ الذي كان يستهدي المصنِّف ما نجز من الكتاب ـ، ويُجهِّز لكتبة «الشرح»، ولجماعة مجلس الإملاء ذهبًا يفرِّق عليهم بحسب مراتبهم (التماسًا للثواب).

وكان المصروف في الوليمة المذكورة ـ كما ذكره السخاوي ـ نحو خمسمئة دينار، ولم يُترَكْ من أنواع المآكل والمشارب والفواكه والحلوى وما أشبه ذلك شيء(٥).

وليمة تاج العروس

وقد أولم مرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) بعد أن أنجز الجزء الأول من كتابه «تاج العروس من جواهر القاموس» وليمة جاء في وصفها في «الخطط التوفيقية»: «...أولم وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية، وذلك في سنة إحدى وثمانين ومئة وألف، وأطلعهم عليه واغتبطوا به وشهدوا

بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه في علم اللغة، وكتبوا عليه تقاريظهم نظماً ونثراً»(٦).

ومضى الزَّبيدي يعرض كتابه على من يفد عليه أو يقابله من العلماء؛ فتجمع بذلك على الكتاب عدد كبير من التقاريظ لجمع من أفاضل العلماء الذين ذكر أسماءهم الجبرتي في تاريخه، أمثال: علي الصعيدي، وأحمد الدردير، وعبدالرحمن العيدروس، وحسن الجداوي، وأحمد البيلي، وعطية الأجهوري، ومحمد الخربتاوي، والسويدي، وعلي الشاوري الفرشوطي، وغيرهم.

من تلك التقاريظ التي حفظها لنا الجبرتي في تاريخه: تقريظ الشيخ محمد بن داود الخربتاوي الذي كتب: «فلمَّا منَّ الله على العبد الضعيف بالاطلاع على هذا الشرح الشريف المُسمى بتاج العروس من جواهر القاموس... وكان حفظه الله (أي الزَّبيدي) قد أشار بوقوفي على هذا الطراز المحلَّى والقدح المعلَّى، وأن أكتب بما تسمح به القريحة الخائفة لقصورها من الفضيحة، سيما وقد قرظ عليه فحول الأئمة الأعيان، الذين تعقد عليهم الخناصر في كل زمانٍ ومكان، فأحجمت من ذلك إحجاماً، مخافةً واحتشاماً، ثم علمت أن أمره قد ورد على سبيل الإيجاب، وأن قاضي الإنصاف لا يرضى إلا بشهادة الحق وقول الصواب، فأقدمت بعد الجموح... وقلت فيه في الحال، معتمداً على الملك المتعال:

تاج العروس الذي أبداه سيدنا
المرتضى العالمُ النحرير ذو الهمم
لمَّا بدا أرخصَ التيجان كلهم
لما حوى من عظيم الفخر والشيم
أجمع أهل الهدى أن لا نظير له
من التآليف في عربٍ وفي عجم

ثم غلب على الرشد أن أحذو حذو شيخنا محيي النفوس سيدي العيدروس فقلت وعلى الله توكلت:

صاح إن شئت كل علم نفيسِ
فانظرن ما حواه تاج العروسِ
شرح شيخ الإسلام تاج المعالي
مرتضى العارفين رأسِ الرؤوس
شرحه الجامع المهذب أبدى
من خبايا العلوم ما قد تُنوسي
قلت لمَّا رأيته يا ابن ودي
نشرُ روضٍ أم ذاك عطرُ عروس
أم حياةُ النفوس مَنْ أسكرتْني
بسُلافٍ من ريقها المأنوس
بنت سبع وأربع وثلاث
إن تجلت أزرت ضياء الشموس(٧)
قال هذي لآلئ قد جلاها
ماجدٌ عارفٌ زكيُّ الغُروسِ
دمت في عزةٍ وفتح ونصر
من إلهٍ مهيمنٍ قُدُوس
وصلاة مع السلام دوامًا
تغش طه النبي تاج العروس
ما غدا قائلاً أسيرُ ذنوب
صاح إن شئت كل علم نفيس»(٨)

وقرظه الشيخ علي الشاوري الفرشوطي الذي كتب تقريظه على التاج عند قدوم الزَّبيدي لبلدة فرشوط (في صعيد مصر).. كتب: «وقد منَّ الله علينا وشرفنا بقدومه الصعيد، وقد أطلعني على بعض شرحه على قاموس البلاغة، فإذا هو شرح حافل ولكل معنى كافل... قلت فيه حين قدم فرشوط بلدتنا:

قد حلَّ في فرشوطنا كلُّ الرضا
مذ جاءها الحبر النفيس المرتضى
أكرِمْ به من طودِ فضلٍ شامخ
من نسل من نرجوهُمْ يوم القضا
أحيا فنون العلم بعد فنائها
وأزال غيهبها بتحقيق أضا
لا سيما علم اللغات فإنه
قد شيَّد الأسَّ الذي منه نضا
أمست به فرشوط تفخر غيرها
وتبلَّجت أقطارها حتى الفضا
لمَّا تولى ذاهبًا من عندنا
فكأن في أحشائنا نارَ الغضى»(٩)

وآخر من قَرَّظ «التاج» - كما ذكر الجبرتي - الشيخ



غلافا «فتح البيان وتاج العروس»

محمد سعيد البغدادي الشهير بالسويدي (ت١٢٠١هـ)، وقد كتب هذا التقريظ ارتجالاً:

«شَرَحَ الشريفُ المرتضى القاموسا
وأضاف ما قد فاته قاموسا
فغَدَتْ صِحاح الجوهري وغيرها
سحر المدائن حين ألقى موسى
إذ قد أبان الدر من صدف النهى
في سلك جمهرة اللهى تأنيسا
وبنى أساساً فائقاً واختار في
إتقانه مختاره تأسيسا
فأثار من مصباح مزهر نوره
عينَ الغبيِّ فأبصرته نفيسا
فهو الفريد فلا يثنى جمعه
إذ لا يحاك كمثله تدليسا»(١٠)

وليمة فتح البيان

ولمَّا طبع صديق حسن خان القَنّوجي (ت١٣٠٧هـ) تفسيره «فتح البيان في مقاصد القرآن» في مصر، أولم وليمة على غرار الحافظ ابن حجر قال عنها: «عملت وليمة عظيمة على تفسيري «فتح البيان في مقاصد القرآن» عندما ختم بهوبال المحمية، وجمعت علماء البلد وطلبته، وحضرت الرئيسة المعظمة تاج الهند صاحبة القران الثاني «نواب شاهجهان بيكم» أنعم الله عليها وأكرم فيها - بنفسها الكريمة الفياضة - وفرقت على الجماعة الحاضرة مبالغ من الفضة كثيرة، وكان جملة المصروف في أمر هذا التفسير خمسةً وعشرين ألف ربية، ولله الحمد، فكانت تلك الوليمة على شرح الحديث (أي وليمة فتح الباري)، وهذه على تفسير الكتاب العزيز، وإنما عملت هذا كله تشبهًا بالأئمة الكبار وقدوة بأهل الحديث الأبرار»(١١).

الهوامش والمراجع

١. «فصُّ الخَواتِم فيما قِيل في الولائم» لابن طولون الصالحي، تحقيق نزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م (ص٣٩)، وقد نقلت عن ابن طولون شروحه لأنواع الولائم، وأحكامها، ومن أين أتاها المُسمّى، وقد ساق هناك عدداً من المنظومات في أنواع الولائم (ص١١٨، ١١٩).

٢. «سير أعلام النبلاء» للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م (٢٠/ ٨٣).

٣. «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لابن الجوزي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (١٣/ ٣٥).

٤. يُعرف هذا الموضع بالتاج والسبع وجوه، وهو في الحقيقة خمسة وليس سبعة. قال التقي المقريزي: «منظرة التاج: هي من جملة المناظر التي كانت الخلفاء تنزلها للنزهة، بناها الأفضل بن أمير الجيوش، وكان لها فرش معدّ لها للشتاء والصيف، وقد خربت، ولم يبق منها سوى أثر كوم توجد تحته الحجارة الكبار... وأعظم ما كان حوله «قبة الهواء»، وبعدها «الخمس وجوه».
و«منظرة الخمس وجوه» من مناظرهم التي يتنزهون فيها، وهي من إنشاء الأفضل بن أمير الجيوش، وكان لها فرش معدّ لها، وبقي منها آثار بناء جليل على بئر متسعة كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التي تنقل الماء لسقي البستان، والعامة تقول: «التاج والسبع وجوه» إلى الآن... وأدركت حول «الخمس وجوه» غروساً من نخل وغيره تشبه أن تكون من بقايا البستان القديم، وقد تلاشت الآن، ثم إن السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي الظاهري جدّد عمارة منظرة فوق «الخمس وجوه» ابتدأ بناءها في يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ٨٢٣هـ» اهـ.
وقال ابن تغري بردي في حوادث سنة ٨٢٣هـ: «وفي رابعه [المراد: رابع شهر شوال] ركب السلطان المحفّة من قلعة الجبل ونزل إلى جهة «منظرة الخمس وجوه» التي استجدها بالقُرب من التاج وقد كملت، والعامة تسميها «التاج والسبع وجوه» وليس هو كذلك، وإنما هي ذات «خمس وجوه» وأما التاج فإنه خراب» اهـ.
انظر «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» للمقريزي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م - مأخوذة من طبعة القاهرة القديمة - (٢/ ٤٢٠ - ٤٢١)، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصورة عن طبعة دار الكتب - (١٠/ ١١٤، ١٤/ ٩٤، ١٠٢ - ١٠٣).

٥. انظر في ذلك كله: «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوي، تحقيق إبراهيم باجس عبدالمجيد، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م (١/ ٣٩٩ - ٥٦٥، ٢/ ٦٩٩، ٧٠٢ - ٧٠٥)، و«فتح الباري بشرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر، راجعه قصي محب الدين الخطيب، القاهرة: دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م (١٣/ ٥٤٨ - ٥٦٤).

٦. «الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة» لعلي مبارك، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٩٨٣م - طبعة مصورة عن الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٩٧٠م - (٣/ ٣٤٣).

٧. هنا إشارة الزمن الذي استغرقه الكتاب تأليفاً، وهو أربعة عشر عاماً.

٨. «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» للجبرتي، تحقيق عبدالعزيز جمال الدين، القاهرة: مكتبة مدبولي، [د.ت] (٣/ ٥٦١ - ٥٦٤).

٩. المصدر السابق (٣/ ٤٥١ - ٤٥٢).

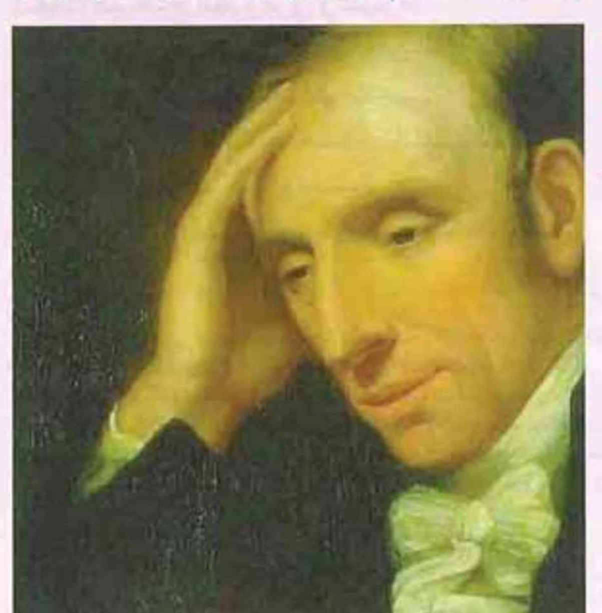
١٠. المصدر السابق (٣/ ٤٤٩ - ٤٥٠).

١١. «التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول» للقنوجي، الرياض: مكتبة دار السلام، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م - مأخوذة من نشرة الهند القديمة، مع بعض التغيير - (ص٣٧٠).

«الحاصدة الوحيدة» نموذجاً للحركة الرومانسية

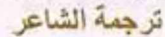
تعلق وترجمة: **توفيق علي منصور**
القاهرة - مصر

أصدر المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة) في جمهورية مصر العربية المجلد الأول من كتاب «مختارات شعرية مترجمة: شعراً بشعر». يتكون من مجموعة من القصائد الشعرية المكتوبة باللغة الإنجليزية قمت باختيارها وترجمتها والتعليق عليها. بدأت هذه المجموعة المختارة بقصيدة لرائد الحكمة الرومانسية في الشعر الإنجليزي ويليام بليك (١٧٥٧ - ١٨٢٧) William Blake.



ووردزوورث

وهذه القصيدة «الحاصدة الوحيدة» للشاعر الرومانسي ويليام ووردزوورث William Wordsworth(١) (١٧٧٠ - ١٨٥٠) تتكون من أربع فقرات كل منها ثمانية أبيات، ولكني أقدمها في ثمانية مقاطع لسهولة التتبع في الترجمة والقراءة، ثم أتبع النص الإنجليزي بالترجمة، ثم أشرح هذه المقاطع وأعلق عليها. وفي البداية إليكم نبذة من الشاعر وآراء النقاد في شعره وفي حركته الرومانسية.



ويليام ووردزوورث شاعر إنجليزي، أعجب في شبابه بالثورة الفرنسية، مثل غيره من الشعراء ومن أبناء جيله، ولكن مبادئها الثورية أصابته بالإحباط عندما ثارت الاضطرابات التي بدأت في عام ١٧٩٣م.

تقابل مع صامويل تيلور كوليريدج (١٧٧٢ - ١٨٣٤م) Samuel Taylor Coleridge واشترك معه في إصدار مجموعة شعرية مشتركة من الشعر الغنائي القصصي بعنوان Lyrical Ballads في عام ١٧٩٨م. وتعكس مشاركة ووردزوورث في هذه المجموعة نظرته التي عبر عنها في تقديمه لها في طبعة ١٨٠٢م عن الشعر، وتفيد أن الشعر يجب أن يكون سهلاً واضحاً ميسور المنال لجميع القراء. ولذلك يجب أن يكتب بلغة شائعة يعرفها رجل الشارع.

ويعرِّف الشعر بأنه «مشاعر تتجمع في هدوء».

ويعدّ هذا الكتاب - بالإضافة إلى أعمال وليام بليك في التسعينيات من القرن الثامن عشر - أول بشرى بالحركة الأدبية الرومانسية في إنجلترا.. وتعدّ قصيدته القصصية الطويلة: «المقدمة: أو نمو عقل الشاعر The Prelude or, Growth of a Poet.s Minda رائعته الذائعة الصيت، التي انتهى من نظمها في عام ١٨٠٥م ولم ينشرها في حينها؛ ولكنه ارتبط بها على مر السنين حتى راجعها ونشرها عام ١٨٥٠م.



وليام بليك

وقليل من الشعراء الآخرين من استطاع أن يمزج بنجاح العوالم الشخصية والطبيعية والاجتماعية، كما مزجها ووردزوورث، فهو يكشف فيها عن دافعه في التقاط الأحجار من أنقاض الباستيل، ويتذكر رؤيته القاتمة في زمن الطفولة عن «النماذج المجهولة من الطبيعة».

ومنح ووردزوورث إمارة الشعر الإنجليزي في عام ١٨٤٣م خلفاً لصديقه روبيرت سوذي (١٧٧٤ - ١٨٤٣م) Robert Southey، وتعرض مثله للنقد من معاصريه بصفته - هو وصديقه - محافظين، ومنهم اللورد جورج جوردون بايرون (١٧٨٨ - ١٨٢٤م) Lord George Gordun Byron. كما تعرض للنقد من الشعراء المتطرفين مثل روبيرت براونينج (١٨١٢ - ١٨٨٩م) Robert Browning الذي هاجمه في قصيدته «القائد المفقود The Lost Leader».

ويجمع النقاد ومنهم جون كيتس (١٧٩٥ - ١٨٢١م) John Keats، وبيرس بيش شيلي (١٧٩٢ - ١٨٢٢م) Percy Byshe shelley - على الرغم من معارضتهم له في بعض الأمور - على أهميته بصفته شاعراً كبيراً ذا صوت جديد في الشعر، حبيب إلى قلوب القراء(٢).

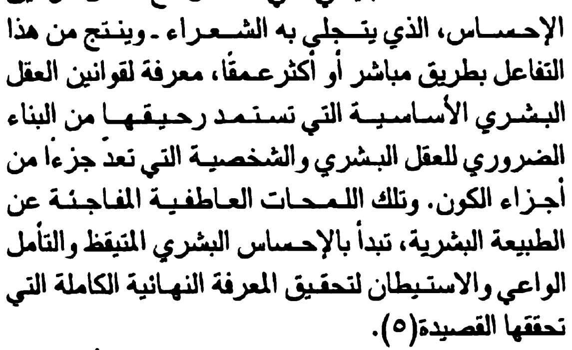
تأثر ووردزوورث بالفلسفة الألمانية والمدرسة النيوبلاتونية Neoplatonism من خلال صديقه كوليريدج. فهناك أثر ملموس لفلسفة كانت Kant في شعر وردزورث الذي تلمذ لعالم النفس هارتلي Hartley. ولهذا برع في المدح وفي الطبوغرافيا والتحليل النفسي وخاصة في Tintern Abbey(٣).

أقوال النقاد

يقول ووردزوورث - بصفته ناقداً - في دفاعه عن الشعر: إنه تدفق تلقائي لفيض من المشاعر القوية(٤).

ويقول ديفيد دينشيز: الحقيقة الشعرية إحساس لا يحتاج إلى مصداقية أو توثيق. والقلب هو مجال التصديق. فالبناء النفسي لعقولنا يصادق على ذلك ويتصل بطريقة ما بالقوانين العقلية الأساسية التي تصنع الإدراك البشري والعاطفة الإنسانية. وهذا البناء النفسي يتوازى مع أعمال الكون جميعاً. فمن سرته عاطفته وانفعاله، وأعجب بالعاطفة والانفعالات التي يهيئها الكون، تطبَّع على الإتيان بها من حيث لا يجدها.

وأفضل مواصفات الطبيعة وأهمها، ليست هي أجملها ولا أكثرها تصويراً لناظرها الطبيعية، بل هي مظاهر العالم الطبيعي التي تتفاعل مع العقل الرقيق الإحساس، الذي يتجلى به الشعراء - وينتج من هذا التفاعل بطريق مباشر أو أكثر عمقاً، معرفة لقوانين العقل البشري الأساسية التي تستمد رحيقها من البناء الضروري للعقل البشري والشخصية التي تعدّ جزءاً من أجزاء الكون. وتلك اللمحات العاطفية المفاجئة عن الطبيعة البشرية، تبدأ بالإحساس البشري المتيقظ والتأمل الواعي والاستبطان لتحقيق المعرفة النهائية الكاملة التي تحققها القصيدة(٥).



ويؤكد س. هـ ستاينبيرج S.H. Steinberg أن الشعر الرومانسي يتميز بدقة الإحساس ورقة التعبير وتدفق العاطفة والمبالغة والنغمة الحزينة(٦).

الحركة الرومانسية

والحركة الرومانسية حركة أدبية وفنية تؤكد أهمية الشعور والمضمون أكثر من أهمية الشكل والنظام.

بدأت هذه الحركة منذ أواخر القرن الثامن عشر، واستمرت حتى باكورة القرن التاسع عشر، لو أن الموازنة بين الحاجة إلى التلقائية في التعبير عن المشاعر والرغبة في اتباع النظم الفنية يرجع تاريخها إلى كبار شعراء المسرح الإغريقي كالموازنة بين إيسخيلوس Aeschylys

(٥٢٤ ـ ٤٥٦ ق.م) وسوفوكليس Sophocles (٤٩٦ ـ ٤٠٦ ق.م)».

ومن مظاهر الحركة الرومانسية:

- تفوق الحكم الفردي على الحكم الجماعي.
- الثقة المتزايدة في القدرة على الإصلاح والعناصر الطبيعية الضرورية المتأصلة في النفس البشرية.
- تفوق الفضائل الطبيعية والعضوية على البنيوية الاصطناعية الاجتماعية.
- الميل إلى الحزن على شيء يغار عليه الشاعر ولكنه فقده.

ولا تزال معاني الحركة الرومانسية وحدودها في الأدب الإنجليزي في القرن الثامن عشر قضية جدال حتى الآن. فمن المؤكد أن عناصر الحركة الرومانسية موجودة في شعراء مثل: ويليام كوبر William Cowper وكريستوفر سمارت Christopher Smart وحتى في كتابات الدكتور صامويل جونسون Dr. Samuel Johnson (١٧٠٩ ـ ١٧٨٤). ولكن أول الأعمال الأدبية الرومانسية العظيمة كانت لوليام بليك في التسعينيات من القرن الثامن عشر، ثم ووردزوورث وكوليريدج في كتابهما السالف ذكره.

شيلي

ويعد جوهان فولفجانج فون جوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢م) Johann Wolfgang Von Goethe Romanticism أن الأصولية Classicism هي الصحة بعينها، بينما الرومانسية Romanticism هي المرض.

ومن شعراء الرومانسية المعروفين لورد بايرون وشيلي وكيتس والشاعر الألماني هاينريس هاين (١٧٩٧ ـ ١٨٥٦) Heinrich Heine، والسير والتر سكوت (١٧٧١ ـ ١٨٣٢) Sir Walter Scott .

وفي تجاوب مع النهضة الصناعية المتصاعدة عكف رسامو الطبيعة وفنانونها على رسم المناظر الطبيعية من وجهة نظر غيرتهم الوطنية على الطبيعة؛ وقد تشبعت المناظر الريفية بالعواطف القوية، بنغمة مفعمة بالحزن(٧).

والرومانسية، على ارتباطها بالبورجوازية هي عدوة لها. وبينما يأتي الشعر الأصولي تام النهاية (بداية ووسط ونهاية)، نرى الشعر الرومانسي غير تام أو مكتمل النهاية، فهي شذرات مطموسة.

والشعراء الرومانسيون لم يطلقوا على أنفسهم هذا الاسم، بل أطلق عليهم في عام ١٨٤٤م، كما أطلقت المصطلحات الآتية: النزعة الإنسانية (١٨٣٢م) Humanism والنهضة (١٨٤٠م) Renaissance والعصر الإليزابيثي (١٨١٦م) Elizabethan Age والعصر الأوغسطي (١٨١٩م) Augustan Age كما ورد في معجم أكسفورد Oxford Dictionary(٨).

القصيدة

١

Behold her, single in the field,
yon solitary Highland Lass!
Reaping and singing by herself;
Stop here, or gently Pass!
Alone she cuts and binds the grain

تطلَّعْ إليها! ففي حقلها
فتاة الهضاب تراها فريده!
فتحصد، تشدو إلى نفسها
توقّفْ! أو امضِ بدون ضجيج!
تُقَطِّعُ أعواد تلك الغلال
ومن ثم تربطها بانفراد

٢

And Sings a melancholy strain
O listen! for the Vale profound
Is over Flowing with the sound

وتمضي تغني بصوت حزين
تنصَّتْ! صداها بواد عميق
يفيض امتلاءً بصوت الفتاة
[تغني بعيدا بأحلى النغم]

٣

No Nightingale did ever chaunt
More welcome notes to weary bands
of travellers in some shady haunt
Among Arabian sands

فلا العندليبُ بصوتٍ جميل
تغنّى بأفضلَ من صوتها

وليس بأمضى قبولاً لدى
مسامع مجموعةٍ منهكه
مسافرة في صحارى العرب
أناخت بظلٍ ظليلٍ بيت

٤

A voice so thrilling ne.er was heard
In spring time from the Cuckoo bird,
Breaking the silence of the seas
Among the farthest Hebrides.

ولم يستطع أي صوت سمعت
يهز شعوري كصوت الفتاة
ولو كان في فترات الربيع
من الطائر الهزاز الصغير
يهز سكونَ البحارِ العميق
وبين اليهودِ المستبعدين

٥

Will no one tell me what she sings?
Perhaps the Plaintive numbers Flow
For old, unhappy, far. off things,
And battles long ago;

ألا يستطيع امرؤ أن يترجم
حقا: ماذا تغني الصبية؟
فهل تشتكي عبر هذا الغناء
فقيدًا كبيرًا لسوء المصير؟
وشيئا عزيزًا بعيد المنال
بمعركة من قديم الزمان؟

٦

Or is it some more humble lay,
Familiar matter of today?
Some natural Sorrow, loss, or Pain,
That has been and may be again?

وهل تتواضع في طرح أمر
يفيد قضيتنا الجاريه؟
وهل هو جرح أصاب الفؤاد
وهل هو حزن أتته الطبيعه؟
ألمّ كثيرًا ومازال يسري
وقد يتكرر مستقبلا.

٧

Whate'er the theme, the Maiden Sang
As if her song Could have no ending;
I Saw her singing at her Work,
And o'er the sickle bending

ومهما أتت من صنوف الغناء
فقد شنّفتنا بتغريدها
ويبدو الغناء كما لو يكون
استدام وليست له من نهايةْ
رأيت بعيني الفتاة تغني
[وتتغنّى بانتظام العمل]
تميل على المنجل الحاصد
وتأخذ في ضمّ أعوادها

٨

I listened, motionless and still;
And, as I mounted up the hill,
The music in my heart I Bore,
Long after it was heard no more.
November 5, 1805.

توقفت من عجبي ساكنا
وظلت وقوفا بلا حركةْ
ولما صعدتُ إلى تلّها
حملت بقلبي أنغامها
ومنذ أنِ ابتعدت عن عيوني
لم أستمع مثلَ أنغامها
٥ نوفمبر/تشرين الثاني ١٨٠٥م.

شرح القصيدة

ليست القصيدة مبنية على خبرة الشاعر ووردزوورث؛ ولكنها محاكاة لقصيدة كتبها توماس ويلكينسون Thomas Wilkinson بعنوان رحلة في أسكتلندا Tour Of Scotland (١٨٢٤م) واطلع عليها وهي لاتزال مخطوطة لم تنشر بعد. تقول القصيدة الأصلية:

مررت على فتاة كانت تحصد وحدها، وكانت تغني بلغة أسكتلندية غاليَّة تسمى إيرز Erse. وبينما كانت تنحني لتحصد بمنجلها سمعت منها أجمل صوت سمعته في حياتي. وكانت نغماتها حزينة رقيقة، استمتعت بها وتذوقتها جيدًا. وبعد أن طال بعادي

عنها، لم أسمع لها مثيلاً. ولم يكن الشاعر يفهم اللغة الأسكتلندية الإيرزية(٩).

وشعر القصيدة بصفة عامة من الشعر السهل في التراكيب والمفردات والمضمون حتى ليمكن القول: إنه «من السهل الممتنع» الذي يبدو سهلاً في الفهم بحيث يطمع المرء في أن يأتي بمثله، ولكن دون جدوى؛ إذ تحكمه المشاعر والعواطف الرومانسية التلقائية الخالية من التكلف أو الصنعة أو الزخرفة التي يشتهر بها الشعر الأصولي (الكلاسيكي).

وعنوان القصيدة يدل على مضمونها، وهو «الحاصدة الوحيدة». وفيه نجد الوحدة أو الانفراد أو العزلة التي يتميز بها الشعر الرومانسي.

ولسهولة شرح القصيدة قسمتها ثمانية مقاطع، علما بأن الشاعر قسمها أربع فقر، كلٌ منها ثمانية أبيات.

والقصيدة مبنية على أربع تفعيلات من بحر الأيامب Iambic، والقافية في الأبيات الأربعة من كل فقرة متبادلة تقريباً abab، ولكنها متتابعة في كل بيتين من الأبيات الباقية.

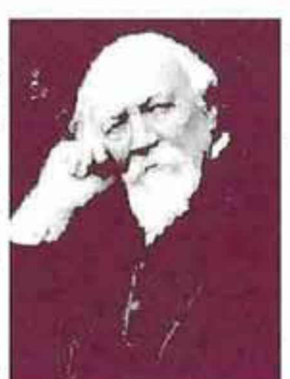
١

والنزعة الفردية واضحة منذ مطلع القصيدة. فهناك الصيغ الثلاث للحديث: صيغة المتكلم الفرد، ثم صيغة المخاطب الفرد الذي يأمره الشاعر بالتطلع والنظر إلى الفتاة، ثم يأمره كذلك بالتوقف أو المرور في صمت. أما الصيغة الثالثة فهي صيغة الغائب، وهي تملأ القصيدة؛ لأن المقصود بها تلك الفتاة.

والنزعة الفردية مظهر من مظاهر الشعر الرومانسي. كما أن الهضاب والحقول من الملامح الجغرافية (الطبوغرافية) التي يتميز الشاعر بوصفها. والحصاد والغناء يعبران عن تفاعل الفتاة مع الطبيعة؛ وكذلك التطلع والاستماع بهدوء من عناصر الشعر الرومانسي.

٢

والنزعة إلى الحزن من شمائل الشعر الرومانسي. وامتلاء الوادي العميق بصوت الفتاة، تفاعل من الطبيعة مع الفتاة وترديد لصدى غنائها. والتصوير البديع للوادي العميق المفعم بصوت الفتاة تفاعل للعقل الرومانسي مع إحساسه الرقيق. والأمر بالصمت والإصغاء تأدب مع الطبيعة ومع الفتاة خشية أن يبدد ضجيج المخاطب الغناء والتدفق المنسجم بين الإنسانة والطبيعة.


روبرت براونتج

والحصاد و«طبوغرافية» المكان يعبران عن طيب شمائل النفس البشرية في تعاملها مع الطبيعة، وهو تعبير عن الخلق الرومانسي الذي يؤمن بتوازي البناء النفسي البشري مع أعمال الكون والفضائل الطبيعية.

٣

ولا يستطيع العندليب، ذلك العنصر المتوحد مع الطبيعة، أن يحاكي صوت الفتاة. وفي ذلك مبالغة محمودة يشتهر بها الرومانسيون. وينتقل الشاعر من طبوغرافية الهضاب والتلال والأودية والحقول إلى رمال الصحارى العربية.

ولعل الصحارى العربية تذكرنا بأسطورة الطائر العربي الفريد Phoenix, the Arabian Bird؛ ذلك الطائر الذي يعيش خمسمئة عام في أرض الجزيرة العربية، ثم يتوجه إلى عين شمس في مصر، حيث تعد له محرقة لإنهاء حياته.

ومن رماد هذه المحرقة يولد طائر فريد آخر. وهذا الطائر الأسطوري الفريد يعبر عن حركة الشمس والتقويم الشمسي الذي يضيف يوماً كل خمسمئة عام. فَتَفَرُّدُ الفتاة مقرون بتفرد الطائر العربي الأسطوري.

وفي هذه الموازنة غير المباشرة نوع من المبالغة الأسطورية.

٤

يؤكد الشاعر في هذه الفقرة تفرد الفتاة في حلاوة الصوت، ثم يجمع العناصر المتضادة: الصحارى، والبحار، والعرب مع اليهود.

والطائر الهزاز الصغير Cuckoo يعرف بأنه يطير بعيداً، ويودع بيضه في أعشاش غيره من الطيور(١٠). وكذلك يفعل صوت الفتاة الذي يعشش في أركان الطبيعة ليملأ الأودية ويشنف آذان المستمعين.

ويصدق الشاعر حين يقول: إن صوت الفتاة ملأ قلبه كما لم يستطع أيّ صوت غيره أن يملأ قلبه ويهز مشاعره.

وفي هذا وذاك عنصر أو أكثر من عناصر الشعر الرومانسي.

٥

لم يفقه الشاعر المستمع اللغة التي تغني بها الفتاة، ولكن الشيء المميز أن نغمتها حزينة. فيتساءل عمن يستطيع أن يترجم له ما تقول. فهل تنعي شخصاً كبيراً عزيزاً عليها فقدته كأب أو جد أو أخ أو أخت أو أب أو أم أو جدة؟ وهل تعاني سوء الحظ وسوء المصير؟ وهل تشكو من الدمار والقتل اللذين أحدثتهما معركة حربية سابقة؟ وهل تعاني فقد حبيب هجرها أو تشكو من غدر الكوارث الطبيعية كالزلازل والأعاصير والبراكين والحرائق والفيضانات والبرق وغير ذلك؟ وهل تخشى العثرات في المستقبل؟

وكل هذه تساؤلات عن مصادر الحزن ومبعث الألم، وهي تساؤلات تشريحية تفصيلية لمصادر الفجيعة التي تعد عنصراً مهماً من عناصر الشعر الرومانسي.

٦

والمعروف أن الحزن الناتج من الغيرة على شيء فقده الإنسان أو على وشك أن يفقده يتعلق بالغيرة على الحياة الريفية في مواجهة الغزو المدني الذي أحدثته الثورة الصناعية، والميل الجماهيري لاتّباع القواعد والأنظمة والترتيب والتكلف في الحياة، يجعل الإنسان أكثر قلقاً على مصير القرية والحياة الطبيعية، وأشد حزناً على احتمالات فقد الحرية الطبيعية. وهذا ما جعل الشاعر يطنب في سرد أسباب القلق.



كوليريدج

٧

ومن التفاعل بين الفتاة والطبيعة أنها تحصد منها غلالاً، وتغني لها، وتطربها، وتجيب عنها صدى، مثلها كمثل العصفور الذي يتمتع بخيرات الطبيعة، ويغني لها لقاء ما قدمت له من خير. فعطاء الطبيعة تفاعل مع عطاء الفتاة. وتفاعل الشاعر مع هذا كله أدى به إلى نظم هذه القصيدة، وإمتاع الطبيعة والآخرين.

٨

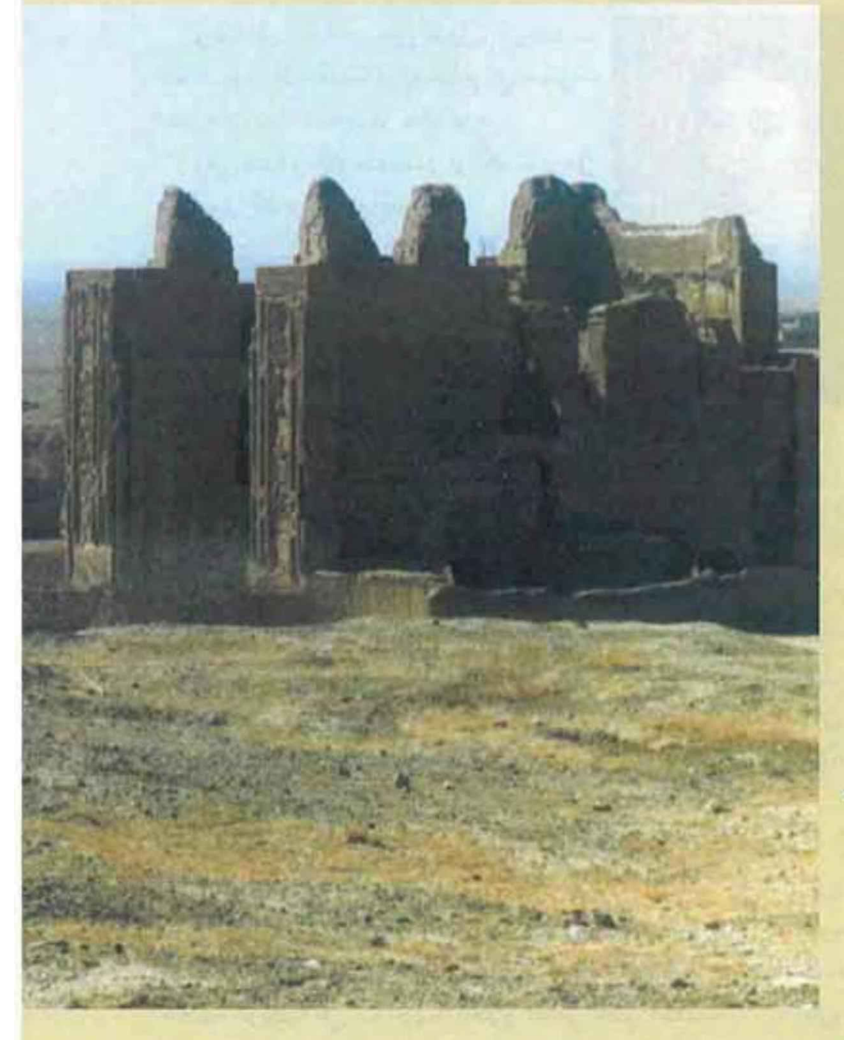
وأثر ذلك كله في الشاعر. أنَّ أصابه العجب، فتوقف ساكناً حتى يستمتع بكل نغمة وكل صدى وكل حركة، حتى لا يثير ضجيجاً يؤذي مشاعر الفتاة وبهاء الطبيعة، وقد استقر في قلبه النغم بشكل لم يعهده من قبل. فنزعتُهُ الإنسانية وإحساسه الرقيق جعلاه يعبر عن طيب شمائل النفس البشرية وقدرتها على الإصطلاح والإمتاع.

الخلاصة

إن القصيدة التي كتبها بالإنجليزية الشاعر الرومانسي ويليام ووردزوورث بعنوان: «الحاصدة الوحيدة»، وترجمها إلى العربية شعراً كاتب هذه السطور، لتعبر خير تعبير عن مظاهر الحركة الرومانسية التي أبدعها الشاعر ويليام بليك، وسار على نهجه الرواد الأوائل ومنهم وردزورث وكوليريدج. وأصبح الأمر سهلاً ميسوراً لكل من يتطلع إلى معرفة الحركة الرومانسية في الشعر وتوجهاتها وروادها الأوائل حتى أعدائها، ومنهم الشاعر الألماني جوته.

الهوامش

1- William Wordsworth, " The Solitary Reaper " Collected Poems Of William Words Worth.
2- Edwin Moore, Fiona Machenzie Moore, Concise Dictionary Of Art & Literature, (London: Gedds & Grosset Ltd., 1993), PP. 438,439.
3- Rene, Wellek and Austin Warren, Theory of Literature, (Harmonds Worth: Penguin Books Ltd., 1978), P.113.
4- David Daicjes, Critical Approaches to Literature (London: Longman Group, 1987) P.22.
5- Ibid., P. 95.
6- S.H. Steinberged, "Romanticism," Cassell's Encyclopaedim of Literature, Vol.1 (London: Cassell's & Company Ltd., 1953), P.478.
7- Moore, op. Cit., pp. 349, 350.
8- Wellek, op. cit., p.264.
9- Anonymaus.
10- Liz Kauffman, ed., Webster's Dictionary 1990 (New York: Nickel Press, 1990, p.91.



زوزن البصرة الصغرى في خراسان

صادق العبادي
طهران - إيران

كثير من المدن الإسلامية كانت عامرة فأصابها الخراب والدمار بسبب الحروب والنزاعات، أو الزلازل، ولكن استعادت عافيتها كهمذان والري ونيسابور ولكننا اليوم أمام مدينة كانت عامرة في التاريخ، واسعة الأرض، كثيرة القرى، قال عنها ياقوت الحموي: كانت تعرف بـ «البصرة الصغرى» لكثرة من أخرجت من الفضلاء والأدباء وأهل العلم، ولكنها اليوم ليست سوى أطلال وتلال، تجد لها ذكرًا في كتب التاريخ والجغرافيا والأدب، ولكن لا ذكر لها في الدراسات المعاصرة ألا وهي مدينة زُوزَن جنوب خراسان (بضم الزاي الأولى وقد تُفتح). وهذه الدراسة أول تحقيق واستطلاع يُنشر بالعربية عن هذه المدينة الضائعة والمنسية.

أهمية زوزن في التاريخ

لقد كانت زُوزن مدينة عامرة قبل دخول الإسلام في سنة ٣١هـ، وتوسعت بعدها خصوصًا في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وظلت عامرة حتى القرن الثامن؛ وذلك لوقوعها على الطريق التجاري بين نيسابور وهرات، فقد كانت معمورة على عهد



منظر عام لمسجد زوزن

المقدسي (ت: نحو ٣٨٠هـ)، إذ يقول عنها: ولنيسابور اثنا عشر رستاقاً، ويذكر زوزن من ضمنها، ثم يقول: وهي مدينة كبيرة على أربعين فرسخاً من نيسابور كثيرة الحاكة وصنّاع اللبود وفيها طين الأكل، وهي على طريق نيسابور هرات، ولارتباطها بمدن قاين وسلام وخواف فإنّ لها موقعاً تجارياً(١).

أما الإصطخري (ت: ٣٤٦هـ) فيذكرها في مسالك الممالك: ولنيسابور حدود واسعة، ورساتيق عامرة، ولها مُدن منها البوزجان، وسنكان، وزوزن، وكهندز(٢).

وذكر أبو الحسن البيهقي (ت: ٥٦٥هـ) أن زوزن رستاق، وقصبته زوزن.

يقول السمعاني (ت: ٥٦٢هـ) في وصفها: إن إمارتها تعدل إمارة كبيرة بخراسان، وكذلك القضاء بها، وحدودها متصلة بحدود البوزجان، وقهستان(٣)، وأيام عزها كانت تشتمل على مئة وأربع وعشرين قرية منها بهداذين ومعدن وسنكان - إحدى مدن نيسابور - وكهندز ومزينان.

وأفضل وصف لها جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ) قبل هجوم المغول: زوزن كورة

واسعة بين نيسابور وهرات، ويحسبونها في أعمال نيسابور، كانت تعرف بـ (البصرة الصغرى) لكثرة من أخرجت من الفضلاء والأدباء وأهل العلم. وتشتمل على مئة وأربعٍ وعشرين قرية(٤).

وقد عدّها حمدالله مستوفي (في القرن الثامن) إحدى المدن الثلاث التابعة لخاف إذ قال خواف (أو خاف) من ولايات نيسابور، ومن قصباتها: سلامة وسنجان وزوزن، وقد بنى الملك الزوزني فيها عمارة عالية، ومن ثمارها اللذيذة العنب والبطيخ والرمان والتين، ويكثر فيها الحرير، وأهلها من الأحناف المتمسكين بالشريعة، والمتصلبين على دينهم، والمحبين للغرباء الوافدين على بلادهم، والعاملين علي الخيرات وأداء فريضة الحج(٥).

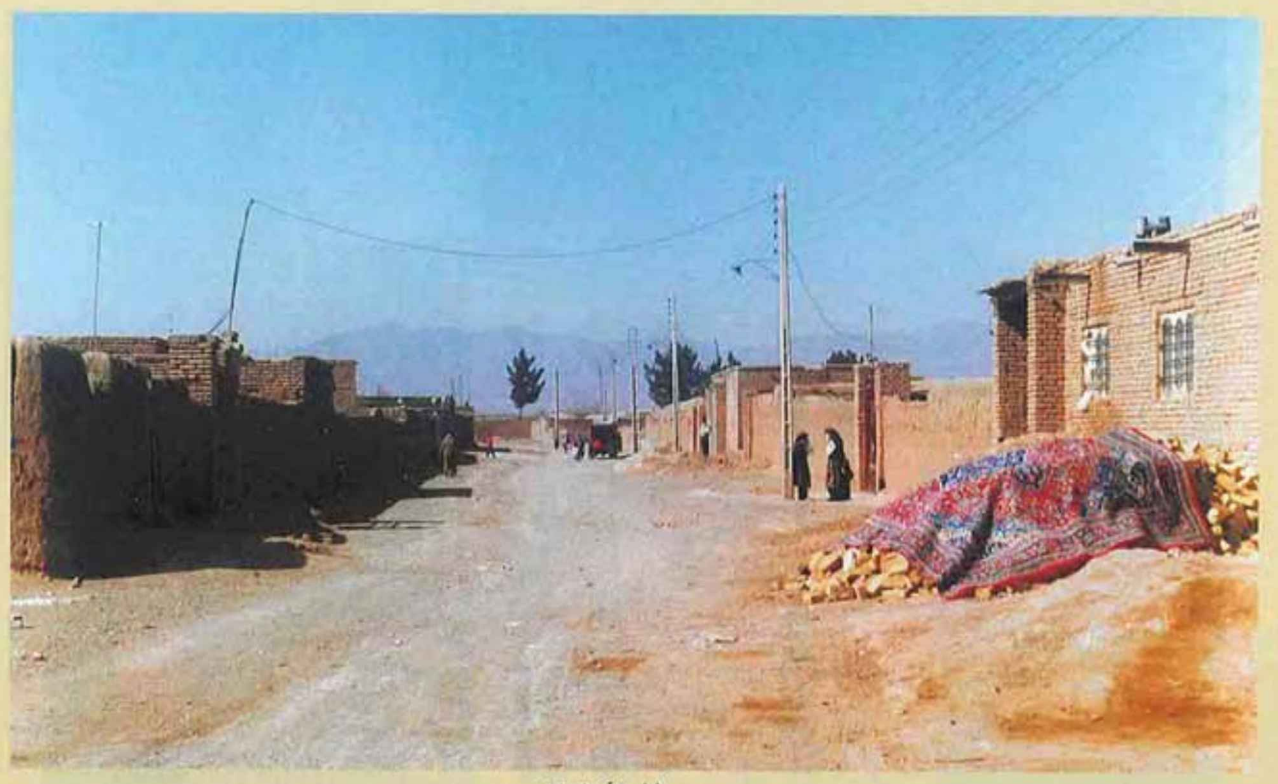
كان هذا حتى بداية القرن الثامن، ولكن بدأت هذه المدينة بالأفول والنسيان بعد الزلزال الكبير سنة ٧٣٧هـ، وانتقل أهاليها إلى خرجرد وخواف، ولم يأت ذكرها في كثير من الكتابات التي جاءت في الفترات التالية، وحتى المستشرقون الذين نبشوا أطلال بلادنا الإسلامية شبرا شبراً في القرن التاسع عشر الميلادي لم ينتبهوا إلى هذه المدينة بسبب خرابها ووقوعها في منطقة صحراوية نائية.

موقعها الجغرافي

عرفها القدماء بأنها رستاق من رساتيق نيسابور، وكانت على طريق نيسابور هرات باتجاه الجنوب، وهي اليوم على بعد ٦٠كم جنوب غرب خاف (خواف) من توابع مدينة تربت حيدرية جنوب



أبواب مدرسة زوزن



شارع في زوزن

محافظة خراسان، في منطقة صحراوية شديدة الحرارة قليلة الأمطار، هواؤها معتدل شتاء وحار صيفًا تصل درجة الحرارة إلى ٥٠ درجة مئوية. وتبعد عن الطريق المعبّد عدة كيلومترات، وقد بنيت إلى جانبها قرية باسم (قاسم آباد) وهم من أهالي زوزن.

اكتشاف زوزن من جديد

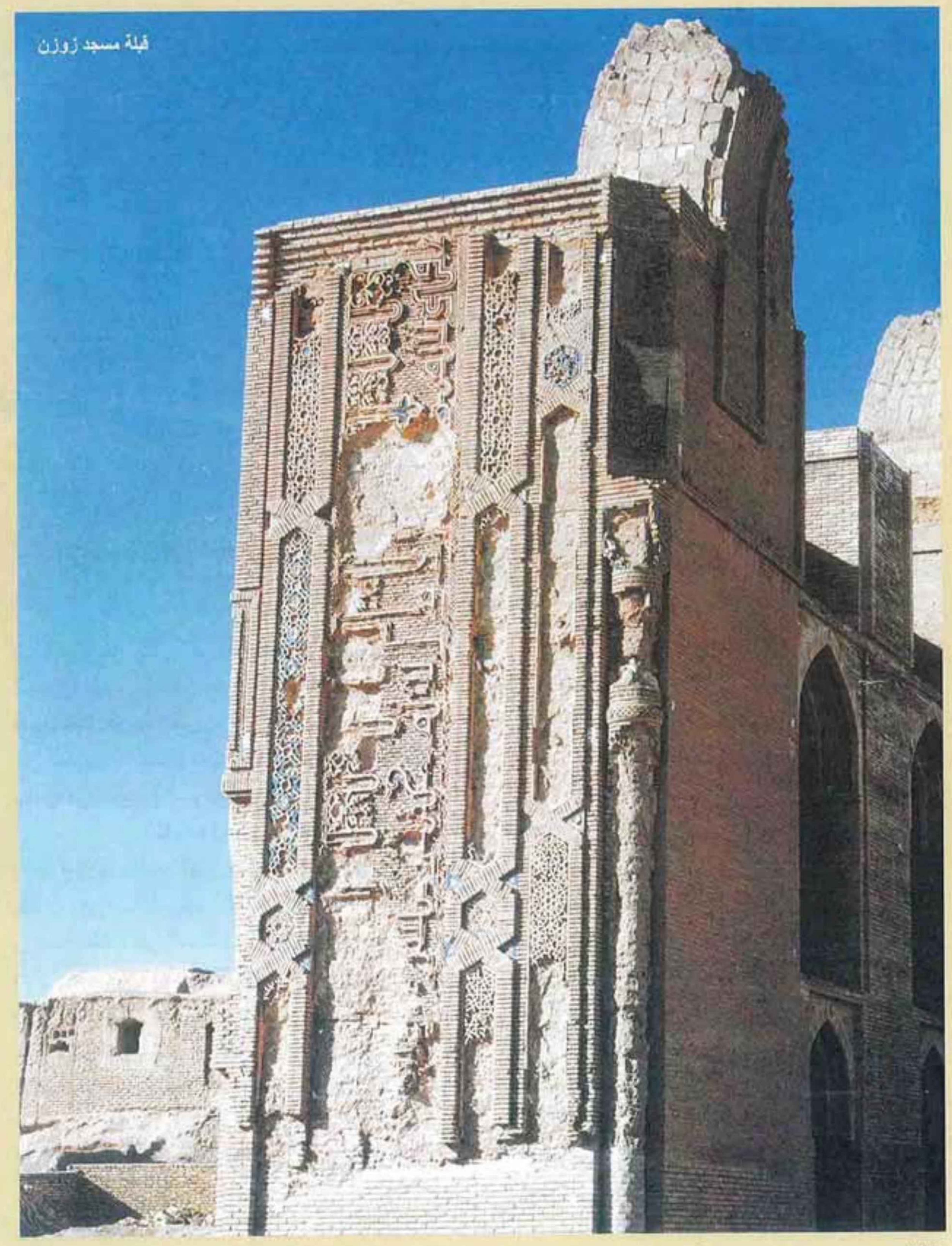
إن أول من انتبه إليها هو تيمور تاش وزير رضا بهلوي - في الثلاثينيات - إذ كان يملك فيها أراضي زراعية فطلب إلى المستشرق والباحث الفرنسي آندره كُدار Godar دراسة الأطلال فيها، وقد كان يعمل في إيران مستشارًا في الآثار حتى عام ١٩٤٥م، وقام بعدة زيارات استكشافية في خراسان والبحث عن المعمار الإسلامي فيها، وقد زار زوزن أول مرة عام ١٩٤٠م ميلادية، ونشر بحثًا عنها في كتابه: «آثار إيران» (قسم خراسان) نشر أول مرة عام ١٩٤٩م(٦).

إن وقوع هذه المدينة في منطقة نائية لا يصل إليها طريق معبّد جعل أكثر الباحثين يجهلونها، ولولا دراسة كُدار لكانت هذه المدينة من المدن المنسية.

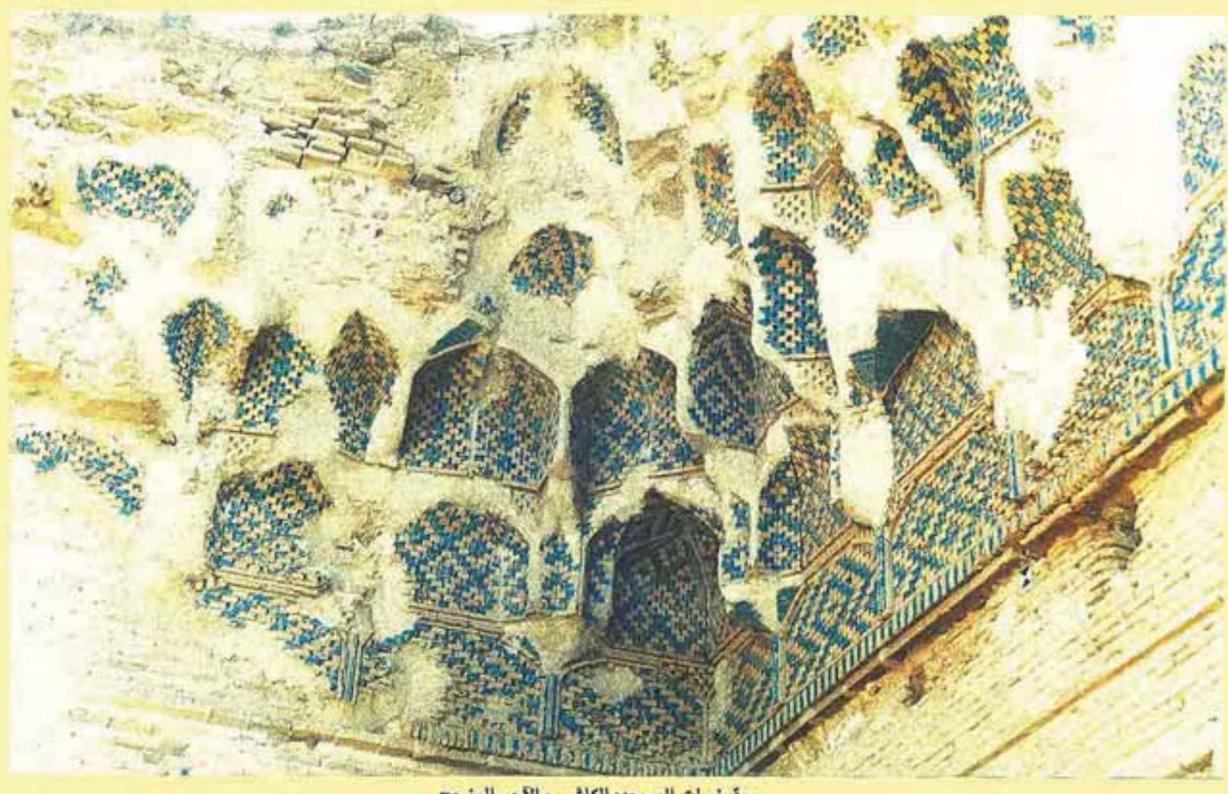
مسجد ومدرسة زوزن التاريخيان

إن المستشرق الفرنسي كُدار أول من اكتشف أهمية مسجد زوزن ومدرستهما وقيمتهما المعمارية، ونشر عنهما خرائط جديدة كانت الأساس لدراسة الآثار والمعمار في زوزن، يقول آندره كدار: لم يبق الكثير من مسجد زوزن العظيم. إن عظمة الإيوان إنما تظهر عندما نرى أن ارتفاعها كان ثلاثين مترًا، وهذا ارتفاع مثير، ولم تكن عظمة المسجد وجلاله في حجمه فقط أو العدد الذي يستوعبه من المصلين، وإنما في الطراز المعماري المهيب والضخم الذي صمّم على أساسه(٧).

يحتوي مسجد زوزن ومدرستها على إيوانين: الأول جنوبيًا، وفيه المحراب، وعرضه ١٣/٣م بعمق



قبلة مسجد زوزن



مقرنسات المسجد: الكاشي والآجر المزجج

٢٢/٦٥م، والإيوان الثاني شمالاً بعرض ١١/٣م، وارتفاع الطابق - غير القائم الآن - ثلاثون متراً من أرض المسجد، وهذا الارتفاع العظيم للإيوان قلّ نظيره في المساجد الإسلامية المماثلة، ويفصل بين الإيوانين ٤٥م، ويغطي المسجد مساحة ألف متر مربع، وضخامة قاعدة كل إيوان خمسة أمتار.

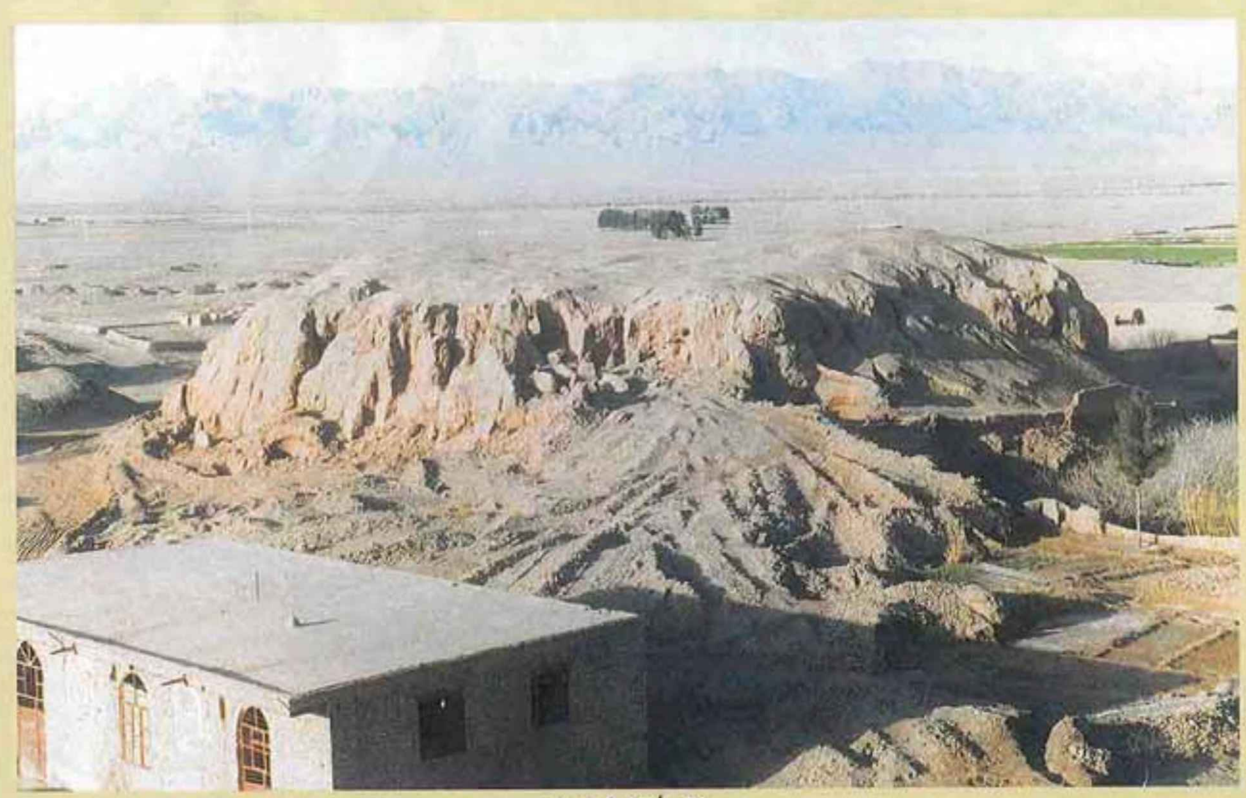
إن عظمة بناء هذا المسجد والمدرسة إنّما كانت تكمن في إثبات عظمة الإسلام أمام الملل والنحل غير الإسلامية، كالمجوسية التي كانت لا تزال منتشرة هناك، وهي من آثار المعمار الإسلامي في عصر ما قبل الهجوم المغولي.

وبعد ٣٥ عاماً من مقالة كدار جاءت السيدة شيلا بلير (عام ١٩٨٥م) لتقوم بدراسة المسجد من جديد، وقراءة خطوطها الكوفية وسنة التأسيس، وبناء على معلوماتها تم اكتشاف عام التأسيس واكتشاف أن هذا المسجد كان تابعاً للمسلمين الأحناف(٨).

في عام ١٩٨٧م بدأت منظمة الآثار الإيرانية في مشروع ترميم مسجد زوزن - بالتعاون مع اليونسكو - وقام السيد شهريار عدل بدراسة خطوطها وخرائطها من جديد، واكتشف بعض أخطاء كدار وبلر في مجال معمار المسجد وسنة البناء(٩).

ومنذ تاريخ رسم الخرائط وحتى عام ١٩٨٧م، العام الذي بدأت فيه منظمة الآثار الإيرانية بترميم المسجد وإعماره، كان القسم الأكبر من المسجد مخفياً تحت الأنقاض والأتربة. ولذا لم تأت المعلومات الجديدة المكتشفة في تقرير كدار عام ١٩٤٩م صحيحة، بل كان بعضها وخاصة حول بناء المسجد والقبلة خاطئاً.

ومن الأخطاء التي وقع فيها كل من كدار والسيدة بلير هو أن المسجد كان مكتمل البناء، وأن سقف الإيوان العظيم قد هدم أيام حملات المغول أو ما بعدها؛ ولكن الدراسات التي أجريت حديثاً تدل على أن المسجد كان في طور البناء أيام هجوم المغول



تلال وأطلال في زوزن

(٦١٥هـ) وبسبب الهجوم وهروب باني المسجد مؤيد الملك أبي بكر بن علي الزوزني منها توقف هذا المشروع العظيم الذي لم يتكامل، وقد عثر في عمليات التنقيب على مجموعة كبيرة من الآجر الذي لم يُنَضَّد بعدُ في البناء.

إن آثار الكتابة الكوفية على أحجار الآجر والمقرنسات تدل على أن تاريخ بنائه هو سنة (٦١٥ - ٦١٦هـ)، ففي إحدى الكتابات جاء: بسم الله الرحمن الرحيم، قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، في شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وستمئة.

كذلك فقد أثبت الدكتور عدل بأن ما طرحه كدار حول انحراف القبلة الحنفية في مسجد زوزن لم يكن صحيحاً.

لقد أثبتت أعمال الحفر والدراسات الأثرية خلال السنوات العشر الأخيرة بأن هناك قضايا كثيرة مازالت بحاجة إلى دراسة وبحث، وما تم الحصول عليه من معلومات هو:

- كان موقع المسجد في القرن الأول مسكوناً وعليه أبنية من طين.

- في القرن الثالث الهجري بُني بناء عظيم هناك، مازالت آثار منه باقية.

- في القرن الرابع بنيت أعمدة أساسية من الآجر في الجانب الآخر من المسجد.

- في القرنين الخامس والسادس أضيف للمسجد أقسام جديدة وأعمدة أخرى.

- وفي القرن السابع هدمت المباني والأعمدة السابقة، وبني على أساسها مسجد زوزن ومدرستها الفعلية، وتمت الاستفادة من الآجر القديم، وأبقي على بعض الأجزاء من البناء السابق مما يدل على أن هذا المسجد مرّ بمراحل كثيرة حتى وصل إلى هذه الحال.



بعض الأقسام التي رُمِّمت في المسجد عام ٢٠٠٠م

ويظهر أن زوزن وما حولها أصابها الزلزال الكبير سنة ٧٣٧هـ مما جعل أهاليها يتركون المنطقة متجهين نحو خرجرد وخواف.

الفن المعماري لمسجد زوزن

إن مجموعة مسجد زوزن ومدرستها - على الرغم من قيمتها المعمارية العالية - كانت من المعالم الأثرية الإسلامية التي غطاها النسيان بسبب بُعدها ووقوعها في منطقة نائية.

إن نوعية الآجرّ المغطّى بالفخار الأزرق في ذلك التاريخ (القرن السابع) تعدّ من الإبداعات الفنية في المعمار الإسلامي، ومن الآثار النادرة في مجال الآجرّ المزجّج؛ وندرتها تأتي من أنها أقدم نوع من هذا الآجرّ في العمارة الإسلامية(١٠)، ووجودها في خراسان يدل على أن منشأ هذا الفن هو خراسان. وبعد هجوم المغول وهروب الفنانين والمعماريين باتجاه غرب البلاد الإسلامية، أوصل هذا الفن إلى أذربيجان والأناضول، وقد استُخدم الآجرّ المزجّج والخزفي في عمارة زوزن باللون الأزرق والفيروزي في كثير من جدران المسجد.

وازدهر الآجرّ الخزفي أولاً في مناطق سمرقند وبخارى وخراسان بألوان الفيروزي والأزرق والأخضر، ثم انتقل إلى الري وكاشان، وأصبحت كاشان مركزاً له وسمي بـ «القاشاني»(١١).

وقد تمت قراءة الكتابات الكوفية المحفورة على إيوان المسجد بواسطة السيدة شيلا بلير Sheila Blair(١٢).

ومن حيث الطراز المعماري، فإن مسجد زوزن فيه إيوانان على الطراز الخراساني - كما في مسجد فارومد - وهو من أقدم المساجد الإسلامية التي استخدم فيها الآجر الملون والأزرق.

مؤيد الملك الزوزني

ورد اسم قـوام الـدين مـؤيد الملك أبي بكر بـن علي الزوزني، (ت نحـو ٦١٧هـ) أمـيـر «ملك زوزن»، في الكتب التي تؤرخ لـلمغـول والخـوارزمـيين، فقـد كـانـت منطقـة زوزن معـبرًا لهولاكـو خان للـهجوم علـى قلاع الإسمـاعـيلية، فـسيطر على قـلاع خـواف وزوزن وخرجـرد ثم ذهب إلى المناطق الثـانية، وقـد قاوم أمـير خواف مـقاومـة شديدة غـارات هولاكـو، إلا أن الأخـير انتصر عليه سنة ٦٩٤هـ.



منظر آخر للمسجد

ويظهـر اسم ملك زوزن مـنذ سنة ٦٩٥هـ في عـهـد السلطان علاء الدين محمد بن تكش الخوارزمي، حين أصبح أمـيـرًا على زوزن ومـا حـولهـا، وبـسط نفوذه جنوب خـراسـان حـتى كـرمـان وهرمـز على الـسـاحل الشرقي من الخليج من ٥٩٦ ـ ٦١٧هـ، وهو الذي بنى مسـجد زوزن ومدرسـتها العظـيمة، وبنى إلى جنبهـما قصرًا عامرًا(١٣). يقول حمد الله مستوفي: وكان فيها قلعة عظيمة معروفة بـ «قلعة القاهرة».

ويعـتـقـد بـعض البـاحـثين أن كـثـيرًا مـن القضـايا التاريخية المتعلقة بعصـر المغول قد سلط الضوء عليها، ولكن قصـة مـدينة زوزن التـي كـانت من المدن الأولى التي سقطت أمام هجوم المغـول تكشف أن هناك قضايا مازالت غـير مـدروسة. ووجـود هذا المسجد والمدرسة العظيمة يكشف لنا عن عمق المأساة، وكيف أن المغول وقفوا أمام أحلام هذا الأمير وأهدافه والذي توسع نفوذه من خراسان إلى كرمان حتى سواحل الخليج الشرقية، فقد ذكـره الشاعر سعدي الشيرازي بكلمة (السلطان) لعظمته، وكان يملك ملكًا عظيمًا، وله سيطرة واسعة، وله حـضـور في كـثـيـر من بلاد فـارس حـتى مـضـيق هرمـز، إذ أدّى دورًا في تـثبيت حكم الخـوارزمـيين، والحرب ضد الإسماعيلية في جنوب خراسان(١٤).

اسم زوزن ومعانيها

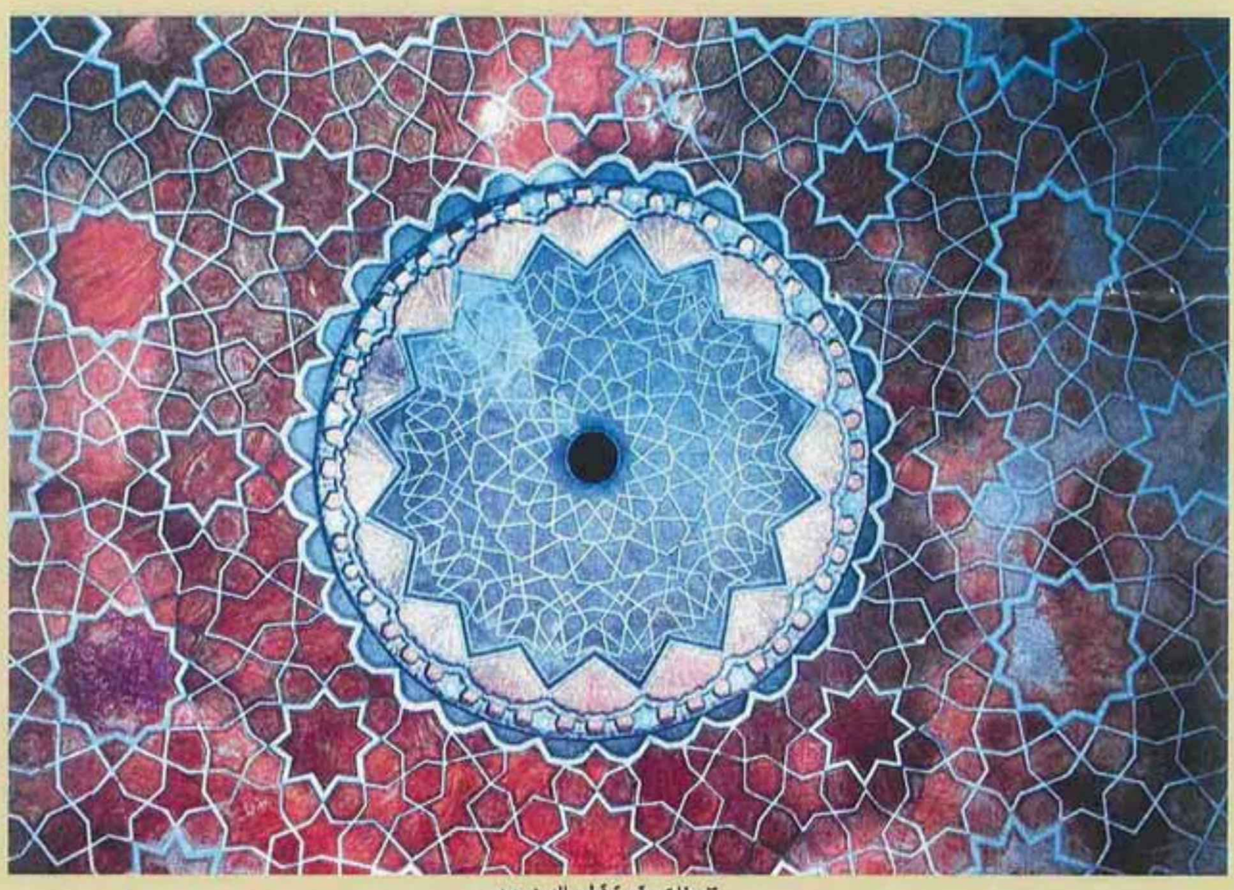
تـكـتـب زُوزَن Zuzan بضـم الأول، وقـد ورد في بعض الأنسـاب بفـتـحـهـا فيـقولون (الزَّوزَني)، ولكن الأصح هو الزُوْزَني.

فقد جاء اسمها في المصادر الفهلوية الـقــديمة على شكل (ســوزيـا) و(سوزيان) ثم حـورت إلى (سُوسن) و(زُوزن)، ويعتقد بعض المعمرين أنها من كلمة سوسن.

أما تفسيـر أهالي المنطقة فإن الكلمة أصلـهـا «زوزنه» وهـي تركـيـب من لفظتي «زو» و«زنـه» بمعنى مـجـرى ومـسـيل الماء(١٥).

ويقـول ياقـوت: وقـال أبو الحـسن البـيـهـقي: سـبب تسميتـهـا أن النار (التي كـانت المجوس تعـبدها حُملت من أذربيجان إلى سجستان على جمل، فلما وصل إلى هذا الموضع، برك الجـملُ عنده فلم يبرح فـقال بعـضهم زُوزَن ـ والأصح زود زن ـ أي عـجّل واضـرب الجـمل لكي ينهـض، فلمـا امـتـنـع من النهـوض بُني بيت للنار هناك(١٦).

وحـسب هذا الـتـحـليل فـإن الكلمـة جـاءت من كلمـة «زود زن» أي انهض واضرب بسرعة أو «زور زن» وهو أمر بالسعي والهمة وإعمال القوة.



تزيينات مقبرة قطب الدين حيدر

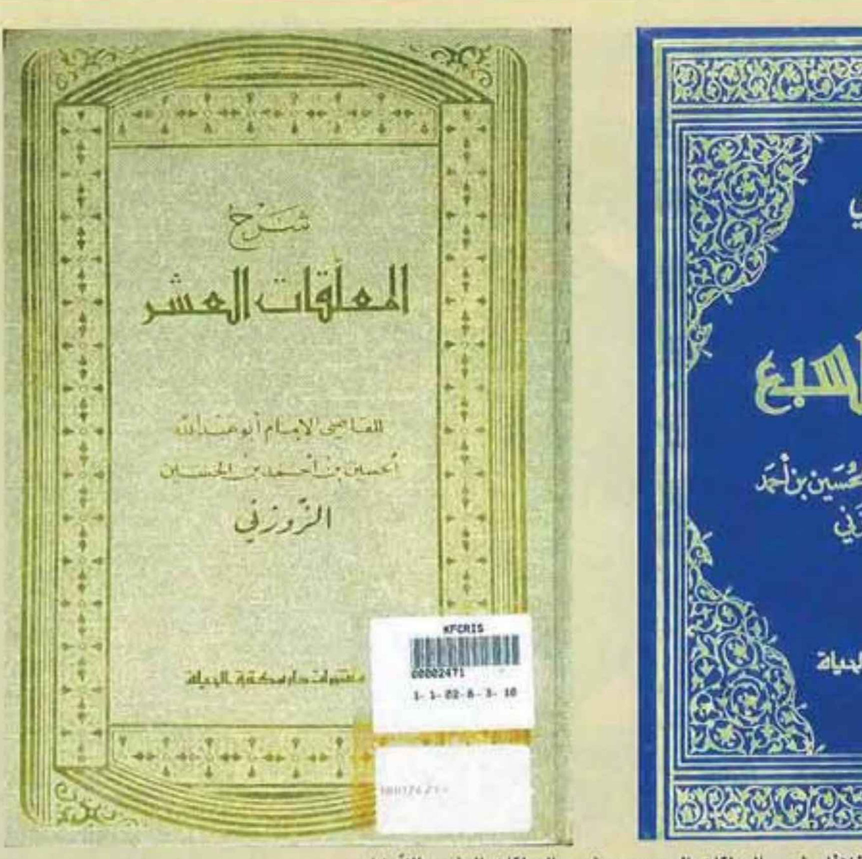
التنوع المذهبي والديني

كانت زوزن مركزاً من مراكز المجوس (الزرادشت) في التاريخ، وكان فيها بيت للنار بقي حتى القرن الثالث من العهد الإسلامي، وفي نهاية العصر الأموي، عند قيام أبي مسلم الخراساني في خراسان ظهر فيها (بهافريد) الذي ادّعى النبوة، ودعا إلى دين جديد، وكان بهافريد ابن فروردين هذا من أهالي زوزن، ذهب أولاً إلى الصين، وبقي فيها سبع سنين، وتأثر بالأديان الصينية، وبعد رجوعه استقر في قصبة سيراوند من توابع نيسابور، ودعا إلى دينٍ جديد تبعه خلقٌ كثير، وهو كما ذكر أبو الريحان البيروني (ت: ٤٤٠هـ) في «الآثار الباقية» كان مجوسيًا، وأراد الإصلاح في دين المجوسية، فأدخل فيها شيئًا من عقائد الإسلام(١٧).

وبعد أن وفد أبو مسلم الخراساني إلى نيسابور اشتكى إليه المسلمون والمجوس ما جاء به (بهافريد) من البدع، فأرسل إليه عبدالله بن شعبة، وبعد أن هرب، ألقي عليه القبض في جبال بادغيس وجيء به إلى أبي مسلم فقتله وأصحابه. وفي كتب الملل والنحل تعد البهافريدية إحدى فرق المجوسية الأربع وهي (الزروانية، والمسخية، والخرمدينية، البهافريدية).

وإلى جانب المسلمين الأحناف الذين كانوا الغالبية في جنوب خراسان في القرون الأولى، كان بعض رجال زوزن من الشيعة أو الإسماعيلية، كأصيل الدين الزوزني(١٨)، وقد انتشرت قلاعهم في المنطقة إلى أن جاء المغول واستولوا عليها.

وقد جاء في إحدى الكتابات الكوفية التي اكتشفت



غلافا «شرح المعلقات السبع»، و«شرح المعلقات العشر» للزّوزني

حديثًا في مسجد زوزن ومدرستها: برسم أصحاب الإمام الأعظم سراج الأمة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه.. مما يدل على أن أهالي المنطقة كانوا على المذهب الحنفي في القرن السابع. وبعد قرنين أيضًا ذكر حمدالله مستوفي في نزهة القلوب أنهم على المذهب الحنفي(١٩).

وقد تحولت المنطقة إلى المذهب الإمامي في العصر الصفوي (القرن العاشر فما بعد) كسائر المدن الخراسانية.

أعلام زوزن

على الرغم من أن زوزن لم تكن مركزًا مهمًا من مراكز العلم والدراسة، فإن وقوعها بالقرب من نيسابور أحد مراكز العلم والثقافة الإسلامية، وعلى طريق هرات ومدينة خرجرد التي كانت فيها المدرسة الغياثية، جعلها منبعًا من منابع ظهور العلماء والأدباء والمحدِّثين، بحيث اشتهرت بـ «البصرة الصغرى».

ونجد في المصادر الإسلامية كثيرًا ممن ينسبون إليها بالزوزني، منهم:

- الوليد بن أحمد أبو العباس الزوزني (ت: ٣٧٦هـ) سمع وحدّث عن خيثمة بن سليمان ومحمد بن الحسن. روى عنه الحاكم أبو عبدالله وأبو عبدالرحمن السُّلَمي وأبو نُعيم الحافظ، وكان سمع الحديث بنيسابور وبغداد والشام والحجاز، وكان الوليد هذا من علماء الصوفية وعبّادهم(٢٠).

- وممن ينسب إليها أبو نصر أحمد بن علي بن أبي بكر الزوزني القائل:

ولا أقبلُ الدنيا جميعًا بمنّةٍ
ولا أشتري عِزَّ المراتبِ بالذلِّ



ساحة قرية زوزن

وأعــشقُ كَــحــلاءَ المدامع خِلْقــةً

لئـــلا تُرى في عـــينهـــا مِنّةُ الكُحْلِ

وقد قدم بغداد وخدم عضد الدولة فاعتُبِط شاباً وكتب إلى أبيه وهو يجود بنفسه:

ألا هل من فـــتًى يهب الهـــوينا

لمُــؤثرها ويَعـتــسِفُ السُّــهـوبا

فـــيبلغ، والأمـــورُ إلى مـــجـــازِ

بزُوزَن ذلك الشـــيخَ الأديبـــا

بأن يد الرَّدى هصَـــرت بأرض الـ

عـــراق من ابنه غُـصنًا رطيـبًـا(٢١)

- أبو حنيفة عبدالرحمن بن حسن الزوزني (ت: ٤٥٥هـ) محدث وكاتب، كان يجيد الخط العربي، وكان صدوقًا يكتب المصاحف بسرعة وجودة، توفي وهو في طريقه إلى مكة. قال عنه شيرُويَه: قدم علينا أبو حنيفة حاجًا في سنة ٤٥٥هـ. روى عن أبي بكر الحيري وأبي سعد الجبروذي وأبي سعد عُليل وغيرهم، وما أدركتُه، وكان صدوقًا يكتب المصاحف، سمعتُ بعض المشايخ يقول كتب أبو حنيفة أربعمئة جامع للقرآن باع كل جامع منها بخمسين دينارًا(٢٢).

- أبو عبدالله الحسين بن علي بن أحمد الزوزني (ت: ٤٨٦هـ) أديب نحوي، أصولي، وُلد في زوزن وعرف بالشارح الزوزني له: «المصادر» وهو معجم للمصادر في العربية مع شروح بالفارسية، و«ترجمان القرآن» وهو معجم عربي فارسي للقرآن، و«شرح المعلقات السبع»، و«شرح البائية» لذي الرمّة(٢٣).

- أبو القاسم أسعد بن علي بن أحمد الزوزني (ت٤٩٢هـ) أديب وشاعر وكاتب عاش في بغداد، ثم رجع إلى نيسابور، ودفن فيها له ديوان شعر.

ـ أبو محمد عبدالله بن محمد بن يوسف الزوزني (ت ٤٤٦هـ) ـ أديب وشاعر، ومن نوادر الزمان، ولد وأقام بخراسان.

وتشهد المنطقة قبور بعض الصحابة أمثال سهل بن علي واثنين من أولاد جعفر الطيّار.

قصة الخواجة

الزوزني والصنم الكبير

ومن مشهوري زوزن الخواجة أبو سهل الزوزني الوزير المقتدر للسلطان محمود الغزنوي، وينقل التاريخ أن السلطان محموداً عندما فتح صومنات الهند وكسر أصنامها، وأراد أن يكسر الصنم الكبير، عرض أهالي الهند على السلطان مالاً كثيراً ومجوهرات لئلا يفعل، وبعد أن استشار بطانته أشار إليه الخواجة الزوزني: بأنك لو قبلت الهدايا فسوف يقولون عنك: السلطان محمود بائع الأصنام، ولو كسرتها فسوف يقولون: السلطان محمود هادم الأصنام، وبعد أن أمر السلطان بكسرها خرجت أضعاف تلك الأموال والمجوهرات من جوف الصنم الكبير(٢٤).

زوزن اليوم...

وزوزن تلك المدينة العامرة، ذات المسجد العظيم، ومنبع العلماء والأدباء ليست اليوم إلا أطلالاً وخرائب تتوسطها عمارة مسجد زوزن الشاهق، وبنيت إلى جانبها «قاسم آباد» وهي قرية صغيرة نائية وسط الصحراء وصلت إليها الكهرباء قبل أعوام، يسكنها عدد قليل من المزارعين والرعاة، فيها مدرسة ابتدائية، ومازال الطريق إليها ترابياً غير معبّد. وليس هناك خبر عن زعفرانها ولا حريرها ولا عنبها، ولا يزورها إلا أعضاء بعثات الآثار والدراسات المعمارية، وتنتظر ذلك اليوم التي تستعيد مجدها وعظمتها عندما كانت ملتقى على طريق الحرير.

المراجع

١. أحسن التقاسيم، المقدسي، ص٣٠٠، ٣٢١، ٣٢٦، طبعة ليدن، ١٩٠٦م، ودار صادر بيروت.

٢. مسالك الممالك، الإصطخري، ص٢٥٦، طبعة ليدن، ١٩٢٧م، وطبعة دار صادر بيروت.

٣. الأنساب للسمعاني ج٦/٣٤٢.

٤. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٤/٤٨٨، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

٥. نزهة القلوب، حمدالله المستوفي القزويني، المقالة الثالثة، ص١٥٤تحقيق ليسترنج، (طهران ـ ١٩٨٣م).

٦ـ Ather - Iran Vol. Iv./1, 1949. pp. 7-150 باللغة الفرنسية

٧. آثار إيران، اندره كدار، ج ٢، ص ٢٧٩ـ ٢٨٣، إيران، خراسان، ١٩٨٦م (الطبعة الفارسية).

8 - S.S Blair "The mddrasa at Zazan Islamic Architecture in Eastern Iran the Eve of mongol Lnvasion" muqqrnas, Vol. 3. 1985,pp,75-91.

٩. انظر مقالة د. شهريار عدل «مسجد ومدرسة زوزن» مجلة أثر العدد ١٥ ـ ١٦ طهران ص ٢٣٤ (فارسي).

هذه الدراسة قام بها د. شهريار عدل أستاذ جامعة السوربون بعد إنجاز مشروع إحياء مسجد ومدرسة زوزن بدعم من منظمة اليونسكو عام ١٩٨٧م.

١٠. كما يصرح بذلك د. شهريار عدل خبير الآثار الإيراني وأستاذ جامعة السوربون/ مجلة أثر العدد ١٥ ص٢٣٥.

١١. دائرة المعارف الإسلامية ج٨ مادة (خزف) الطبعة العربية، القاهرة.

١٢. مصدر سابق.

١٣. نزهة القلوب، مرجع سابق.

١٤. للمزيد عن حياته: انظر شهريار عدل، ملك زوزون در أستانة حملة مغول [مَلك زوزن في بداية حملة المغول] مقال عن تاريخ أبي بكر بن علي الزوزني ملك زوزن، نشرت بالفرنسية في المركز الوطني للبحوث العلمية بباريس C.N.R.S، ونشرت ترجمتها بالفارسية في: تاريخ معماري وشهر سازي إيران ج ٣/٥٣ طهران، منظمة الآثار الوطنية ١٩٩٦م.

ـ المظاف إلى بدايع الأزمان في وقائع كرمان، أفضل كرمان، تصحيح عباس إقبال، طهران (١٩٥٢م).

ـ تاريخ كرمان، محمد بن إبراهيم، تصحيح باستاني بارسيزي، طهران، ١٩٦٥م.

ـ سيرة جلال الدين، محمد بن أحمد السلوسي، تصحيح ح. حمدي القاهرة ١٩٥٣م.

ـ ابن الأثير، حوادث سنة ٦٠٠هـ ج١٢.

١٥. جغرافياي ولايت زاوه، محمد رضا خسروي، مشهد ١٩٨٩م، ص١٤٦.

ـ نام مكانها جغرافيائي طهران، مهر الزمان نوبان، ١٩٩٧م، ص٢٨٥.

١٦. معجم البلدان ج ٤/٤٨٩.

١٧. الآثار الباقية عن القرون الخالية، أبو الريحان البيروني، طبعة ليبزيك ١٩٢٣م، بإشراف زاخاو.

١٨. تاريخ بناكتي، تصحيح جعفر شعار (طهران ١٩٦٩م) ص٢٤٤.

١٩. نزهة القلوب، مصدر سابق ص١٥٤.

٢٠. معجم البلدان ٤٨٨.

٢١. المصدر السابق ٤٨٩.

٢٢. المصدر السابق، واعتُبط: مات شاباً. ص٤٨٩.

٢٣. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة عبدالحليم النجار، دار المعارف، مصر ١٩٥٩م، ج٥/٢٠٧.

٢٤. منطق الطير، فريد الدين عطار.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٠٦)

ذو الحجة ١٤٢٢هـ - فبراير / مارس ٢٠٠٢م

الفائز الأول: **مبارك عبدالحميد مبارك - القاهرة - مصر.**

الفائز الثاني: **نجاة عبده ناصر السروري - صنعاء - اليمن.**

الفائز الثالث: **محمد الحبيب سنان - المهدية - تونس.**

الفائز الرابع: **وسام أحمد بجوح - النبك - سورية.**

الفائز الخامس: **أبو العينين القطب أبو العينين - إكوة - مصر.**

الفائز السادس: **ياسمين محمود زكريا - الزرقاء - الأردن.**

الفائز السابع: **إيناس إبراهيم الناطور - دمشق - سورية.**

الفائز الثامن: **عادل صالح ناصر طماح - صنعاء - اليمن.**

حل مسابقة العدد (٣٠٦)

١- فتحت صقلية على يد:
أسد بن الفرات صاحب كتاب «الأسدية».

٢- ولكنّ نفساً مُرةً لا تقيم بي
على الذل إلا ريثما أتحوّل
قائل البيت هو: الشنفرى الأزدي.

٣- قانون غريشام: **القانون القائل: إن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من التداول.**

٤- جيرارد الكريموني: **عالم قروسطي. نقل إلى اللاتينية كتبًا كثيرة من تراث اليونان المترجم إلى العربية.**

٥- الإرْدَبّ: **مكيال مصري لتقدير الحبوب.**

أسئلة مسابقة العدد (٣٠٩)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: **عَدُوُّكَ ذو العقلِ أبقى عليكَ   من الصّاحبِ الجاهلِ الأخرَقِ**

☐ صالح بن عبدالقدوس   ☐ أبو العتاهية.

(٢) الأوزاعيّ: ☐ طبيب عربيّ أندلسيّ حارب الشعوذة والخرافات في الطب

☐ فقيه ومحدث مسلم.

(٣) فلكان: ☐ قماش قطني اشتهر في إنجلترا   ☐ إله النار وصنع الأدوات المعدنية عند الرومان.

(٤) السَّنْهَدْرِيم: ☐ طالب المدرسة الدينية عند اليهود   ☐ المجلس الأعلى عند اليهود القدماء.

(٥) السَّنسكريتيّة: ☐ لغة الهند الأدبية القديمة   ☐ وصف يطلق على الطبقات العليا في الهند.

الاسم: **المدينة:**   **ص.ب:**   **هاتف:**

العنوان: **الدولة:**   **الرمز البريدي:**   **ناسوخ:**



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) - الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

مسيرة المصطلح الطبي السني في الحضارة الإسلامية

محمد فؤاد الذاكري
حلب - سورية

لا تجد اللغة العربية في المجالات العلمية اهتمامًا كبيرًا من أبنائها والناطقين بها، إذ تحل اللغات الأعجمية محلها وتحتل مكانها، ويتعمّد متعلموها الابتعاد عنها ويعيشون حالة غربة عن استكناه مضامينها، على كثرة عدد الناطقين بها، وهم بالملايين؛ ولو استعرضنا أي لغة معاصرة (الإنجليزية - الفرنسية - الألمانية...) أو تلك التي تمثل قوميات محدودة كالفارسية والتركية والعبرية، لوجدناها تُعبر تعبيرًا صادقًا عن الوضع الحضاري الذي تعيشه شعوبها.

ويحتج المتعلمون بأن العربية تقصّر عن اللحاق بركب التقدم العلمي المتسارع، بل اللاهث يوميًا، وبعدم قدرتها على استيعاب الأحداث المتجددة، وغاب عن أذهانهم أن اللغة القوية تعبير عن شعب قوي، وأن اللغة العربية أثبتت قدرتها على خلق الصِّيَغ وتوليد الكلمات الجديدة.

فالترجمة تعدّ عاملاً مهمًا في بلوغ الرقي الحضاري وكشف تراث الأمم السابقة، والإحاطة بتجاربها وإبداعاتها، وتزويد العقل الإنساني بجديد الأفكار والمعارف، ويمكن احتساب حركة الترجمة عملية إبداعية ونمطًا متقدمًا من التفكير، ورغبة واعية في التقدم الحضاري، والتعبير عن مشاركة متناهية لبلوغ مستوى حضاري رفيع.

لقد أدرك رواد الحضارة العربية الإسلامية هذه المسؤولية، وعرفوا قيمة الترجمة لترسيخ مكانتهم بين الأمم، فبدأت مرحلة أخذ المعارف الأجنبية بعد ظهور الإسلام بمدة بسيطة(١).

ويذكر ابن النديم (ت: ٤٣٨هـ) أن أول نقل كان في الإسلام



صورة من مخطوط عربي قديم تمثل معالجة الأسنان

إلى اللغة العربية تم بأمر الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية (ت: ٨٥هـ/٧٠٤م) الذي أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كانوا ينزلون بمدينة مصر وقد تفصّحوا بالعربية، وأمرهم بنقل كتب في الصنعة (الكيمياء) من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقلٍ كان في الإسلام من لغة إلى لغة(٢).

واستمرت حركة الترجمة في الإسلام بنشاط وشمولية تساهم فيها الدولة والأفراد على السواء، وذلك بإنشاء بيت أو بيوت للحكمة يلتقي فيها المترجمون، وتحفظ فيها مترجماتهم، وأرسلت البعوث شرقًا وغربًا للبحث عن الأصول والمراجع، وقصدت الإسكندرية وبيزنطة بوجه خاص، وهما وريثتا الحضارة الرومانية واليونانية، واستُقدم المترجمون الذين يعرفون لغتين أو أكثر، وجُلُّهم من النساطرة واليعاقبة، ويُعَدُّون من أوائل المعلمين في الإسلام، ولم يلبث المسلمون أنفسهم أن انضموا إليهم وحملوا العبء معهم، فترجم عن العبرية والسريانية، وعن الفارسية والسنسكريتية، وعني بالترجمة من اليونانية إلى العربية رأسًا أو بتوسط السريانية، وحُوِّلت بعض الترجمات عن اللاتينية، وكان للمترجمين منزلة خاصة لدى الخلفاء والأمراء، وكثيراً ما غمروهم بالعطاء، وعُمِّرتْ هذه الحركة ثلاثة قرون أو تزيد، بدئ بها في أواخر القرن السابع الميلادي وامتدت إلى القرنين العاشر والحادي عشر، أسهم فيها الأمويون، ودفعها الخلفاء العباسيون دفعة قوية ولاسيما المنصور والرشيد والمأمون، واستوعبت مواد مختلفة بين أدب ودين وقصص وتاريخ وعلم وفلسفة، وأصبحت بغداد، وريثة الإسكندرية وأثينا، وكعبةً يحج إليها الباحثون والدارسون من أطراف العالم الإسلامي(٣).

مكانة حنين بن إسحاق في الترجمة

لا نزاع في أن العالم العربي حنين بن إسحاق (ت: ٢٦٠هـ/٨٧٣م) من شيوخ هؤلاء المترجمين، وقد وضع منهجية نقل الفكر اليوناني إلى العربية يساعده على ذلك الإلمام الجيد بالثقافة اليونانية مع إجادة اللغة اليونانية بإتقان، ومعرفته الوثيقة بالعلم الذي يترجم منه (الطب عمومًا)، كان (حنين) حركة علمية دائبة نقل تراثًا ضخمًا إلى العربية في ذلك العصر، فقد بدأ عمله في وقت مبكر متأثرًا بالثقافة الطبية اليونانية لأبقراط وجالينوس، ودقَّةُ الترجمة عنده تُعزى إلى تمكُّنٍ وثيقٍ من اللغة العربية، وحسن تصرُّف في مذاهبها، ويتجلى هذا في سلاسة التوفيق بين اليونانية والدقة في التعبير مع الإيجاز(٤).

ويمكن القول: إن طريقته في الترجمة تضاهي الطريقة المستخدمة في الزمن الحاضر، فقد كان يستقصي بعناية شديدة أكبر عدد من النسخ اليونانية لكل كتاب يريد أن يترجمه، ثم كان يقابل تلك النسخ بعضها ببعض ليحقق نصًا يونانيًا صحيحًا، وأخيراً كان يترجم ذلك النص إلى السريانية أو العربية، وإذا ترجم كتابًا على نسخة واحدة ثم وقع على نسخة جديدة، كان يقابل ترجمته بتلك النسخة ليصحح أخطاءها، وأما الأهداف التي قصد إليها من وراء الترجمة فهي استقصاء المعاني على غاية الشرح والإيضاح، والعناية بالتلخيص وحسن العبارة على غاية الاستقصاء والبلاغة(٥).

«في حفظ الأسنان واللثة واستصلاحها» أول كتاب مفرد مستقل يتناول علم طب الأسنان في الحضارة العربية الإسلامية، وقدَّم للأطباء القدامى مادة علمية أساسية كانت قاعدة استندوا إليها للانطلاق في أبحاثهم وابتكاراتهم

إن حركة الترجمة والتعريب التي أسهم فيها حنين بن إسحاق ومدرسته، وما رافقها من شروح وتحليلات، تكاملت مع نهضة علمية شاملة ميزت الحضارة الإسلامية، وبذل (حنين) مجهوداً شاقًا في ترجمة الكتب اليونانية وما تحويه من مصطلحات طبية، وأسماء الأدوية والعقاقير والأعضاء، ونقلها إلى العربية بأمانة ودقة، وأثبت أنها أداة إبداع وخلق وتأليف، صالحة للتعبير عن جميع العلوم والمصطلحات العلمية الدقيقة.

طرائق الترجمة

إن الاهتمام بحنين بن إسحاق ومدرسته حمل الباحثين عربًا ومستشرقين على العناية بكتبه، وتتبع مظانّ وجودها مما هو مطبوع أو منسوخ، وقد بذل الباحث أحمد بن محمد الدبيان جهدًا محمودًا في دراسته اللغوية التاريخية القيمة لآثاره، وأثبت أن لها قيمة لغوية عظيمة لا تنكر، مبعثها أنها تمثل الجانب التطبيقي العلمي للغة العربية في ذلك الزمن، وأن المصطلحات العلمية التي أوردها حنين تعدّ من المصطلحات العلمية الأولى في اللغة العربية؛ وذلك من خلال دراسة تصرفه اللغوي وسلوكه حيال بعض

المشكلات اللغوية التي صادفها، مما يعدّ في رأي الباحث (الدبيّان)، مواجهة مبكّرة بين العربية التي كانت لغة دين وأدب وفكر، وبين كثير من المشكلات اللغوية والظواهر التي تحتاج إلى عناية كالتوليد والتعريب والترجمة(٦).

ميز العلماء بين طريقتين: إحداهما: الترجمة الحرفية، وتظهر خاصة في النصوص الدينية التي نقلها السريان من اللغة اليونانية فبقيت بعض آثارها وظواهر منها في التراجم العربية من بعد، والأخرى: طريقة (حنين) وتلميذه حبيش ابن الأعسم التي تعتمد على الخروج بترجمات جيدة أقرب إلى روح العربية وأساليبها(٧).

وقد ذكر صلاح الدين الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) طرائق الترجمة هذه فقال: «وللتراجمة في النقل طريقان:

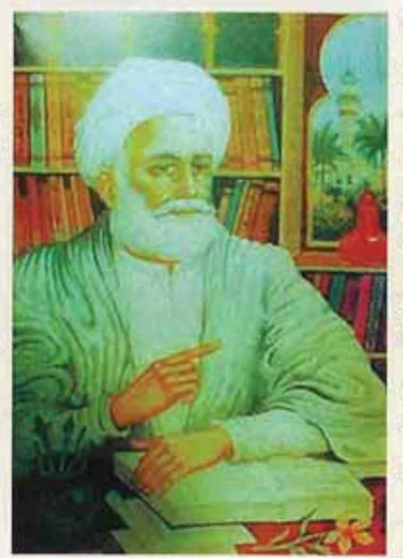
الطريق الأول: طريق يوحنا بن البطريق، وابن الناعمة الحمصي وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كلمة مفردة من الكلمات اليونانية، وما تدل عليه من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها، وينقل إلى الأخرى كذلك، حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه وهذه الطريقة رديئة لوجهين:

أحدهما: أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية، ولهذا وقع في خلال التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها.

الثاني: أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائماً، وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات.

الطريق الثاني: طريقة حنين بن إسحاق والجوهري وغيرهما، وهو أن يأتي إلى الجملة فيحصل معناها في ذهنه، ويعبر عنها في اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء أساوت الألفاظ أم خالفتها، وهذا الطريق أجود، ولهذا لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لأنه لم يكن قيّماً بها بخلاف كتب الطب والمنطق»(٨). وقد أبدى (الدبيان) إعجابه بطريقة نقد الصفدي، ولكنه طالب بألاّ نشطّ بعيداً فندعي أن الطريقة اللفظية كانت مطابقة تماماً للنص الأول سواء كان يونانياً أم سريانياً أم غير ذلك، لأن المقابلة اللفظية التامة متعذرة للأسباب التي ذكرها الصفدي، ولو حدث هذا في النقل في أي لغة لكان النص العربي ممسوخاً يستحيل فهمه.

ورأى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية أن ترجمة مجرد اللفظ بمرادفه علم نافع، لأن كثيراً من الناس يقيّد المعنى باللفظ وهذا الطريق متعذر بما ذكره الصفدي، إنْ قصد به تمام المقابلة اللفظية(٩).



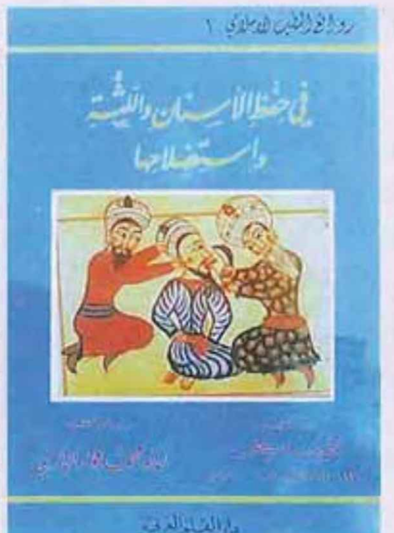
رسم للطبيب العربي أبي بكر الرازي

كتاب في حفظ الأسنان واللثة واستصلاحها

يعدّ هذا الكتاب من الناحية التاريخية، أول كتاب مفرد مستقل يتناول علم طب الأسنان في الحضارة العربية الإسلامية، ويتمتع بأهمية خاصة، فقد قدّم للأطباء القدامى مادة علمية أساسية كانت قاعدة وتوطئة استندوا إليها للانطلاق في أبحاثهم وابتكاراتهم، بل تجاوزوا ذلك لتصبح لهم علومهم وطرائقهم في البحث، كما ظل هذا الكتاب مصدراً لاقتباسات عدة واستشهادات كثيرة من قبلهم في تصديهم لعلاج أمراض اللّثة والأسنان مثل (الحاوي) لأبي بكر الرازي والقانون لابن سينا، مما يبرز خصوصية هذا التصنيف، وأنه بداية نهضة طبية كان لها أكبر الأثر.

وحسبنا أن نقرأ بعض النصوص المأخوذة منه: «وقد يستعمل كثير من قدماء الأطباء في علل اللثة والأسنان إذا كانت مع حرارة الأدوية المخدرة مثل البنج والأفيون وقشر اليبروح. وأنا أكرهها لأنه لا يؤمن أن يحدث في الأسنان حدث رديء أو يصل منها شيء إلى الجوف فتكون الآفة منها أعظم من منفعتها، فينبغي أن تجتنب ما لم تدْعُ إلى استعمالها ضرورةٌ شديدة، وكذلك أيضاً قد يستعملون من الأدوية الحارة في علل الأسنان التي معها برد ما لا يؤمن منها إن وصل منها شيء إلى الجوف أن تؤذي مثل:

الحنظل والجنطيانا وأصل قثاء الحمار والخريق»(١٠).
لا يلجأ حنين إلى ذكر أي من الكلمات السريانية أو اليونانية إلا ما جاء في أسماء النباتات مثل: اليبروح وهو اللفاح، نبات عشبي معمر من الفصيلة الباذنجانية Solanaceae ينبت بريًا في بعض أنحاء الشام، إن هذا اللفظ غير وارد في لسان العرب وهو مؤلف من YAB بمعنى يهب و ROHO بمعنى منعش، دلالة على مفعول اليبروح الطبي. فالمصطلح يبروح من اللفظ السرياني Yabroho والاسم العلمي لليبروح Mandragora Offinalis(١١)، وقد ذكر الدكتور أحمد عيسى تسميات عدة مرادفة منها: سراج القطرب، تفاح الجن، تفاح البر، زعرور جبلي، يقطُم (اليمن)(١٢).
أما الجنطيانا، فهو نبات عشبي مزهر من ذوات الفلقتين الوحيدات التويجية من فصيلة الجنطيانيات Gentianaceae، وهذا اللفظ مأخوذ من اسم أحد ملوك اليونان القدماء، والاسم العلمي للجنطيانا Gentia-na Lutea(١٣)، وله عدة تسميات منها: دواء الحية ـ كف الذئب ـ كف الأرنب(١٤).
إن استخدام اللغة العلمية يقتضي جمع المادة وترتيبها وتنسيقها وعرضها بأسلوب واضح جلي لا يوقع القارئ في اللبس، ولا يقوده إلى مجاهل التعمية والإبهام، ولذا يُعنى الكاتب بوضع تصميم دقيق وخطة محكمة لما يكتب، وفي بحث قدمه الدكتور محمد كامل حسين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٥م بعنوان «اللغة والعلوم» تعرض لجملة من القضايا، من بينها خصائص اللغة العلمية، قال:
«ولنبحث الآن في اللغة العلمية وخصائصها، فهي من حيث صفاتها العامة يجب أن تطابق روح العلوم التي تتناولها وطبيعتها، ويجب أن تكون محددة الألفاظ واضحة المدلولات، بسيطة الأسلوب، وأن تكون قابلة للنمو الذي لا حد له، وليس للجمال والذوق والأسلوب مكان في هذه اللغة، ولا بأس أن تكون اللغة العلمية جميلة، ولكنه لا يباح لنا أن نضحي بشيء من دقة اللغة العلمية ووضوحها في سبيل هذا الجمال أو تلك الفصاحة»(١٥).
ويتضح لنا ذلك من خلال النص الآتي لحنين:
«ولا تعجب من قولي إن السن هو عظم مصمت قد يقبل في بدنه الفضول السيالة، فإني أدلك على ذلك بوجهين: أحدهما أنك كثيراً ما ترى أن السن قد اسود ونفذ السواد في بدنه كله، فلولا أنه قد قبل ذلك الفضل الذي سوّده في جرمه كله، لما ناله السواد في جثته بأسرها. والآخر تجد الأسنان تنمو وتقبل الغذاء دائمًا، ومما يدلك على ذلك أيضًا: أنه إذا انقلع سن فإن السن الذي يقابله يطول حتى يجاوز طوله مقدار طول سائر الأسنان، فيدل ذلك أن الأسنان كلها تطول دائمًا، إلا أنها بملاقاة بعضها بعضًا تتحات، فينتقص بحسب ما يزداد طولها بالنمو»(١٦).


غلاف كتاب «في حفظ الأسنان واللثة»

تتجلى في أسلوب (حنين) خصائص المساواة الأسلوبية بلا فضلة ولا تفنن أدبي، وليس فيه شيء من وسائل الصنعة مما جاء في علوم البلاغة العربية، وتجلى في الكتابة الأدبية، لذلك يمكن النظر إليه على أنه أقدم كتاب في طب الأسنان ألف على الطريقة العلمية كما يتبين لنا في النص الآتي: «وهذه الأدوية إذا أدخل منها شيء في ثقب السن أو الضرس أو لطخت عليها من خارج نشفت الفضل المولد للتأكّل وأفنته وسكنت الوجع العارض معه... ومما يعرض للأسنان الخضرة وسببها مثل سبب التأكل وعلاجها، علاجه. مما يعرض لها التحات والتفتت والتكسر وسببه لين جرمها.. ومن أحمد ما يُتَعالج به للثة والأسنان العسل، وذلك أنه قد جمع أنه ينقي اللثة والأسنان ويجلوها جلاء معتدلاً حتى يحدث لها ملاسة وصقالة، وينبت لحم اللثة، فهو من أجمع ما يتعالج به للأسنان وأقربه منفعة وأسهله استعمالاً»(١٧).
وقد استخرجت قائمة تلخص الأمراض السنية واللثوية الواردة في كتاب «حفظ الأسنان»، نلاحظ أن بناء المصطلح لم يقتصر على الصورة المفردة، بل وضع كثيراً من المصطلحات في صورة مركبة من كلمتين أو ثلاث

كلمات أو ربما أكثر، ويفاجئنا دقة المصطلح وقدرة حنين على معالجة المادة العلمية:

الأمراض السنية واللثوية الواردة في كتاب (حفظ الأسنان):

أ - علل الأسنان:

- أوجاع الأسنان. - الأوساخ التي تجتمع على الأسنان.
- التثقب والتأكل. - التحات والتفتت والتكسر.
- تحرك أصول الأسنان من غير هرم.
- تحرك أصول الأسنان بسبب الشيخوخة.
- تولد الحفر وسائر الأوساخ على الأسنان.
- السواد والخضرة. - ذهاب ملامسة الأسنان وتخشمها.
- رطوبة الأسنان. - رطوبة العصب المتصل بالأضراس.
- السن أو الضرس المأكول. - لين جرم الأسنان.
- نقصان الأسنان. - وجع في أصل الأسنان.
- وجع في جرم السن أو الضرس.

ب - علل اللثة:

- بلة اللثة ورطوبتها. - تبرؤ اللثة عن الأسنان.
- رطوبة اللثة. - سيلان الدم من اللثة. - قروح اللثة.
- قروح اللثة مع عفونة. - اللثة نافرة مفارقة للأسنان.
- اللثة ينتقص ويقل لحمها. - وجع اللثة. - ورم اللثة.

ج - رائحة منكرة في الفم: (البخر الفموي).

د - ورم سائر أجزاء الفم.

إن حجم المصطلحات السنية أكثر من ذلك بكثير، وتتجلى في أعمال العلماء الذين جاؤوا بعد (حنين) فأدوا من جهوده، وأضافوا إليها الكثير.

ظاهرة ابن سينا:

يعد «ابن سينا» نموذجًا للفيلسوف العالم الشامل، وتلفت نظرنا ظاهرة مهمة هي غزارة المصطلحات الطبية عنده وقلتها عند من جاؤوا بعده، كما يتميز بقدرته الخاصة على توليد المصطلحات في أي مجال علمي يكتب فيه. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يبدأ من فراغ كما قد يتبادر إلى الذهن، بل اعتمد على أعمال المترجمين السابقين له، والمصادر الطبية للأطباء الذين سبقوه ومهدوا له الطريق مثل: أبي بكر الرازي، وعلي بن العباس الأهوازي (ت: ٣٨٤هـ) في كتابه «كامل الصناعة الطبية».

استخدام اللغة العلمية يقتضي جمع المادة وترتيبها وتنسيقها وعرضها بأسلوب واضح جلي لا يوقع القارئ في اللبس، ولا يقوده إلى مجاهل التعمية والإبهام

إن التركيب النحوي لديه له علاقة بين اللفظ والمعنى، أي علاقة المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي، وله دور في الدلالة وما يكون من مناسبة بين الاسم والمسمى، وتجلّى ذلك حين تطرق إلى الوسائل العلاجية المتبعة في طب الأسنان، وهي في تقديرنا مداخل فنية لاستخراج مصطلحات طبية جديدة، وقد استخرجنا الأشكال الصيدلانية الواردة في كتاب «القانون في الطب» للأدوية السنية، كما اعتمدنا في الوصف والشرح على الشروحات والتعريفات التي ذكرها الطبيب (مسعود بن محمد السجزي) المتوفى بعد سنة (٧٣٤هـ/١٣٣٤م) في كتابه «حقائق أسرار الطب» من النسخة المخطوطة الموجودة في دار الكتب الوطنية (تونس) تحت رقم: ١٨٣٢٩ مجموع (٤٦٣)(١٨):

- أضمدة: هي الأدوية المدقوقة المخلوطة بالسوائل المتماسكة الأجزاء لتوضع على الأعضاء (سجزي)، وصفها ابن سينا بقوله: تتخذ من الأدوية المحللة المعروفة وتجمع بما له من قوام مثل عسل أو قطران أو شيء محلول في الماء ينحل به، أو عجنًا بالماء وحده(١٩).
- أطلية: هي مثل الأضمدة، إلا أنها رقيقة سيالة تمسح بها الأعضاء (سجزي).
- بخورات: هي الأدوية التي يتبخر بها على النار مثل العود وغيره (سجزي)، وهي كل ما يصعد كالدخان من السوائل الحارة (الوسيط: ب خ ر).
- حشو للتأكل: وهو ما يوضع من مواد مسكنة وملطفة للألم ضمن حفرة النخر والتأكل في السن، ويقول ابن سينا: «إن كان سبب الوجع من التأكل ويجب أن يرفق ولا يحشى بعنف وشدة فيزيد في الوجع»(٢٠).
- دلوكات: هي الأدوية التي يدلك بها البدن (سجزي)،

والدلوك ما يدلك به الإنسان من طيب ونحوه، وصفها ابن سينا: يؤخذ لب نوى الخوخ ونصفه فلفل يعجن بقطران ويدلك بالسن أو يلصق به، والزنجبيل بالعسل دلوك جيد(٢١).

- سعوطات: هي السوائل التي تسعط في الأنف (سجزي)، ويضيف ابن سينا: أنه قد تستعمل هذه السعوطات قطوراً في الأذن(٢٢).

- سنونات: هي الأدوية المسحوقة التي تدلك بها الأسنان (سجزي) وهي ما يستن به من دواء لتقوية الأسنان وتنظيفها

أمر خالد بن يزيد بن معاوية بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين، وأمرهم بنقل كتب في الصنعة (الكيمياء) من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقلٍ كان في الإسلام من لغة إلى لغة

صورة زيتية من القرن السابع عشر تمثل قلع الأسنان

(وسيط: ٩٣١/٢). ويذكر داود الأنطاكي المتوفى (١٠٠٨هـ/١٥٩٩م) تعريفاً آخر: «السنون هو كالأشياف، لكونه يعجن ويجفف في الظل، لكن هذا مخصوص بأدوية الفم، فإن استعمل في غيره فعلى قلة»(٢٣). وكلمة (سنون) من الناحية اللغوية ليس لها صلة اشتقاقية بالسن وإنما هي (فعول) بمعنى الفاعل، وتشتق من الفعل سنَّ يسنُّ، يقال: سن السكين أحده وصقله، وسن الأسنان سوكها أو عالجها بالسنون، واستن الرجل أي نظف أسنانه مما تخللها، وتقسم بحسب قوامها سنونات جافة Powder وأخرى رطبة Paste، وقد ذكر ابن سينا تراكيب عدة من السنونات بحسب الغرض من استعمالها فهي إما سنونات دوائية لمعالجات الحالات المرضية في اللثة والأسنان وتسكين آلامها، وإما سنونات تنظف الفم وتطيب النكهة(٢٤).

- غرغرات: غرغر الرجل، ردد الماء أو الدواء في حلقه ولم يسفه (وسيط ٦٥٠/٢)(٢٥)، يقول ابن سينا: ومنها غرغرات، ومن ذلك أن يطبخ الزبيب الجبلي والثوم في الماء ويتغرغر به، ويترك مفتوحاً ليسيل لعاب كثير(٢٦).

- قطورات: هي المياه التي تقطر في تجاويف الأعضاء (سجزي)، وقطر الماء أو السائل أساله وأقطره قطرة قطرة (الوسيط: ق ط ر)

- كمادات: هي الأشياء المسخنة بالنار كالخرق والنخالة توضع على الأعضاء لتسكين الأوجاع (سجزي)، يقول ابن سينا: «ومنها كمادات من خارج.. وقد تكمد اللحى تكميداً بعد تكميد ليجذب إليه المادة(٢٧).

لطوخات: هي السوائل التي يلطخ بها بدن الإنسان (سجزي) يقول ابن سينا: توضع على أصل السن أو يلصق عليه أو يلطخ(٢٨).

- مضوغات: من المصدر (مَضْغ)، لاكه بأسنانه (الوسيط: م ض غ) وهي الأدوية العلكة التي تمضغ (سجزي) يقول ابن سينا: ومنها مضوغات تتخذ من الأدوية المذكورة وأمثالها، وتعجن بلحم الزبيب ويُبندق ويمضغ منه بندقة بندقة(٢٩).

- مضمضات: مضمض الماء في فمه، حركه بالإرادة فيه (الوسيط: مضمض) يقول ابن سينا: منها مضمضات يجب في جمعها أن تمسك في الفم مدة طويلة(٣٠).

- نضوخات: من المصدر نضخ، بلله ورشه بماء أو طيب

(الوسيط: ن ض خ) هي السوائل التي ترش على الأعضاء (سجزي).

يدهشنا ابن سينا بجمله وعباراته فهي أشبه بالشلال الهادر الذي لا يوقفه شيء في سبيل إيضاح فكرته التي لا يطيق أن يلفها الغموض، أو توقع قارئها في اللبس، كما يتميز بلغته (التعليمية) للفرق بينها وبين «اللغة العلمية»، والنص الآتي يسمح بإبراز لغة هذا العالم المعلم، فهو يجمل عموميات أمراض الأسنان في فقرة طويلة، ودقتها لديه كثرة المعطوفات لسرد الأفكار الأساسية، والاعتراض في أثنائها على طريقة المعلمين، فهو لا يترك فكرة فرعية دون إيضاح حتى ولو انقطع خيط المعنى مؤقتًا(٣١) في مثل قوله:

«إن الأسنان من جملة العظام التي لها حس لما يأتيها من عصب دماغي لين، فإذا ألمت بما يعرض فيها من ضربان واختلاج، وربما أحست بحركة ودغدغة، وقد يعرض فيها أمراض من الاسترخاء والقلق والانقلاع والنتوء، ومن نتوء اللون في جوهرها وفي الطليان المركب عليها، ويعرض لها التألم والتأكل والتعفن والتكسر، وقد يعرض لها الأوجاع الشديدة والحكة، ويعرض لها الضرس - وهو صنف من أوجاعها - ويعرض لها العجز عن مضغ الحلو والحامض، والتضرر من الحار والبارد، وقلة الصبر عن لقاء أحدهما أو كليهما، وقد يعرض لها تغير في مقاديرها بالطبع بأن: تطول وتعظم، أو تنسحق وتصغر، قد يعرض فيها أنواع في الورم»(٣٢). وختامًا كان المستشرق الفرنسي رجيس بلاشير Regis Blachere ما يفتأ يردد «العربية معشوقة متشددة تتطلب من المرء أن يخصص لها كل يوم ساعات عديدة»، ولا بد من التأكيد أن القول بمرونة اللغة العربية العلمية وقدرتها ليس ادعاء يتدفق من ألسنة عشاق مفتونين بلغتهم، وإنما هو حقيقة قامت على إثباتها الأدلة، وتضافرت على تأكيدها الوقائع(٣٣).

كما يعقب الدكتور عبدالصبور شاهين: «إن محنة اللغة العربية لا تتمثل في حشود الألفاظ والمصطلحات الوافدة من عالم الحضارة إلى عالمها الذي يبدو متخلفًا، ليس ذلك فحسب، بل إن محنتها الحقيقية هي في انهزام أبنائها نفسيًا أمام الزحف اللغوي الداهم، واستسلامهم في مجال العلوم للغات الأجنبية، بحيث قد تكونت في العالم العربي جبهة عنيدة تجاهد للإبقاء على العربية بمعزل عن مجال العلوم والتكنولوجيا، قناعة بعلاقة هشة مع لغة الحضارة، فما دامت صفوة المشتغلين بالعلوم تعرف الإنجليزية فلا بأس من عزل العربية بل وقتلها»(٣٤).

لنحرص ألاّ تكون لغتنا الجميلة صورة عن الواقع السياسي العربي المشتت، وهو واجب كل الناطقين بالضاد ومحبيها.

الهوامش والمراجع

١. محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فؤاد سزكين، ص٢٤٠، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا ١٩٨٤م.
٢. الفهرست، ابن النديم . ص٣٣٨، دار المعاروف، بيروت، د.ت.
٣. حنين بن إسحاق المترجم، إبراهيم مدكور، مهرجان أفرام وحنين، ص٩٥، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٤م.
٤. كتاب العشر مقالات في العين لحنين بن إسحاق، ماكس مايرهوف، المقدمة ص٣٠، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢٨م.
٥. حالية حنين بن إسحاق، جيرار تروبو، مهرجان أفرام وحنين، ص٣٧٨، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٤م.
٦. حنين بن إسحاق: دراسة تاريخية ولغوية، أحمد الدبيان، المجلد الأول، ص٧٠٦. مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ.
٧. المصدر السابق، ص٥٥.
٨. - الغيث المسجم في شرح لامية العجم، صلاح الدين الصفدي، ج١، ص٧٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.
٩. حنين بن إسحاق، أحمد الدبيان، المجلد الأول ص٥٦.
١٠. في حفظ الأسنان واللثة واستصلاحها، تحقيق: محمد فؤاد الذاكري، ص٥١، دار القلم العربي، حلب، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
١١. معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، ص٤٤٠، مطبعة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
١٢. معجم أسماء النبات، عيسى أحمد، دار الرائد العربي، بيروت، ط١٤٠١،٢هـ/١٩٨١م
١٣. معجم الشهابي، ص٢٩٣.
١٤. معجم أسماء النبات، ص٨٦.
١٥. العربية لغة العلوم والتقنية، عبدالصبور شاهين، ص٨٥، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت.
١٦. في حفظ الأسنان، ص ٥٤ - ٥٥.
١٧. المصدر السابق، ص ٦٤، ٦٥، ٧٢.
١٨. حقائق أسرار الطب لمسعود السجزي، مخطوط.
١٩. القانون في الطب، ابن سينا، ٣/١٨٨، دار صادر، بيروت، د.ت.
(٢٠ - ٢٢) - المصدر السابق.
٢٣. تذكرة أولي الألباب، داود الأنطاكي، ص٢٠٣.
٢٤. القانون في الطب - ٣/١٩٠ وما بعدها.
٢٥. المعجم الوسيط، منشورات مجمع اللغة العربية، القاهرة.
(٢٦ - ٣٠) - المصدر السابق، ٣/١٨٨.
٣١. العربية لغة العلوم والتقنية، ص١٠٧.
٣٢. القانون في الطب، ٣/١٨٤.
٣٣. العربية لغة العلوم والتقنية، ص ٢٣٩.
٣٤. المصدر السابق، ص٣٦٥.

دم البنّات

هاشم الجحدلي
جدة - السعودية

البداهة

في انحناءة غصن وحيد
تلعثم طفل يبوح بأسراره للقصيدة
في وردة تسكن الريح
كان اختبائي.

...

فكيف إذن، لا تكونين أنت سمائي
اجتهاد
ربما يذبل البحر في جوف صمتي
أو في ارتباك الحجارة.. أو
عندها نتذكر أن المضرج بالشعر والعشق
يومًا سيبلى

...

أرى أن نموت جميعًا.

متتالية

على البحر طفل يرتق أحلامه
طفلة من ثرى الحلم تجبل أفق المطر
على موجه نورس يشتهي خمش وجه الأفق
على النورس الغض بعض دم

...

وعلى البحر أيضًا شواهد موتي.

سيرة

ويحترق الصمت
يأتي العجوز ويطعنه البحر
يطمس أسماءه
ثم ينساه محتميًا بالملوحة واليود والماء
معتمرًا بالبهاء

...

ويومًا سيحترق الموت.

وحدة
وحيدًا ومستوحشًا
كنت
في لثغتي لوعه.. واغتراب
وإذ للشموس التي في نهايات أيامكم
أنتمي

..

وحيدًا
ولكنكم تسكنون دمي.

ريبة

بيد مرّة أثقلتها الذنوب
تهيأت
ثم
كتبت على الطين
صحوى رذاذ
ووجه المليحة نهران من حنطة وحنين
يداها الملاذ

...

وها إنني بيدِ مرّة جنتهم مرّه
فاستعاذوا.

خليقة

- فتأتي التي أينعت من ضلوعي
وكونت أعضاءها الساحلية
من طين روحي
وبارك لثغتها
واشتعال الطفولة في منكبيها
فكانت فتاة

...

فتأتي التي أينعت من ضلوعي
احتوتني أخيرًا.

حياة مخبوءة في غمد الوطن

عبدالله السمطي

أبها ـ السعودية

دمٌ بستانه غدهُ.. سأغشى ـ إذا احترقت أزاهره ـ رمادي
وألتقطُ السماء بسقف قلبي لينبض كلّ نجم في بلادي
دمٌ نايٌ.. يسميني لأحيا ويعزفُ بالجروح خطا القتادِ
كأنْ لابد من صحراء تحدو لأرتجلَ الرحيلَ إلى مهادي
كأن لابد من قمرٍ ضريرٍ لأبصرَ كيف يقتلني جمادي
بإنسانيتي أزلٌ صغيرٌ أغالبُه.. فيرقصُ في مدادي
دمي وجهُ ومرآة قناعي أيشبهني.. بياضي أم سوادي
مزجتُ الريحَ بالقلق المُوالي فهبتْ بي إلى القلق المُعادي
وقلتُ أطيرُ للمجهول حتمًا وشوطُ الروح كرٌّ بلا جيادِ
فأين أحط ما خبزتْ عيوني وقد ضاقتْ ـ كأكواني ـ نجادي
أيا أرضون هل وطنٌ سيغشى صباحاتي ويركضُ خلف ضادي؟
جديدكِ من جروحي سوف يبلى فهزّي القلب بالألم المُعادِ
أنا عصرٌ من الدمعات جارٍ على الطرقاتِ من أيام عادِ
أمد الحلم سرْجًا للتراني وذي روحي تحمحمُ في الوهاد
تهب مفاصلي غضبًا فأعدو كأن الريحَ أرضٌ من عنادي
وأهتفُ يا ثرى وطني أمتني أرفرف فوق صارية الحدادِ
لأن الحزن نصرٌ حين يمحو دمُ الشهداء تاريخ السوادِ
يدي أبدٌ له بطشٌ خفيفٌ إذا جاستْ بذاكرة المدادِ
أقلّب في أصابعها حياتي ولستُ أرى سوى وجع البعادِ
تُسجّلني بدفترها خطوطًا وحظي ضجةٌ الحزن/ الكسادِ
أنا ابن الأرض لي جهةٌ بشرقٍ ولي جبلٌ سيوقظه سهادي
فيا كل العواصف سامحيني ويا كل المدائن لا تنادي
على صوتي.. ليهتف كلُّ حيٍّ بحنجرتي.. ويصعدَ كلُّ شادِ
إلى رئتي.. لتكبرَ في شهيقي طفولاتُ السنابل والحصادِ
أنا ابن الأرض تتبعُ شمس روحي شرايينُ الرمال بكل وادِ
فهذا السهلُ أقنعةٌ.. لتيهي وهذا السفح خبزٌ من سوادي
سأنزف ما تبقى من جهاتي وأهتف للسماء.. هنا احتشادي
دمٌ بستانهُ غده.. سأفنى ليزهر كل نجم في بلادي

السؤال..؟!

حمد العسعوس

الرياض - السعودية

ليلى.. تُناشدني أنْ أعزفَ الوترا

وفي دروب الهوى، أنْ أنثرَ الدُرَرا

ليلى..! أنا شاعرٌ، لكنني كَلِفٌ

بغير شعري الذي قد جفَّ وانكسرا

ليلى..! أنا شاعرٌ، لكنَّ قافيتي

بلا وقودٍ، وليلي يفقدُ القمرا

كان الشبابُ، وكانت نارُ أسئلتي

مشبوبةٌ.، وخيالي يعشق السَّفرا

وكان زِندُ شبابي تحت عاطفتي

وكنتُ خلفَ قضايا الأهلِ مُستعرا

وكنتُ أفتعل الأحداثَ - إن سَكَنَتْ

في داخلي.، ورياحي تنفخ الشَّرَرا

واليومَ يُطفئُ أيامي تقادمُها

والشعرُ يُطفئهُ يأسي، إذا حَضَرا

ليلى..! أرى الركبَ قدْ ناءَتْ قوافلهُ

والعُمْرَ - كالشمس، نحو الأفق منحدرا

أوّاهُ من زمنٍ ناوي لغابته

فلا نصادفُ في رمضائه شَجَرَا

أوّاهُ من زمنٍ ينسى بلابِلَهُ

تقضي بأقفاصها.. والليلُ ما انحسرا

أوّاهُ من زمنٍ ينفي قصائدهُ

فلا نرى في نواديه لها أثرا

هذا سؤالكِ - يا ليلى - يُبَاغتُني

وبُلبُلي لندِيِّ الغُصنِ قد هَجَرا

هذا سؤالكِ.، والخمسونَ تائهةٌ

كالنجم - في أفقِ الظلماءِ - قد ظهرا

ليلى..! أعيدي إلى ليلي كواكبَهُ

وأشعلي من شموعي، كي أرى الحُفَرا

هُزّي إليكِ بأغصاني وأوردتي

فقدْ تُساقطُ أشجاري لكِ الثمرا

تلمّسي في رمادي جَمْرَ عاطفتي

وأوقدي في ضلوع الشاعرِ الشَّرَرَا

دعي القصائد تهمي من سحائبها

وأشعلي برْقَها واستقبلي المطرا

دعي القصائد تذكيني، كما فعلَتْ

ليلى بمجنونها، واستنطقي الأثرا

أنا الذي من خيالي صُغْتُ ملحمةً

تبكي مَقاطِعُها الحرمانَ والضَّرَرا

قد استوتْ لُغتي.، والروحُ ظامئةٌ

لا شيء غيرُ سرابٍ أرهق النَّظرا

فأنقذيني، وكوني أنتِ مُلْهِمَتي

وحَرِّكي راكدًا.. كالبحرِ إنْ هدرا

بحرٌ على شاطئيهِ الموجُ منحسرٌ

ففجِّري ثورة الموج الذي انحسرا

سؤالكِ الصعبُ يشجيني ويؤلمني

وينعشُ الرُّوحَ والإبداعَ والسَّمَرَا

وصوتُك العَذْبُ إيقاعٌ وقافيةٌ

في دفتَرِ الشعر، صاغَ اللحنَ وانصهرا

ليلى..! أديمي حديثًا في مهاتفةٍ

منها شبابي نَمَا في القلب وازدهرا

ألقي عليَّ سؤالاً، تِلْوَ أسئلةٍ

فإنّني حجرٌ.. لا يُشبهُ الحَجَرا..!

أضمُّ شلاّلَ عشقٍ لا يُفجِّرهُ

إلاّ السؤالُ..، فيأتي الشعرُ منهمرا

ففجِّري لُغَةَ العشق التي عجزتْ

ريحُ الكهولةِ أنْ تمحو لها صُوَرَا

إذا شابَ رأسُ المرءِ

علقمة بن عبدة



طحــا بك قلبٌ في الحِـــســان طروبُ

بُعَـيْـدَ الشبـاب عَـصْـرَ حانَ مَـشيبُ(١)

يكلّفني ليْلى، وقـد شطّ ولْـيُــهـا

وعـــادتْ عَـــوادٍ بيننا وخطوبُ(٢)

منعّـمـةٌ مــا يُستطاع كــلامُــهـا،

على بابهـــا من أن تزار رقــيبُ

إذا غــاب عنهــا البَـعْلُ لم تُفْشِ سرّه

وتُرضي غــيــابَ البـعلِ حين يؤوبُ(٣)

فــلا تعْـدِلي بيني وبين مــغــمّــر

ســقــتكِ روايا المزْنِ حين تَصــوبُ(٤)!

فــإنْ تَسْــألوني بالنســاءِ فــإنّني

بصــيــرٌ بأدواءِ النســاءِ طبــيبُ

إذا شــابَ رأسُ المرءِ أو قلّ مــالُهُ

فـليس لـه في ودّهـنّ نـصــيـبُ

يُردْنَ ثراءَ المالِ حــيثُ وجَــدْنَهُ

وشَــرْخُ الشــبــاب عندهُنّ عَــجــيبُ

الهوامش

* علْقمةُ بن عَبْدة بن النّعمان : من بني ربيعة بن مالك من بني تميم. وهو يعرف أيضاً بلقب علقمة الفحل تمييزاً له من رجل من قومه يلقّب بعلقمة الخصيّ اسمه علقمة بن سهل. وكان علقمة الفحل معاصراً لامرئ القيس وللحارث بن جبَلة بن أبي شمرِ الغسّانيّ ثم عاش حتى عاصر النعمان أبا قابوس، واتّصل ببلاط جلّق، وبلاط الحيرة اتّصالاً يسيراً. وعُمّرَ بعد ذلك طويلاً إلى أن مات عام ٦٢٥م، بعد الهجرة بثلاث سنوات.

وكان علقمة شاعراً بدويّاً، قلّ أن ألفَ الحضَر. واشتهر بالطرد، وبوصف الفرس والنعامة خاصة، وله شيء من المدح والغزَل والحكمة. قال ابن سلاّم: «ولابن عبدة ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر». وهذه الأبيات هي مطلع القصيدة الثانية من القصائد الثلاث اللواتي استجادهن ابن سلام الجمحي في «طبقات فحول الشعراء».

١. طحا بك: أمعن، ذهب إلى أكثر مما يجب أن يذهب. طروب: كثير التأثر (حزنًا أو فرحًا).

٢. يكلفني (قلبي الذهاب إلى) ليلى وقد بعد وليها (جوارها، مسكنها) وعادت (ترددت، كثرت) عواد (مشاغل الحياة) وخطوب (مصائب وأحداث).

٣. ... إذا عاد زوجها من غيبة لم يجد ما يسوؤه (منْ سلوكها في أثناء غيابه).

٤. المغمر: القليل الاختبار. روايا: غيوم تحمل ماء (غيوم ماطرة). صاب المطر يصوب: سقط بشدة.

حكاية الأرنب والفأر والكرة

جارالله الحميد
حائل ـ السعودية

بدون أن تشعر. أراقبها وقت الغداء. لا أدري لماذا أركز على أكلها. أحس بلا سبب حقيقي أو موضوعي أنها لا تأكل بما يكفي لأنها ناحلة. وناحلة أكثر مما يجب. أدرك كآبة أيام التغير الفسيولوجي. تصور ومع ذلك عمرنا لم نتناقش فيه!، وبقدر ما أدّعي من الجبروت بحيث لا يمكن لأحد أن يغيّر كلمتي. إلا أنها هزمتني ثلاثًا! مرّةً لأنني تخاصمت مع (الراس الكبير) أمها، حول ضرورة أو عدم ضرورة اعتبار يوم الأربعاء قدرًا مكتوبًا لا بدّ أن يخرج فيه الناس للقيام بما يسمونه هنا (المسيار). آلو.. شعندكم الليلة؟ أجل نجي؟ الله يحييكم ليس أمام المخاطب إلا التسليم بها. فقد جعلت أقعقع. باعتباري كما تقول خارطتي الوراثية (من العروبة بمكان) حتى إنه لم يعد إلا أن أغير في بيانات هويتي لأثبت للعرب (لا للغرب!) أنني عربي بل وقلت كلامًا سيئًا. وعندما مرت ساعة أو بعضها. دخلت. الفراشة! وفي رواية (الفأرة). تلبس نفس ملابس (المسيار). أي إنها ضربت صدرها لهم (وقالت: لا تحزنوا. ذاهبون، ذاهبون)! أدركت أنها ستلوي حاجبيها الصغيرين (يا حييّ بيه) وأتجاهل:

ـ ماذا؟

فتضيف:

ـ نروح للعرس!

أجد عذرًا بليدًا. أنا ظننته مسيارًا عاديًا. أما العرس فلا نملك إزاءه أي اعتراض. ومرتين إن تذكرت قبل أن أطبع القصة رويتهما. وهما عمومًا من دلائل امتلاك هذا الكائن الصغير لروحي.

أغضب عندما يحدثها أحد بطريقة سيئة. وأختاها تمارسان ذلك معها فقط لأنني أقول أمامهن: إنها تسوى عيوني. حتى أمها لا تحمل لها كل هذا البحر من العواطف الذي تغرقنا به. أقول:

ـ ولكنها صغيرة!

فتقول زوجتي:

ـ عندك. ولا عمرهّ ستطعش سنة!

ـ وجميلة!

فتكاد تتفجر:

ـ إيه حييّ القرد بعين أمه!

دائمًا أفشل. إنني أحميها بشكل مبالغ به. أعي هذا. ولكنني أب. وتلك قضية لا يستوعبها إلا من نجحت سيدة في إقفال الأبواب عنه. بعد أن تضع له ثلاثة أو أربعة أطفال.

يقول لي صديق (سابقًا) وإلا فإنه من المحزن حاليًا الحديث عنه:

ـ الرجل منذ الأربعين يبدأ يتدجن بلا جهود إضافية ولا ضغوط دولية، فهو في الأربعين يدخل سنّ الحمار.

ـ كيف؟

ضحك:

ـ ألا ترى أننا مجتمعان هنا من أجل إيصال زوجاتنا للبيت؟

ضحكت. فقد كان هذا سببًا في اجتماعنا. وأضاف:

ـ وفي سن الخمسين يدخل سنّ الكلب!! فهو ينبح بلا جدوى. وإذا تفضل عليه أحد بكلمة:



- يا رجّال. اتركهم عنك. هؤلاء أولاد ويجب أن يلعبوا.

بدأ اللطم. نعم انتهينا. خلاص. الآن صار كلامنا لا فائدة منه. لماذا لا تعطوننا للبلدية؟ تخلصوا منا. من يرغمكم على إيواء أناس نبّاحين؟

ولن ينتهي من وصلته حتى تغادر له المكان.

قلت:

- وماذا عن سن الديك؟

قال:

- هذا أسوأهم. إنه يجري تجاهلك في هذا السن. ألم ترَ إلى الديك؟

هل ذهبت مرة لتنصحه ألا يؤذن في الضحى؟ ولا في الثانية بعد نصف الليل. لكنه أسعد حالا من الرجل/ الديك. إذ إن دوره الطبيعي أن يمارس الأذان. ويأكل بزهو مما تجمع زوجاته. إنهن يتفنن في جذب قلبه. أما الرجل/الديك. فحتى إذا جاء أحد يدعوه للغداء يتكلم من طرف خشمه.

الحقيقة أنني خرجت من الموضوع تماما. ولكني أعرف أنه عن (غادة). من ضمن الأشياء التي صدمتني أن الناس لا يفكرون بعقولهم. وإلا فأيهما أكثر جمالاً: الفأرة أم الغزال؟ لا تحكموا هكذا. أعرفكم ستقولون: هذه نجسة وتنقل الأمراض.. و.. و.. أنا معكم في كل هذا! ولكن الدجاجة تنقل مرض (زكام الدجاج)، والبقر؟ هل بوسعكم أن تنسوا أن البقرة الحبيبة كأم صارت يوما مخيفة أشد من الذئب؟ أما الغزال فهو مثل وجه الماعز! لماذا لا تتغزلون بالماعز؟ أو شاطرين في أكل لحمها فقط؟!. لذا لست أخجل ولا هي من وصفها بالفأرة. فهي دقيقة الملامح. وعندما تجلس بجانبك تلتفت للحظة فتراها اختفت.

أسأل أمها:

أين الفأرة؟

فتقول بغيظ:

- فوق عند التلفزيون تتابع المباراة!

- ماذا؟

قالت:

- توك تدري؟ منذ أكثر من عام وهي تجن في الكرة.

وهنا قلت كمن يفيق من حلم:

- أقووول. ماذا تفعل بالجرائد؟ جرائدنا ليس فيها ما يميزها غير الكورة!. هكذا إذن يا غدّو!

ومن يومها صرت أشتري لها مع صحفي جرائد رياضية أخبئها عن أعين الأولاد. خشية أن يروني فيقولوا (شايب وعايب!). ومن خلف الجميع أقرأ جرائد غادة في الليل. وحيدا.

نيلز كارلسون الجنّيّ الصغير

إستريد لندجرن
ترجمة:
جودت أحمد الحمد
إربد - الأردن

كان بيرتل يُترك كل يوم وحيداً عندما يذهب والداه إلى العمل. ولعدم وجود من يلعب معه، وجد - ككثير من الأطفال غيره - صديقاً زائفاً - صديقاً حقيقياً جداً بالنسبة إليه.

وقف بيرتل ينظر من النافذة. بدأت العتمة تُخيم. بدأ الطقس في الخارج ضبابياً وبارداً ورديئاً. كان ينتظر عودة أمه وأبيه. انتظر بقلقٍ كبير. فمن الغريب ألاّ يظهر هنا عند مصباح الشارع حيث اعتاد بيرتل أن يلمحهما.

كان والداه يذهبان كل يوم إلى المصنع ويتركانه وحيداً في الشقة. وضعت الأم الطعام على الطاولة كي يأكل بيرتل إذا ما جاع. لكن لم يكن أمراً مفرحاً له أن يأكل وحده، كما أن من المُمل أن يكون وحيداً طوال النهار لا يتحدث مع أحد.

لو لم يمر الوقت ببطء شديد!! لا يعرف ماذا يفعل مع نفسه. تعب من لُعبه القليلة جداً منذ وقت بعيد. تفحص كل كتاب في البيت. لم يعرف القراءة بعد. كان في السادسة من العمر. كانت الغرفة باردة. أشعل أبوه النار في الموقد في الصباح، لكن بحلول ساعات ما بعد الظهر يكون كل الدفء قد انتهى. شعر بيرتل بالبرد. كانت العتمة تزحف على زوايا الغرفة، لكنه اعتقد أن لا داعي لإشعال الضوء، فلم يكن لديه أي عمل يقوم به.

كان أمره محزناً لذا قرر بيرتل أن يستلقي على سريره ويتأمل حاله. لم يكن دائماً وحيداً. كانت له أخت، اسمها مارثا، رجعت مارثا ذات يوم من المدرسة مريضة. بقيت مريضة أسبوعاً ثم ماتت. بكى وهو يفكر بها ويفكر كيف أصبح وحيداً الآن.

صحيح أنه سمعها، خطوات صغيرة سريعة خفيفة الوقع تحت سريره. «هل هذا المكان مسكون؟ سأل بيرتل. مال على حافة سريره. كان يقف هناك تحت السرير، نعم، كان كولدٍ صغيرٍ عاديٍ بالضبط. الأمر الوحيد هو أنه لم يكن أكبر من إبهام.

«مرحباً» قال الولد الصغير.

«مرحباً»، قال بيرتل ببعض الحياء.

«مرحباً»، مرحباً، قال الصغير.

ثم لم يقل أحدهما شيئاً برهة من الوقت.

«من أنت؟» سأل بيرتل، «وماذا تفعل تحت سريري؟»

«اسمي نيلز كارلسون، الجنّي الصغير. أسكن هنا. حسن، ليس تحت سريرك؛ بالضبط، بل في طابق أسفل منه. بإمكانك أن ترى المدخل هناك في الزاوية». أشار نيلز إلى جحرِ فأرٍ كبير تحت سرير بيرتل.

«أتسكن هنا منذ مدة طويلة؟» سأل بيرتل.

«لا، منذ أيام قليلة فقط»، قال الجنّي الصغير: «قبل ذلك عشت تحت جذور شجرة في المتنزه. ومع حلول الشتاء، على المرء أن يعود ثانية إلى المدينة بعد أن يكون قد أمضى وقتاً طويلاً في التخييم. كنتُ محظوظاً بما فيه الكفاية لأستأجر هذه الغرفة من فأرةٍ انتقلت إلى بيت أختها في سودرتالجي. وبالفعل من الصعب أن تجد شقة صغيرة». نعم، كان بيرتل قد سمع أن الأمر كذلك.

«استأجر هذه الغرفة بلا أثاث»، شرح الجنّي الصغير. «هذه أفضل طريقة، على الأقل، إذا ما كنت تمتلك بعض قطع الأثاث»، أضاف بعد توقف.



«حسن، وهل لديك أثاث؟» سأل بيرتل.

«لا، هذا هو الأمر، لا». قال الجني الصغير وقد بدا عليه بعض الارتباك. ارتجف.

«برر، الجو بارد تحت في مسكني. لكنه بارد فوق هنا أيضاً».

«أقول»، قال بيرتل: «أكاد أتجمد حتى الموت».

«لدي مدفأة»، قال الجنّي الصغير: «لكن لا حطب لديّ. الحطب غالٍ جداً هذه الأيام». ققفز نيلز إلى الأعلى والأسفل يحاول أن يدفئ نفسه، ثم نظر إلى بيرتل وسأله: «ماذا تفعل طول اليوم؟».

«حسن، ليس لدي الكثير مما أفعله»، قال بيرتل.

«ولا أنا»، قال الجنّي الصغير: «من المُمل جداً أن يكون المرء وحيدًا، أليس كذلك؟»

«مُمل جداً»، قال بيرتل.

«أترغب في أن تأتي إلى بيتي لبعض الوقت؟» سأل الجنّي الصغير بحماسة وتشوّق.

ضحك بيرتل. «أتظن حقّاً أني أستطيع المرور عبر ذلك الجحر؟»

«ذلك أسهل شيء في العالم»، قال الجني الصغير. «ما عليك إلاّ أن تلمس ذلك المسمار بالقرب من الجحر وتقول «كيليفيين» وتصبح صغير الحجم كما أنا».

«أمتأكد أنت؟» قال بيرتل: «هل أستطيع العودة ثانية كما كنت في الوقت الذي يعود فيه أبي وأمي إلى البيت؟».

«بالتأكيد»، قال الجني الصغير، «ما عليك إلا أن تلمس المسمار وتقول «كيليفيين» ثانية.

«أمر غريب»، قال بيرتل «وهل تستطيع أن تكبر حتى تصبح بحجمي؟»

«لا، لا أستطيع لسوء الحظ»، قال الجنّي الصغير، «لكنه أمر جميل أن تأتي مسكني فترة من الوقت».

«حسن»، قال بيرتل. زحف تحت السرير، ووضع اصبعه على المسمار وقال «كيليفيين».

بالتأكيد! كان بيرتل يقف هناك أمام جحر الفأر بحجم الجنّي الصغير.

«كما قلت من قبل، اسمي نيلز»، قال الجنّي الصغير وهو يمد يده: «تعال لمسكني».

شعر بيرتل بأن شيئًا مثيراً وعجيباً يحدث. كانت لديه رغبة حارقة في الدخول في الجحر المعتم.

«خذ حذرك وأنت تهبط الدرج». قال نيلز: «درابزين الدرج مكسور في مكان ما». نزل بيرتل الدرج الحجري الصغير بحذر. تخيل فقط! لم يعرف أن هناك درجاً أبداً. انتهى الدرج عند باب مغلق.

«انتظر، سأشعل النور». قال نيلز. ثم فتح الباب وأدار مفتاحاً. «المكان عارٍ هنا تقريباً»، قال نيلز.

نظر بيرتل حوله. الغرفة صغيرة خاوية، ذات نافذة واحدة ومدفأة من القرميد الأزرق في الزاوية. «نعم، قد تكون أدفأ،» اعترف «أين تنام الليل؟»



«ماذا عليّ أن أقول؟» صاح نيلز.

«لماذا، كيليفيين بالطبع»، قال نيلز.

«لماذا، كيليفيين بالطبع»، قال بيرتل للمسمار.

لم يحدث شيء.

«ياصاحبي، قل كليفيين فقط»، صاح نيلز من الأسفل.

«كيليفيين فقط»، قال بيرتل.

لم يحدث شيء.

«باللسماء،» صالح نيلز. «عليك ألا تقول شيئًا سوى كيليفيين».

فهم بيرتل أخيراً. قال «كيليفيين» وأصبح كبيراً ثانية.

حدث ذلك بسرعة كبيرة.

ارتطم رأس بيرتل بأسفل السرير. زحف خارجًا من تحت السرير وركض باتجاه موقد المطبخ. وجد، هناك كمية كبيرة من عيدان الثقاب. كسرّها لأجزاء صغيرة وكوّمها بجانب جحر الفأر. ثم صيّر نفسه صغيراً ونادى على نيلز: «تعال وساعدني في نقل الحطب». الآن، وقد أصبح صغيراً، لم يكن قويًا بما يكفي لحمل الحطب بنفسه. أتى نيلز راكضًا وحملا الحطب معًا ونزلا به الدرج ومن ثم إلى الغرفة ومنها إلى الموقد. كان نيلز سعيدًا جدًا. قفز من الفرح.

«حطب رائع» . قال «حطب رائع حقًا». ملأ الموقد وكوّم ما تبقى في الزاوية.

«سأريك شيئًا الآن»، قال نيلز. جثم أمام الموقد ونفخ فيه. بدأ الحطب على الفور بالطقطقة والاشتعال.

«ذلك عمليّ جدًا»، قال بيرتل. «بالتأكيد يوفر ذلك أعواد الثقاب».

«تراهن» قال نيلز «بأنها ستكون نارًا رائعة. لم أشعر حقًا بالدفء ولو لمرة منذ الصيف الماضي».

جلسا على الأرض أمام النار المتوهجة ومدّا أيديهما

«على الأرض»، قال نيلز.

«أليست باردة؟» قال بيرتل.

«أتراهن على أنها كذلك! إنها باردة جدًا لدرجة أن عليّ أن أستيقظ وأركض حول الغرفة مرة كل ساعة كيلا أتجمد لدرجة الموت».

شعر بيرتل بالأسى من أجل نيلز. فهو، على الأقل، غير مجبر على البقاء في البرد في الليل.

وفجأة خطرت بباله فكرة. «ما أغباني» قال «أستطيع أن أحضر لك بعض الحطب».

أمسك نيلز بذراع بيرتل. «أتظن أنك تستطيع ذلك بالفعل؟» سأله بتشوق.

«بالطبع»، قال بيرتل. ثم بدا عليه بعض الارتباك. «لكن الأسوأ أنه غير مسموح لي بإشعال أي أعواد ثقاب».

«ذلك لا يهم»، أكد له نيلز. «إذا ما أحضرت الحطب فسأشعله».

صعد بيرتل الدرج. ثم لمس المسمار، و.... كان قد نسي ما عليه أن يقول.

المتجمدة نحو الدفء اللذيذ.

«تبقى لدينا حطب كثير». قال نيلز بسعادة.

«نعم، وعندما نستنفد ذلك، أستطيع أن أحصل على أية كميّة تريد»، قال بيرتل. كان سعيداً هو الآخر.

«لن أبرد كثيرًا هذه الليلة» قال نيلز.

وبعد ذلك بوقت قصير سأل بيرتل: «ماذا تأكل عادة؟»

احمرّ وجه نيلز خجلاً: «حسن، القليل من كل شيء، قال نيلز بتشكك»، أي شيء أحصل عليه.

«ماذا أكلت اليوم»؟

«اليوم» قال نيلز «لا أذكر أنه كان لدي شيء آكله».

«يجب أن تكون جوعان جدًا»، قال بيرتل.

«نعم»، قال نيلز «أنا جائع جدًا».

«لم لَمْ تقل ذلك يا غبّي سأحضر لك شيئًا على الفور».

«سأحبك طوال حياتي لو فعلت ذلك».

كان بيرتل قد صعد حتى منتصف الدرج بسرعة. وبسرعة شديدة قال: «كيليفيين».

وانطلق بسرعة كبيرة إلى حُجرة المؤونة. أخذ قطعةً صغيرةً من الجبن، وقطعةً ضئيلة من الخبز وفرش عليها بعض الزبدة، وكرةً من اللحم وحبتي زبيب. كوم الطعام بجانبِ جحر الفأر، صيّر نفسه صغيراً وصاح: «تعال وساعدني في نقل الطعام» لم يكن بيرتل بحاجةٍ إلى الصراخ، فهو متأكد بأن نيلز كان واقفًا ينتظره، حملا الطعام معًا. تلألأت عينا نيلز كالنجوم. شعر بيرتل بالجوع أيضًا.

«دعنا نبدأ بكرة اللحم». قال بيرتل. كانت كرة اللحم بحجم نيلز تقريبًا. بدأا بأكلها كل من جانب ليريا من يصل المنتصف أولاً. وصل نيلز أولاً. أراد نيلز أن يوفر الجبنة» لأن عليّ، كل شهر أن أعطي فأرًا قطعة الجبن أجرة وإلا عليّ أن أخلي المكان»

«سنهتم بذلك»، قال بيرتل «امض وكل جُبنتك».

ثم تناول كل منهما حبة زبيب. قال نيلز سيوفر نصف زبيبة لليوم التالي «سيكون لدي شيء آكله عندما أستيقظ»، قال نيلز «سأستلقي أمام النار».

وفجأة صاح بيرتل «أعرف، أعرف شيئًا مدهشًا» وبلمحة اختفى وهو يصعد الدرج.

مرّ بعضُ الوقت. ثم سمع نيلز بيرتل يناديه: «تعال وساعدني على حمل السرير». أسرع نيلز إلى أعلى الدرج. كان هناك بيرتل ومعه أجمل سرير صغير أبيض، كان قد أخذه من بيت لعبة أخته القديم. كانت تنام فيه أصغر لعبها، لكن نيلز كان بحاجة أشد إليه.

«أحضرت لك بعض القطن لتستلقي عليه، وقطعة فانيلا خضراء استخدمتها أمي لبيجامتي الجديدة. بإمكانك أن تستخدمها كبطانية».

«آه»، . لم يستطع قول المزيد. وبعد برهة قال: «لم أنم في سرير من قبل. أرغب في الذهاب إلى النوم فورًا الآن».

«بالتأكيد، لم تذهب؟ قال بيرتل «سيعود أبي وأمي في أيّ لحظة الآن وعليّ أن أعود».

بدّل نيلز ملابسه بسرعة، وأسرع إلى السرير. دسّ نفسه في القطن وسحب البطانية المصنوعة من الفانيلا فوق أذنيه.

«آه»، قال نيلز ثانية، «أنا شبعان تمامًا ودافئ، تمامًا ونعسان تمامًا».

«وداعًا الآن»، قال بيرتل «سأعود غدًا».

لم يسمعه نيلز. كان ينام بعمق.

في اليوم التالي انتظر بيرتل بفارغ الصبر أباه وأمه ليخرجا. عادة كان بيرتل يقف في القاعة ويودعهما وهو حزين، لكنه لم يكن كذلك اليوم. وما إن انغلق الباب الأمامي حتى زحف بيرتل تحت السرير وانطلق إلى غرفة نيلز. كان نيلز قد استيقظ وأشعل النار في الموقد.

«لن يضيرك ذلك، أليس كذلك؟» سأل نيلز.

«بالطبع لا»، قال بيرتل «بإمكانك أن تشعل النار كما تشاء»، ثم نظر بيرتل إلى الغرفة وقال: «نيلز اجلس هناك بالقرب من الدرج. لديّ لك مفاجأة. غطّ عينيك. لا تسترق النظر». غطى نيلز عينيه. سمع خشخشة وضجة كبيرة على أرضية الطابق العلوي.

«تستطيع أن تنظر الآن»، قال بيرتل. كانت هناك طاولة وخزانة زاوية وكنبتان صغيرتان وكرسيان خشبيان.



«حسن، لم أتوقع ذلك أبدًا»، قال نيلز «هل أنت ساحر؟»

بالطبع لا. لم يكن بيرتل كذلك. لقد أتى بتلك الأشياء من بيت لعبة مارثا. كما أحضر سجادة مخططة أيضًا. فرشا السجادة أولاً. غطت معظم الأرضية.

«لي؟ كم تبدو لطيفة»، قال نيلز.

بدت السجادة أجمل عندما وضعت الخزانة في الزاوية، كانت الطاولة في منتصف الغرفة بجانبها الكنبتان، والكرسيان الخشبيان أمام النار.

«تخيل أن يعيش المرء بمثل هذه الروعة»، قال نيلز بوقار.

كذلك اعتقد بيرتل أن ذلك رائع، أكثر روعة من بيته فوق.

جلسا في الكنبتين وتحدثا. «عليّ الآن أن أكون رائعًا أيضًا وألا أكون متسخًا»، قال نيلز.

«لماذا لا تأخذ حمامًا؟» اقترح بيرتل. تناول صحنًا وملأه بماء نظيف دافئ. وعمل منشفة من قطعتين من منشفة تركية قديمة. نزعا ملابسهما بسرعة وقفزا في حوض الحمام. كان الماء رائعًا. «افرك لي ظهري، إذا سمحت». قال نيلز.

فرك بيرتل ظهر نيلز. ثم فرك نيلز ظهر بيرتل. رشّا الماء بعضهما على بعض. بعد ذلك لفّا نفسيهما بمنشفتين وجلسا على الكرسيين الخشبيين أمام النار وحدثا بعضهما بعضاً كل شيء عن كل شيء.

صعد بيرتل الدرج إلى بيته ليحضر بعض السكر وقطعة صغيرة من التفاح شوياها على النار. فجأة تذكر بيرتل «سيكون أبي وأمي في البيت في الحال». أسرع وارتدى ملابسه، وكذلك فعل نيلز، «سيكون الأمر ماتعًا إذا ما صعدت إلينا»، قال بيرتل «تستطيع أن تختبئ داخل جيب قميصي وبهذا لا يراك أبي ولا تراك أمي».

أعتقد نيلز أنها فكرة مثيرة. «سأكون هادئًا كفأر»، قال.

«ماذا جرى؟ شعرك مبلل» قال الأم والعائلة تجلس على طاولة العشاء.

«نعم. أخذت حمامًا»، قال بيرتل.

«أخذت حمامًا؟» قالت أمه «أين أخذت حمامًا؟».

«هناك»، قال بيرتل. ضحك وأشار إلى الصحن المملوء بالماء على الطاولة.

ظن والداه بأنه يمزح.

«أمر مفرح أن نرى بيرتل بحالة جيدة ثانية». قال الأب.

«نعم، ولدي المسكين»، قالت الأم. «أمر سيئ أن يبقى وحده طوال اليوم».

شعر بيرتل بشيء يتحرك داخل قميصه. شيء دافئ. شيء دافئ جدًا.

«لا تحزني بسبب ذلك، يا أمي» قال بيرتل «لأن لدي الكثير مما أستمتع به عندما أكون وحيدًا.

ثم وضع أصبعه داخل قميصه وربت بلطف كتف نيلز كارلسون، الجني الصغير.

الهوامش

ترجمها من السويدية إلى الإنجليزية فلورانس لامبورن Florence Lamborn من موسوعة: Childcraft

Children Everywhere
The How And Why Library Vol.3 Field Enterprises Educational Corporation, Chicago 1973.





أنا والتحدي والليل



نشرت الفيصل في عددها (٢٥٧) قصيدة من الشعر الوجداني بعنوان «أنا والتحدي.. والليل» شعر تغريد منذر لطفي.

قصيدة تغريد «أنا والتحدي والليل» من مجزوء الكامل، وقد جاء الشطر الأول متفاعلن متفاعلن، بينما جاء السطر الثاني: متفاعلن متفاعلان، بزيادة سبب خفيف - تُن - ساكن ومتحرك على - ضربها - التفعيلة الأخيرة.

والأبيات تتواتر في إيقاع متدفق، بلا خلل ولا عيوب في الوزن مما يسجل للشاعرة تمكنها من موسيقى الشعر، ومقدرتها على حسن الصياغة.

والقصيدة تنبع من ذات الشاعرة، في أربع دفقات شعورية، تتوالى معبرة عن خلجات الوجدان في هذه الذات الشاعرة، تتماوج معانيها مع الطبيعة والليل تماوجاً متناغماً. ففي الموجة الأولى؛ لا ترى الشاعرة إلا خيبة وحرماناً.. فلا الحدائق تهديها وردة! ولا الطيوب تمنحها نفحة! ولا أعراس الضياء تزور مهدها.

والموجة الثانية تستهلها بمناجاة الليل، وتشكو إليه خيانة من تحب، وتسير في درب الكآبة.. فهي شقية على تنعمها، وعلى ما تلقاه من ورد وشهد! لا شيء يبهجها؛ وقد ودعت أحلامها ومجدها، وأيست من انتصارها على كآبتها، وهزمت أمام البغي فاستولى الطاغوت - عوذاً بالله - على رايتها، وهي مستسلمة له!

وفي الموجة الثالثة تعتذر إلى الليل، أن بثته شكواها؛ فهو الذي يثير فيها الشجون أمطاراً، والانفعالات رعوداً، ثم تعود إلى خيبتها تجترها - عائدةً إلى زمن المضارع في الفعل - كأنما بقي من إحساسها بالأسى بقيةٌ راسبةٌ في النفس، ما زالت تناوئها وتنوء بها فتُفضي بها على غرار الموجة الأولى لتستريح.. فالعاصي الجميل لا تجد فيه ريّها، والنواعير الحسان تئن أنيناً غامضاً، لا تفهم معانيه، كأنه صدى ما تعانيه.

وتطوف بالنهر والزهر هناك.. على ضفاف العاصي، وتقضي الليل وهي تُراني القمر حتى تحس كأنه يبيت عندها. ولكن مع هذا كله؛ فلا تجد عزاءً ولا سلوى.. فالحزن مستوطنٌ ذاتها.

وفي الموجة الرابعة تصحو إرادتها، وينتفض عزمها، فتقف متحديةً هموم النفس؛ فلن تستكين للظلام المر، ولن تتسامح مع النحس، ولن تدير وجهها لغول النحس هذا ليلطمها على خدها!. بل ستحطم القيد اللعين حتى تمّحي آثاره من نفسها، فقد تعلمت من مدرسة الحياة - على مدى عمرها - معنى الشجاعة والتصدي، وصارت قادرة على صنع البطولة الباهرة والتحدي.

هي ذي الحالة النفسية التي تواكب القصيدة في دفقاتها، وتتماوج مع معانيها. وقد استطاعت الشاعرة - عن تمكن ومقدرة - أن تشحن قصيدتها بهموم نفسها، وأن تبلغ هذه الشحنات النفسية قلب القارئ ونفسه، فأحسسنا بعنائها وشقائها، في كل دفقة من دفقات المعاني؛ بأسلوب من السهل الممتنع. إذ تستهل دفقة المعاناة الأولى بهذه الصياغة الباهرة: وحدي أنا.. يا ليل وحدي بتقديم الخبر على المبتدأ - وحدي أنا - ثم مناداة الليل؛ يا ليل، ثم تأكيد وحدتها ثانية، وحدي. مُجسِّدةً معاناتها الوجدانية، كاشفةً عن آلامها النفسية دفعة واحدة، بإيجاز آسر، ونسق - من الصياغة - رصين مبدع. وقد استغلت أسلوب المفارقة والتضاد لتسرح أبعاد معاناتها في الأبيات الآتية:

وأرى حدائق.. غير أني لا أرى فيهن وردي!
أين الطيوبُ؟! وأين أعراسُ الضياء تزور مهدي؟!
غابا.. فلا عطرٌ يضوع ولا سناً وضاءٌ يهدي..

وقد نجحت الشاعرة بصوغ أمانيها ومعانيها في صور موحية؛ عبر أعراس الضياء، وعطر يضوع، وسناً وضاء. كما نجحت في ترميز الورد والطيب. فالورد هنا ليس ورداً حياً فوّاحاً بالشذا بقدر ما هو رمز إلى ما تصبو الشاعرة إليه، كما هو في الدفقة الثانية. وكذلك مهدها ليس سريراً لنومها، وإنما هو رمز لعالمها.

ثم تستهلُ الموجة الثانية بنداء الليل.. ليل الحزانى.. في مناجاة عميقة، وتُفضي إليه بسرٍ يعذبها.. فأينَ من تطوي سرها على هواه.. ماضٍ في

خيانتها.. لا يتوب ولا يثوب.. ويظل الليل نجياً صفيّاً لها؛ تناديه من أعماقها، وتناجيه بأسرارها، وتستودعه مكنون نفسها، في تعاطف رهيف، وتسارٌ عميق، وهو صفيُّها ونجيُّها، تمكن نفسها إليه، وتعيش وحدتها في صومعته، وتبوح بآهات صدرها له.. في نجوى هامسة عميقة.. ويظل نداء الليل مفتاح أسرارها.. تفتح باب صومعتها فيه، لتجلو أصداء قلبها. فهي تناديه ألواناً من النداء عبر مويجات شعورها:

يا ليلُ.. يا ليلَ الحزانى..

يا ليلُ.. عفواً إن شكوت..

يا ليلُ.. رغم شقاوتي..

أما أسلوب الشاعرة فهو متساوقٌ مع موجات معاناتها، يرق حاشية حين تلين لهجتها، كما في الموجة الثالثة:

النهر.. يعرفني.. وأعرفه كما لو كان بُرْدي.

والزهر.. يعرفني.. وأعرفه كما لو كان عقدي.

والبدر.. يعرفني.. وأعرفه ويقضي الليل عندي.

ويشتد أسراً حين يتصاعد توترها النفسي كما في الموجة الرابعة:

لن أستكين وإن توارى في الظلام المد سعدي...

وقد نجحت الشاعرة في ترميز بعض الألفاظ - كما أوضحنا - وأزاحت معانيها إلى رموز خاصة بها، كالورد، والمهد، وأمطاري، ورعدي. ولكن لا تخلو القصيدة من هنات يسيرة. ففي كتاب الله الكريم فحسب لا تسدُّ لفظة محل لفظة، ولا تغني صياغة عن صياغة. هناك في التنزيل الإلهي فحسب لا نستطيع أن ننزع كلمةً ونستبدل بها كلمةً من عندنا إلا أن يختل السياق كله؛ لأنه ليس من كلمة «مناسبة» تصلح للمعنى إلا الكلمة التي اختيرت للصيغة، حيث وردت، وعلى صورتها النحوية من نسق الجملة. أما كلامنا - نحن البشر - فقائمٌ على التدريب والتجريب والتقريب. إذ نستبدل بالكلمة غيرها مثنى وثُلاث ورُباع، ونغيِّر من السبك مرات عدةً! ثم نقف أمام الصيغ المختلفة، والكلمات المترادفة حائرين؛ أيها أدق؟ وأيها أجمل؟ وأيها أحرى بالاختيار وأجدر بالمعنى!. وننتهي إلى اختيار، ونثبت صيغةً ما في النص - نثراً وشعراً - ثم يبدو لنا أنها ليست أدق الصيغ ولا أجملها، ولكن هو الإنسان، يُعيد ويبدئ، ويصيب ويخطئ، ويبرم وينقض، ويعزم ويتهاون، لأن فطرته هكذا.. وجاء بيانه على غرار فطرته، وسجية طبعه. وبسبب ذلك كان النقد، وكان التقويم، وكان التفاوت في الأهواء والأذواق. وبسبب ذلك أيضاً اختلفت المقاييس والموازين، وتباينت المذاهب والنظريات، وتباعدت الأفكار والأحكام. وإنها لحكمة الله البالغة، أن جعل من ضعف قوة، ومن نقص كمالاً، ومن خطأ سداداً.

أما في التنزيل القرآني.. في كتاب الله المعجز؛ فما على الإنسان إلا أن يمعن الفكر والنظر.. حتى يستجلي أسرار البيان، ولطائف الصياغة، وعبقرية الأداء. ذلك في كتاب الله وحده. أما نحن البشر فالأمر غير ذلك؛ إذ نختلف، ونتجادل، ونتوسع في الفكر والنقد، فنرتاد آفاقاً لم نكن لنعرفها لولا هذا الفكر وهذا الجدل، ولهذا لا يخلو بيان البشر - شأن أعمالهم كلها - من خلل، ومن هنات، كان ما كان صاحبه من الدراية والموهبة والفن. ولذا لا تخلو القصيدة من بعض الهنات، كما أن بعض الكلمات قلقة في مكانها.

ففي الموجة الثانية؛ تنادي الشاعرة الليل: يا ليلُ.. يا ليلَ الحزانى. ألا ما أعمقه من نداء، يا ليلَ الحزانى، ولكن السؤال عن حال الدار بعده في الفجر أخلَّ بالسياق، لأنه ليس على غرار الصدر. فليس وارداً أبداً عند من تناجي الليل، ونوغل في ليل الحزانى.. أن تسأل عن حال الدار بعدها!. ما من قرينة ترشح لهذا السؤال، فأين الرحلة، وأين السفر، وأين الغياب عن الأهل والأصحاب؟ لا شيء من ذلك!. فما هي إلا وصلة تسللت إلى ذهن الشاعرة من أدب المهجر أو أدب النكبة.. جاهزةً مبنى ومعنى ولا علاقة لها بالسياق.. كأنها لا تدري كيف تختم هذا الاستهلال النفسي العميق في مناجاة الليل فلاذت بالدار والسؤال عنها!.. فلم نعنُ الدار - على ذاكرة القصيدة.. حتى نهايتها!. ثم تعلو لهجتها بالشكوى في تساؤل حائر:

«ماذا أقول». واعتراف حزين.. «وإن من أهوى يظل يخون عهدي».

فإن شئت رياً من نبع البيان فلتنهل من كأس الشكوى ما شئت من رشفات البيان العذبة، وهي تقطِّرها من سلسال أحزانها وينبوع أساها. عبر معاناة طويلة، وصبر مرير، وإيحاء غير مباشر بالمعنى الأخلاقي، وإنكار محبط للخيانة: «وإن من أهوى.. يظل يخون عهدي..» يا لها من معاناة ذاتية كبيرة في بيان موجز.

وفي البيت الذي يليه:

فأسير في درب الكآبة.. من رؤى سهلٍ لنجدِ

يعود الخلل إلى الظهور بين شطري البيت، فلا اتساق بين صدر وعجز! فأين نعلق شبه الجملة؛ لنجد؟. والتعليق يعني اتصال الكلام معنوياً. إذا علقناها بـ «أسير» اختل الحديث؛ أسير من رؤى سهل إلى نجد! لأننا نجدُ (رؤى) زائدة على السياق، ومقحمةً إقحاماً. فلا بد من حذفها حتى يستقيم المعنى: أسير من سهل لنجد. وإذا تكلفنا صفةً محذوفة للكآبة - الكائنة - من رؤى سهل لنجد؟! اصطدمنا بـ «رؤى» أيضاً واضطررنا إلى حذفها. فالكلام ليس واضحاً ولا مفهوماً بوجودها! ونهتدي - بعد عناء - إلى أن هذه الثنائية غير ملائمة، والشطر الثاني ملفق بصورة لا يستقيم مع الشطر الأول؛ لأن المسير لم يكن في سهل لينتهي إلى نجد، وإلا كان المعنى ضعيفاً، ودرب الكآبة ليس بين سهل ونجد لأن « رؤى» وقفت عائقاً في هذا الدرب، وحرف الجر «اللام» في «سهل لنجد» أرادته الشاعرة بمعنى حرف الغاية حتى أو إلى. ولكنه لم يؤد هذه الوظيفة في السياق. ولو عطفت بالواو بين «سهل ونجد» لكان أجدى للمعنى، وما حصل أن الشاعرة تلمست القافية في «نجد» فرشحت لها بالسهل، لكنها أحست أنها مطابقةٌ تقليدية فأرادت أن تعطيها مدى نفسياً: بالرؤى.. حتى تتناسب مع معاناتها. ولكنها شعرت بعدم الاتساق بين «الرؤى» وبين «سهل ونجد» فاضطرت أن توسع من مدى السهل والنجد.. لينسع أفق

الرؤى، ففرضت حرف الجر على نجد «لنجد» فحصل من هذه التراكمات في عملية النظم تلفيق أضرّ بالمعنى، وأخلّ بالصياغة. وظهر الشطر الثاني ملفقاً تلفيقاً مخلخلاً، وثنائية «سهل ونجد» مشدودة شداً إلى الرؤى في نشوز فاضح؛ كأنه القطعة المزيفة بارزة في زخارف الخزائن الشامة بين أصدافها المتوهجة، وخطوطها الفضية المتألقة. ولم توفق الشاعرة في ترميز هاتين الكلمتين لحالتين نفسيتين تعترضانها في درب الكآبة، ولو تريثت قليلاً لاهتدت إلى بديل عن رؤى بمدى: «وأسير في درب الكآبة في مدى سهل ونجد» ولجاءت الصياغة متساوقةً في الشطرين، وآخر المعنى متصلاً بأوله، ولما كان مستنكراً أن تسير في درب الكآبة ما بين سهل ونجد.

أو لو قالت: وأسير في درب الكآبة عبرَ أوهامي وحقدي.

أو قالت: وأسير في درب الكآبة بين المصائب والتعدّي.

وفي البيت الرابع:

إني الشقية.. رغم ما ألقاه من ورد وشهد

ليست عبارة «ما ألقاه» مناسبة لرغد العيش الذي تنوه به، وثقيلة جداً في السياق وحبذا لو عدلت عنها إلى عبارة سواها مثل:

إني الشقية.. رغم ما في العيش من رغد وشهد.. أو طيب العيش من..

وفي البيت الخامس كان من الأنسب لو ودعت أحلامها ووجدها:

لا شيء يبهجني.. فقد ودعت أحلامي ووجدي. وليس «أحلامي ومجدي»، لأن الوجد من الوجدان، وهو مخضب بلون المعاناة النفسية، وأكثر انسجاماً مع الأحلام من المجد، لأن المجد معنى كبير. وإني أعيذ الشاعرة من وداع مجدها، كما أعيذها أن تستسلم للطاغوت وتلقي تحت قدميه رايتها!.. وتنهزم في صراعها معه. فهي تحكي كارثةً خطيرةً جدا في مصير الإنسان دون أن تلقي لها بالاً!. هي هزيمتها أمام الشر في الحياة!.. بمعنى إذعان الإنسان للشيطان!.. وفقدان الاختيار في الدنيا، وخسارة المصير في الآخرة! ولا أدري ماذا استهواها من هذا المعنى!؟

لا شيء ينصرني.. فقد سلّمتُ «للطاغوت» بندي!..

وأين الله الذي يعين من يستعينه، وينصر من يستنصره!..

لاشك أن الشاعرة أرادت: لا شيء ينصرها من ناس أو وسائل، ولهذا استعملت: شيء. ولكن يجب ألاّ يغيب عنا الله في قولٍ أو فعل، في جد وفي هزل، في شعرٍ وفي حياة. والطاغوت كل ما يُعبد من دون الله حجراً كان أم شجراً أم بشراً. ومهما يكن الرمز الذي كنّت الشاعرة عنه بالطاغوت من بغيٍ أو ضلال فيجب ألا تلقي برايتها إليه!. وأن تقاوم غوايات الشيطان. كما أنّ على الشاعر أن يقاوم إغراء بعض المعاني مهما كانت فريدة، ومهما كانت غوايتها. خاصة إذا كانت من المعاني التي تحيف بالعقيدة، أو تستخف بها حتى يكون من الذين آمنوا وانتصروا من بعد ما ظلموا، ولا يحشر مع الذين في كل واد يهيمون.

على كلٍ نحن نريد للشاعرة أن تنتصر على الطاغوت، وترفع بنود الحق خفاقةً في وجهه، وأن تنشد في الحياة كما في الفن:

لا شيءَ ينصرني من الرحمن إن أخلفت عهدي

أسلمت وجهي للذي فطر النفوس على التحدّي

ورفعت من شعري لواء الحق في وجه التعدّي

لا شيء ينصرني إذا أخلفت ميثاقي ووعدي

وفي الموجة الثالثة: تكرر الشاعرة عبارتي: يعرفني وأعرفه.. ثلاث مرات وربما وجدت تكرارها لازمةً نفسية. والتكرار قضية ذوقية فيها خلاف، ولا حسم فيها. ربما كان التكرار في بعض المواطن جميلاً بل ضرورياً، وربما كان التلوين أجمل. وأنا هنا أرى تلوين العبارة، مادامت الشاعرة تتنقّل - كالنحلة - بين النهر والزهر والقمر.

فالزهر.. يغزلني.. وأغزله كما لو كان عقدي

أجمل من: يعرفني وأعرفه، وكذلك:

البدر.. يرمقني.. وأرمقه.. ويقضي الليل عندي

أجمل في مُراناة القمر وهو سار في السماء، والشاعرة ترامقه عبر النافذة.. حتى تتوحد في رؤاه وتغرق فيه. فهذه المراناة تمهد لأن يبيت الليل عندها.

ويا للجمال في هذه العبارة إذ تصف قربها من البدر وهي تنام على أحلام القمر: «ويقضي الليل عندي...» و«ما دمت يا قلبي حزيناً». مواساةً تُلخّص المأساة؛ في أرقّ نداء، وأعمق مناجاة. ولا يفوتنا تكرار: كما لو كان.. مرتين. ولكني لا أرى تبديل إحداهما بعبارة ثانية، لأن التلوين لا يظهر إلا أن يتكئ على عبارة ثابتة. وتكرار - على المدى - في البيتين الأخيرين من الموجة الرابعة:

فلقد عرفت - على المدى - معنى الشجاعة والتصدي

ولقد أجدت - على المدى - صنع البطولة والتحدي

ففي المرة الأولى أوردت: على المدى لتدل على تجاربها الطويلة في الحياة وهو معنى مناسب للسياق. ولكنها - على المدى - في البيت الثاني عالة على البيت الأول، وبدت عبارة جاهزة لا معنى لها، فالأنسب أن تبدل بها عبارة أوفى بالمعنى مثل: «ولقد أجدت - مع الردى - صنع البطولة والتحدي» فهنا لا ترد عبارة: مع الردى كأنها وصلة مُستنفدة المعنى، وإنما تضيف للسياق معنى زائداً.

هذه ملاحظات سريعة حول القصيدة، أرجو أن تحمل على أحسن الظن. وعلم الله أنني حاولت - قدر استطاعتي - أن تكون مفيدة، وأن أنصف الشاعرة، ولا أتطفل على قصيدتها، وأن أكشف عن مواطن الإبداع وعمق المعاناة. لأنني أعرف معنى الإبداع ووهج المعاناة؛ وكلنا يزل، وما من أحد يسمو عن النقد إلا الأنبياء والرسل، لأن رسالتهم ليست من اختراعهم، ولا من ابتداعهم أو إبداعهم، وإنما هي وحيٌ يوحى. ولذلك هم معصومون عن الخطأ في الرسالة؛ بعصمة الله لهم، لا بفطرة نفوسهم، وما أحدٌ - سواهم - من البشر بمعصوم.

أكرم محمود قنّوص

دمشق - سورية

دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقصين من قدره

مراجعة: محمد بن فارس الجميل
الرياض - السعودية

يتألف الكتاب من ستة فصول وهو كما يظهر من عنوانه وفهرس محتوياته محاولة طيبة في الرد على شبهات المستشرقين ومحاولاتهم في تشويه سيرة النبي عليه الصلاة والسلام. وما من شك في أنه إذا ما تصدى لتلك الشبهات عالم كبير مثل أستاذ الفلسفة العربية الدكتور عبد الرحمن بدوي فالحري به أن يسقط حججهم ويدحض شبهاتهم، وقد نجح إلى حد «ما» في هذا المسعى ولكن عدم معرفته التامة بمصادر السيرة النبوية أوقعه في بعض الأخطاء، وقاده إلى بعض المزالق التي سيتبين طرف منها في أثناء مراجعة الكتاب. وكذلك فإن الكتاب مثقل بالأخطاء اللغوية والطباعية وضبط الأعلام البشرية والمكانية، وواضح أن التصحيف في الكثير منها جاء بصورة لافتة للنظر، ويبدو أن المترجم يتحمل قسطاً من اللائمة في ذلك.

ولهذا أحسب أن ضرورة التفاصيل في هذه الأمور مهمة؛ لأنها تتعلق بالسيرة النبوية.

وقد عالج المؤلف القضايا الآتية:

المقدمة: (أسطورة محمد في الغرب) عشرة قرون من الادعاء الباطل والافتراء. (ص ص: ٥ - ٤٨).

الفصل الأول: صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق برؤاه للملأ الأعلى (ص ص: ٤٩ - ٦٨).

الفصل الثاني: حسّية الرسول المفترى عليها (ص ص: ٧١ - ٨٦).

الفصل الثالث: سياسة محمد تجاه خصومه (ص ص: ٨٩ - ١٤٦).

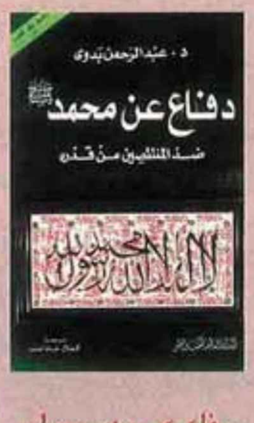
أ- محمد واليهود.

ب - محمد والمسيحية.

ج - سياسة محمد تجاه العرب.

الفصل الرابع: وفاء محمد بالعهود المعقودة (ص ص: ١٤٩ - ١٥٦).

الفصل الخامس: النظم الإسلامية والتأسيس



دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقصين من قدره
د. عبدالرحمن بدوي
ترجمة: كمال جاد الله
القاهرة: الدار العالمية للكتب والنشر

النهائي لها من الرسول (ص ص ١٥٩ ـ ١٩).

أ ـ الصلاة.

ب ـ الصيام.

ج ـ الحج،

د ـ الزكاة.

الفصل السادس: نقد الصحة التاريخية لرسائل الرسول وخطبه وأحاديثه.

في نظري أن أقوى فصول الكتاب هو المقدمة المطولة التي ناقش فيها المؤلف «أسطورة محمد في الغرب» فقد تتبع فيها بنجاح ملحوظ صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الأساطير الغربية منذ القرن الثامن للميلاد حتى القرن التاسع عشر تقريباً.

وقد حالفه الحظ في دحض الكثير من تلك الأساطير، ولو أنه أغفل أحياناً الرد على بعضها مثل: أسطورة محمد وراهب دير سيناء، وأسطورة محمد والراهب بحيرا في مكة. وهما أسطورتان بالغتا الخطورة، والسكوت عنهما كأنه اعتراف بصحتهما.

الوحي وتشكيك المستشرقين

في الفصل الأول تطرق المؤلف إلى مناقشة ظاهرة الوحي وتشكيك المستشرقين فيها، واتهامهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه مصاب بالهستيريا وبالصرع أحياناً، وقد بذل بدوي جهده في تفنيد مزاعمهم، وإثبات صحة ظاهرة الوحي، إلا أنه في ذروة حماسته للدفاع عن صحة الوحي الذي يتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم اضطر إلى إنكار بعض الظواهر التي تعتري النبي صلى الله عليه وسلم في ساعة التلقي فقال بالحرف الواحد: «.. وهؤلاء الناس يعتقدون بوجود ظواهر غير عادية في أثناء نزول الوحي تحت تأثير انتظار الوحي، وقد اعتقدوا بحدوث أشياء غير عادية، ولكن الأمر لا يعدو أن يكون عادياً وطبيعياً.. وأتباع رجل عظيم متحمسون له يعتبرون أن ما يرون من جانبه من أحداث بسيطة كأنها أحداث غير عادية، وهذا ما جعل الناس يتصورونها كذلك ـ ما هو غير العادي أو غير الطبيعي في أن ينضح العرق من جبين محمد في يوم بارد حين تعتريه أشجان قوية، وكمثال بسيط على ذلك نذكر حالة أنور السادات في الكنيسيت في القدس في نوفمبر ١٩٧٧م حيث كان جبينه يتصبب عرقاً...» (ص٦٤).

وبصرف النظر عن تشبيه حالة السادات أمام اليهود بحالة النبي صلى الله عليه وسلم عند تلقي الوحي من حيث تصبب العرق، وهي ـ بلا شك ـ مقارنة ظالمة!! فقد وقع بدوي نفسه في المحظور وهو يظن أنه يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم حين شكك في ما يسمعه ويشعر به الرسول صلى الله عليه وسلم في أثناء تلقي الوحي عندما قال: «حين يعتقد أنه يسمع من داخل صخباً مثل صلصلة الجرس وصوت محدث يهمس إليه بشيء ما!!».

وكان الأحرى بالمؤلف أن يعود إلى صحيح البخاري ويأخذ منه شهادة النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه عن حاله عند تلقي الوحي، وبذلك يعفي نفسه من مشقة الاجتهادات العقيمة. لقد جاء في باب بدء الوحي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشَدُّه عليَّ، فيفصمُ عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي المَلَكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. وقالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصمُ عنه وإن جبينه ليتفصّد عرقاً» انظر: صحيح البخاري (حديث:٢).

بهتان عظيم

وفي الفصل الثاني: حسيّة الرسول صلى الله عليه وسلم المفترى عليها، عرض الدكتور بدوي شبهات المستشرقين المتعلقة بكثرة زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وبذل جهداً واضحاً في نقض تلك الشبهات، ولكنه وقع في بعض الأخطاء، ففي حديثه عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ذكر أنها أنجبت له سبع بنات (ص:٧٧) بينما في موضع آخر (ص:٧٨) ذكر من ضمن أسباب زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من السيدة سودة بنت زمعة هو تربية بناته الأربع اللاتي تركتهن خديجة. وهذا العدد الأخير هو الصواب.

وفي (ص:٧٩) وردت بعض الأخطاء في أسماء بعض الأعلام ففي معرض حديث المؤلف عن أبي سلمة قال: كان أخاً في الرضاعة وقريباً للنبي صلى الله عليه وسلم لأن أمه «براح» هي بنت عبدالمطلب.

والصواب أن اسم والدة أبي سلمة «برة بنت عبدالمطلب»، وكذلك لما تطرق المؤلف إلى ذكر السيدة جويرية بنت الحارث زوج الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «كانت قبل ذلك زوجة قصاني من قبيلة بني المصطلق..» والصواب أن زوجها هو مسافع بن صفوان بن ذي الشفر الخزاعي. مات عنها كافراً يوم المريسيع. انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٤١/١.

وفي أثناء مناقشة المؤلفة لقصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة زينب بنت جحش، قال: «... ولذلك فقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بما يجب أن يقوله وهو أن هذا الزواج كان من المستحيل استمراره فطلب من زيد أن يطلق زينب، ولكي يُصلح خطأه في فرض هذا الزواج تزوج من زينب. وهذا كل ما في الموضوع»..!

سبحانك هذا بهتان عظيم، فقد جاء في أقوال بعض المفسرين أن زواج زينب من زيد كان إنفاذاً لمشيئة إلهية، لقوله تعالى: *ما كانَ لمُؤمنٍ ولا مُؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولُهُ أمرًا أنْ يكونَ لَهُمُ الخيَرَةُ من أمْرِهِمْ*. **الأحزاب**:٣٦.

والمدهش في الأمر أن المؤلف قد استشهد بهذه الآية وعقب على ذلك بقوله: «وقد وافقت (زينب) فقط من أجل تنفيذ رغبة النبي التي جاءت في شكل أمر إلهي في آية ٣٦ من سورة الأحزاب».

وواضح هنا أن منطق الدكتور بدوي لا يختلف كثيراً عن منطق بعض المستشرقين الذين يرون في الوحي مجرد منفذ لرغبات الرسول صلى الله عليه وسلم الحسية!.

أما أن الرسول صلى الله عليه وسلم يتزوج من زينب لكي يُصلح خطأه فهذا منطق لا يمكن قبوله من عالم كبير مثل عبدالرحمن بدوي الذي نذر كتابه هذا للدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم ضد المنتقصين من قدره حسب زعمه، إذ إن القارئ لا يجد فرقاً كبيراً بين ما ذهب إليه بدوي ووجهات نظر بعض المستشرقين.

ولو عاد بدوي إلى القرآن الكريم لوجد أن الأمر أيسر من ذلك، فالأمر ليس فيه تصحيح خطأ أو محاولة للتكفير عن ذنب، بل يتعلق بتشريع إلهي وهو إلغاء أمر التبني المعمول به منذ الجاهلية، إلى جانب أمور أخرى قد لا يعلمها الكثير منا. قال تعالى: *فلما قضى منها زيْدٌ وطرًا زوَّجْناكها لكي لا يكونَ على المؤمنينَ حرجٌ في أزواجِ أدْعيائهِم إذا قضَوْا منهنَّ وطرًا*. **الأحزاب**:٣٧.



عبد الرحمن بدوي

وجاء في (ص:٨٣) تحريف لبعض الأسماء فذكر مبعوث النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي يطلب منه تزويجه أم حبيبة وقال: إن اسمه عمر بن أمية الضَمريّ والصواب عمرو بن أمية الضَمريّ، وفي الموضع نفسه ذكر أن الزوج الثاني لصفية بنت حُيَيّ هو الشاعر اليهودي «خناعة» والصواب أنه الشاعر كنانة بن أبي الحُقَيق.

كما ذكر في الصفحة نفسها زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من فاطمة الكلابية بعد العودة من معركة الجعرانة. والصواب أن الجعرانة لم تكن ميدان معركة بل هي الموضع الذي حبس فيه النبي صلى الله عليه وسلم سبي هوازن في السنة الثامنة للهجرة بعد معركة حنين.

لا دليل

وفي الفصل الثالث ناقش المؤلف أصل يهود المدينة وعلاقتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، واستبعد أن يكونوا قد أتوا من فلسطين في عام (١٣٥م) ورجح أن

يكونوا من يهود العرب باليمن الذين فروا منها بعد احتلال الأحباش لبلادهم (ص٨٩).

ولم يقدم دليلاً على ما ذهب إليه، ولو رجع إلى ما كتبه موشيه جل عن أصل يهود المدينة لربما ساعده ذلك في تعرّف أصلهم.

Moshe Gil, "The Origin of the Jews of Yathrib" JSAI4, (1984) Pp. 203 - 224

وفي (ص:٩٠) ذكر المؤلف أن بعض اليهود دخلوا في الإسلام في أعقاب غزوة أحد أو في أثناء غزوة النبي صلى الله عليه وسلم لبني النَّضير وبني قُريظة. والحقيقة أن بعض اليهود دخلوا في الإسلام في أعقاب انتصار المسلمين في غزوة بدر، إذ قالوا: «هذا أمر قد توجه» أما في أعقاب غزوة أحد فقد أسفر النفاق عن وجهه القبيح، وأظهر اليهود شماتتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين. أما من أسلم من يهود في أثناء غزوتي النضير وقريظة فهم قلة ربما لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة.

وفي (ص:٩٥) أشار المؤلف إلى حنين بن محمد الحسن الديار بكري وذكر له كتابًا عنوانه: عبرات الخميس، والخطأ واضح ســـواء في اسم المؤلف أم عنوان الكتاب.

فأما المؤلف فهو: حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت: ٩٦٦هـ) وعنوان كتابه: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس.

أخطاء وتحريفات

وعندما ناقش المؤلف صحة صحيفة المدينة في (ص:٩٦) وهي الكتاب الذي كتبه الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار قال: إن ابن إسحاق هو المصدر الوحيد الذي نُقلت عنه بالتفصيل، وهو المصدر الذي نقل عنه المؤرخون من بعده. وفي الواقع أن هذا القول يفتقر إلى الدقة، فنص الكتاب برمته موجود لدى حميد بن زَنْجُويه (ت: ٢٥١هـ) في كتاب الأموال رواية عن أستاذ ابن إسحاق وهو الزهري (ت: ١٢٤هـ) انظر: الأموال، لابن زنجويه، ٤٦٦/٢ - ٤٧٠.

ولما تحدث المؤلف عن نقض بني قينقاع عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص:٩٧) نقل عن ابن إسحاق قوله: «حدثني عثيم بن عمر بن قتيبة أن بني قينقاع كانوا أول من نقضوا من اليهود ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم...»

ووجه الخلل هنا يكمن في السند إذ إن سلسلة السند التي ذكرها المؤلف تعرضت لتحريف شديد، فالذي جاء عند ابن إسحاق قوله: «وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة» انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٥١/٣.

منطق الدكتور بدوي لا يختلف كثيرًا عن منطق بعض المستشرقين الذين يرون في الوحي مجرد منفذ لرغبات الرسول صلى الله عليه وسلم الحسية!

وفي (ص:٩٨) أخطأ في رقم الآية ٥٥ من سورة المائدة حين قال: إن رقمها هو ٦٠ وأخطأ كذلك في ترقيم الآية ٥٦ من سورة المائدة حين أعطاها الرقم ٦١.

وهذه تجاوزات يجب عدم التهاون فيها خصوصًا إذا كان الأمر يتعلق بالقرآن الكريم. وجاء في (ص:٩٨) أيضًا الإشارة إلى قصة المرأة العربية في سوق بني قينقاع في معرض رد الدكتور بدوي على تشكيك كايتاني في صحة سند القصة، إذ تنسب إلى محمد بن كعب القرظي، وهذا خطأ بلا شك، والصحيح لدى بدوي أن سندها ينسب إلى أبي عوف.!

ومرة أخرى لم يحالف التوفيق المؤلف بدوي إذ إن سند هذه الرواية عند ابن هشام هو: عبدالله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عون. انظر: ابن هشام، ٥١/٣.

وفي (ص: ٩٩، ١٠١) يلاحظ بوضوح الخلط بين قبيلتي قينقاع وقريظة حيث يذكر قريظة وهو يريد في الواقع قينقاع.!

أما في (ص:١٠٠) فقد وقع تحريف في أسماء بعض الشخصيات اليهودية يصعب تفسيره فعندما أشار المؤلف إلى بعض منافقي بني قينقاع ذكر منهم

الأسماء الآتية:

سعد بن حسين، والنعمان بن عوف بن عمرو، وعثمان بن عوف، وسلسلة بن برهم، كنانة بن ثرية. وعند العودة إلى هذه الأسماء عند ابن إسحاق نجدها على النحو الآتي: سعد بن حنيف، ونعمان بن أوفى بن عمرو، وعثمان بن أوفى، وسلسلة بن برهام، وكنانة بن صوريا. انظر: ابن هشام ١٧٤/٢ ـ ١٧٥.

وذكر المؤلف أيضًا أن ابن إسحاق ذكر يهوديًا معروفًا بالنفاق اسمه زيد بن اللثيات، وهو الذي دخل في عراك مع عمر بن الخطاب في سوق بني قريظة. والصواب أنه زيد بن اللصيت، الذي قاتل عمر بن الخطاب بسوق بني قينقاع. انظر: ابن هشام، ١٧٤/٢.

وحينما تحدث المؤلف (ص:١٠٢) عن حصار النبي صلى الله عليه وسلم ليهود بني نضير، قال: «وهنا دب الخوف والفزع في نفوس بني النضير فحملوا أمتعتهم وما استطاعوا حمله على بعيرهم، وأخذوا يدمرون بيوتهم حتى يأخذوا أبوابها.. وهكذا رحل بنو النضير»، أما ما جاء عند ابن إسحاق بخصوص إجلاء بني النضير فهو مخالف لهذا، فقد تم الجلاء حسب اتفاق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن اسحاق: «وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة، ففعل...» انظر: ابن هشام، ٢٠١/٣.

وفي الموضع نفسه من (ص:١٠٢) حصل تحريف لأسماء بعض يهود بني النضير وكذلك أسماء بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكر المؤلف من يهود بني النضير سلام بن أبي الحقيقة (والصواب الحُقَيق) وكنانة بن أبي الربيع ابن الحقيقة، والصواب ابن الحُقَيق.

أما من ذكرهم من المسلمين فهم: سهل بن حنيفة، والصواب ابن حنيف، وأبو دُجانة سماك بن خراشه، والصواب ابن خَرَشَة، ويمين بن عُمير بن كعب، والصواب يامين بن عمر بن كعب.

ثم يستطرد المؤلف قائلاً (ص ص: ١٠٢ ـ ١٠٣) ويقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم عنَّفَ يمينًا، قائلاً: أرأيت ما كان يريد ابن عمك أن يفعله بي؟ وهنا عهد يمين إلى رجل بقتل عمر بن جحاش فقتله.

أما الذي قاله ابن إسحاق في هذا الأمر فهو مختلف بعض الشيء فقد قال: حدثني بعض آل يامين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمك، وما هَمَّ به من شأني؟ فجعل يامين بن عمير لرجل جُعلاً على أن يقتل له عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون.

لست أدري أين الشبه بين صورة عيسى عليه السلام في القرآن وهذه الطلاسم التي استشهد بها المؤلف، بل أين وجه المطابقة التي لاحظها الدكتور بدوي؟ إلا إذا اعتمد على إسرائيليات لم يذكرها

وهكذا فرواية ابن إسحاق تذكر يامين بن عمير، وليس يمين، وتذكر كذلك عمرو بن جحاش وليس عمر، وتشير أخيرًا إلى إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ليامين ابن عمر بما بيّت ابن عمه عمرو من نية الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن لم يكن هنا تعنيفًا ليامين مثل ما ذكر المؤلف.!

وفي سياق حديث المؤلف عن اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم مع يهود بني النضير في ديارهم وما جرى بينهم في شأن دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية خطأ، قال المؤلف: «شك النبي صلى الله عليه وسلم في أنهم ـ أي بني النضير ـ ربما يدبرون مؤامرة لقتله، وذلك بقذف حجر من فوق الحائط الذي يسند إليه ظهره...» (ص:١٠٦).

والواقع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتخذ قرار إجلاء بني النضير عن المدينة لمجرد شكوك ساورته في إخلاصهم، بل قرار إجلائهم كان بأمر إلهي لقوله تعالى: *هُوَ الذي أخرجَ الذينَ كفرُوا من أهلِ الكتابِ من ديارِهِمْ لأولِ الحَشْرِ*. **الحشر**:٢. ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن شاكًا في نواياهم من الغدر، بل

كان متيقنًا من ذلك فقد أجاب أصحابه لما سألوه عن سبب عودته مسرعًا إلى المدينة، بقوله: «همّت اليهود بالغدر بي، فأخبرني الله بذلك فقمت...» انظر: الواقدي، ٣٦٦/١، ووازن ابن هشام، ٢٠٠/٣.

ولما ذكر المؤلف معسكرات الأحزاب حول المدينة في السنة الخامسة للهجرة، قال: وكان معسكر القرشيين يقع في رماح في وادي الحقيق على بعد ميلين أو ثلاثة أميال من المدينة (ص١٠٨) وليس معروفًا لدى دارسي السيرة رماح أو وادي الحقيق اللذين ذكرهما المؤلف. أما ما جاء عند ابن إسحاق في هذا الأمر فهو قوله: «أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجُرُف وزُغابة...» ابن هشام: ٢٣٠/٣.

وفي مسير الرسول صلى الله عليه وسلم نحو بني قريظة. ذكر المؤلف (ص:١٠٩) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توقف ليستريح عند ماء أناس الذي يوجد أسفل حرة بني قريظة.

أما ابن إسحاق فقد ذكر أن البئر يقال لها: بئر أنا وصححها ابن هشام بقوله: بئر أُنَي. ابن هشام، ٢٤٥/٣. وهكذا فبئر أناس التي ذكرها بدوي ليست معروفة لدى مؤرخي السيرة.

وأشار المؤلف إلى المفاوضة التي جرت بين النبي صلى الله عليه وسلم ومندوب بني قريضة (ص:١١٠) وذكر أن اسمه نباسن بن قيس، والصواب نبّاش بن قيس. الواقدي، (٥٠١/٢)، وفي الموضع نفسه ساق المؤلف حديث أبي لبابة وما قيل عن خيانته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المؤلف: ظل يؤنب نفسه عليها - أي الخيانة - حتى سامحه النبي، والصواب أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسامحه بل قال: «أما إنه لو جاءني لاستغفرت له...».

ثم قال ابن إسحاق إنه توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله من السحر. والآية التي نزلت فيه قوله تعالى: *وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفورٌ رحيم*. التوبة:١٠٢. انظر: ابن هشام، ٢٤٨/٣ - ٢٤٩.

ولما تحدث المؤلف عن عقوبة بني قريظة (ص:١١١) قال لم يقتل أحد من النساء سوى واحدة لجريمة ارتكبتها لم يعرف ما هي. وأسند الخبر لابن هشام.

والخبر الذي ذكره ابن هشام أن جريمة المرأة هي أنها طرحت الرَّحا على خلاد بن سويد فقتلته. ابن هشام، ٢٥٣/٣.

وفي الموضع نفسه ذكر المؤلف أن سلامة بنت قيس عمة النبي صلى الله عليه وسلم أوصته أن يترك رفاعة بن صموئيل القرظي لأنها زعمت أنه يقيم الصلاة ويأكل لحم الإبل، أي إنه مسلم. والخبر على هذا الوجه يفتقر إلى الدقة، فالذي ذكره ابن إسحاق بهذا الخصوص هو: أن سلمى - وليست سلامة - بنت قيس أم المنذر وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم.. سألته رفاعة بن سموأل القرظي.. فقالت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، هب لي رفاعة فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل، قال: فوهبه لها، فاستحيته. ابن هشام، ٢٥٥/٣.

القول: إن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعر اهتمامًا لإسلام اليهود يتعارض مع طبيعة الدعوة إلى الله، ويتناقض مع أحداث السيرة التي تظهر بجلاء محاولات النبي الحثيثة من أجل دخول اليهود في الإسلام

وفي حديث المؤلف عن غزوة خيبر قال: إنها حدثت في شهر رمضان من السنة السابعة للهجرة (ص:١١٥) وهذا القول مخالف لما ورد عند ابن إسحاق وهو شهر محرم من السنة السابعة: (٣٤٢/٣) أو كما جاء عند الواقدي أن الغزوة كانت في صفر سنة ٧هـ أو أنه خرج لهلال ربيع الأول سنة سبع (٦٣٤/٢).

وذكر المؤلف أن النبي صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى خيبر استعمل على المدينة غيلة بن عبدالله الليثي. والصواب نُمَيلة وليس غيلة. ابن هشام، ٣٤٢/٣.

وفي أثناء حديث المؤلف عن حصون خيبر وقع تحريف لبعض أسمائها، مثل: القاموص والقوموصي، والصواب: القموص، والواطة والوطيم، والصواب: الوطيح، والكنيسة، والصواب: الكتيبة (ص ص: ١١٥ ـ ١١٨).

ولما تطرق المؤلف إلى ذهاب كعب بن الأشرف إلى مكة بعد معركة بدر قال: إنه أقام هناك عند المطلب بن أبي وداعة بن دبيرة السهمي (ص: ١١٨) والصواب هو ابن ضبيرة. وحصل لدى المؤلف تحريف لبعض أسماء من اشتركوا في قتل كعب بن الأشرف (ص ص: ١١٩ ـ ١٢٠)، فذكر منهم: أبا نائلة بن سلامة بن واقش، وعباد بن بشر بن واقش، وأبا عباس بن جابر.

والصواب في هذه الأسماء أن واقشًا هو وقش، أما أبو عباد بن جابر فهو أبو عبس بن جبر أحد بني حارثة. وقد أسقط المؤلف من أسماء من اشترك في قتل كعب بن محمد بن مسلمة من الأوس من بني عبد الأشهل حلفاء بني النضير، ابن هشام، ٥٨/٣.

وفي وداع النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الجماعة التي ذهبت لاغتيال كعب، ذكر المؤلف أن النبي صلى الله عليه وسلم تبعهم إلى «برق الغرقد» (ص: ١٢٠) والصواب هو بقيع الغرقد.

وفي (ص: ١٢١) أوقع المؤلف القارئ في شيء من الإرباك عندما قال: «وكما أورد الواقدي فإن قتل كعب بن الأشرف في ١٣ ـ ١٤ ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة (٣ ـ ٤ ديسمبر ٦٢٤م) وهذا التاريخ لا يتفق فقط مع ما أورده الواقدي كتاريخ لغزوة أبي عمار في ١٢ ـ ١٣ ربيع الأول، وهي الغزوة التي شارك فيها النبي بنفسه».

في الحقيقة إنه يصعب على الباحث المدقق الجمع بين هذين الحدثين اللذين ذكرهما بدوي ولا سيما أنه لا يوجد عن غزوة أبي عمار هذه أي إشارة في مصادر السيرة النبوية! ويظهر أن المؤلف يقصد غزوة ذي أمر إلى نجد التي حدثت في أواخر ذي الحجة ولكن ما العلاقة بين الخبرين؟. راجع ابن هشام، ٤٩/٣.

وعندما ذكر المؤلف بعض من اشترك في قتل أبي رافع بن أبي الحُقَيق تعرضت أسماؤهم لشيء من التحريف مثل: الأسود بن الخزاعي، والصواب أنه: خزاعي بن أسود، وعبدالله بن عاتك، والصواب عبدالله بن عتيك.

ولما ناقش المؤلف موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المسيحية في ضوء القرآن (ص: ١٢٧) قال: أما عن بيت عيسى (كذا) فإن القرآن يعرفه بهذه الألفاظ: *وإذْ قالَ عيسى بنُ مَرْيَمَ يا بني إسرائيل إني رسولُ الله إليكم مصدقًا لما بين يديَّ من التَّوراة*. **الصف**:٦.

وقع بدوي نفسه في المحظور وهو يظن أنه يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم حين شكك في ما يسمعه ويشعر به الرسول صلى الله عليه وسلم في أثناء تلقي الوحي

وكما يلاحظ القارئ ليس في هذه الآية أية إشارة إلى بيت عيسى.!

وفي معرض حديث المؤلف عن الطبيعة الإنسانية لنبي الله عيسى عليه السلام يقتبس قول أحد رجال الديانة النصرانية القدامى، إذ قال: «إن يسوع لم يكن إلا بشرًا ولد من عذراء وقد عاش حياة دينية أكثر من قرنائه، ومنذ تعميده في الأردن دخل في شكل يمامة، ومنحه القوى التي كان يحتاجها» (ص: ١٤٠).

ثم يعلق بدوي على هذا القول، بقوله: «وهذا المفهوم قريب من المفهوم القرآني لعيسى إن لم يكن مطابقًا له». ولست أدري أين الشبه بين صورة عيسى عليه السلام في القرآن وهذه الطلاسم التي استشهد بها المؤلف. بل أين وجه المطابقة التي لاحظها الدكتور بدوي؟ إلا إذا اعتمد على إسرائيليات لم يذكرها.

خلل منهجي

وفي فقرة (ج) بعنوان: سياسة محمد تجاه العرب (ص ص: ١٤٤ ـ ١٤٦) يلاحظ القارئ خللاً منهجيًا في المعالجة فالمؤلف الذي خصص ثلاث صفحات لمناقشة سياسة النبي صلى الله عليه وسلم تجاه العرب

اختصر هذا كله في سبعة أسطر أما جل الحديث فقد انصرف إلى اليهود!

وحتى هذا الحديث الذي اقتصر جله على اليهود في المدينة لم يخلُ من بعض المغالطات، فقد قال المؤلف في (ص: ١٤٥): إن محمداً لم يول اهتماماً لإسلام اليهود، معللاً ذلك بالأسباب الآتية:

أن عدد اليهود في المدينة وما حولها لم يتجاوز الألفين! وأنه عدد لا يؤبه له، كما أنهم من أخطر ما يمكن! ومن الناحية العسكرية حسب رأي بدوي لم يكن ليهود المدينة أهمية، وأخيراً لم يكن اليهود عرباً حقيقيين.

ولا شك أن مناقشة هذه الحجج التي أدلى بها بدوي تستغرق وقتاً وجهداً ولذلك يكفي الإيجاز.

أما عن عدد اليهود في المدينة فليس في مصادر السيرة ما ينبئ عن عدتهم على وجه الدقة، ولكن إذا كان القادرون على حمل السلاح من بني قينقاع سبعمئة وإذا كان بنو النضير عندما رحلوا من المدينة عدد الرجال منهم ألفاً وثمانمئة تقريباً، وأن عدد من قتل من بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة كان نحو الألف حسب زعم بعض المصادر، فإن العدد الإجمالي للمقاتلين من يهود المدينة من رجال القبائل الثلاث فقط ربما بلغ أربعة آلاف مقاتل. ولذلك فهم قوة عسكرية يحسب لها حسابها.

أما أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعر اهتماماً لإسلام اليهود فهذا القول يتعارض مع طبيعة الدعوة إلى الله، ويتناقض مع أحداث السيرة التي تظهر بجلاء محاولات النبي الحثيثة من أجل دخول اليهود في الإسلام.

وأما قول المؤلف: إن يهود المدينة لم يكونوا عرباً حقيقيين فهذا يناقض ما قاله في (ص:٨٩) عندما ذكر بصورة حاسمة أن يهود المدينة أصلهم من عرب اليمن.

وفي الفصل الرابع: (وفاء محمد بالعهود المعقودة) (ص ص: ١٤٩ ـ ١٥٦). استشهد المؤلف بوفاء النبي صلى الله عليه وسلم لقريش في صلحه معهم، أي صلح الحديبية، ودلل على ذلك ببعض الأمثلة مثل حال أبي بصير الذي هرب من مكة إلى المدينة ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم رده إلى قومه، والملاحظ أن اسم أبي بصير قد تعرض لشيء من التحريف فهو حسب ما جاء عند المؤلف: عتبة بن أسيد بن جر، والصواب: ابن جارية. وكذلك وقع التحريف في اسم الأخنس بن شريق الذي ذكره المؤلف باسم: الأخس وفي (ص:١٥٢) ذكر المؤلف إطراء النبي لأبي بصير وشجاعته فقال إنه قال: ويل أمه محسن حرب لو كان معه رجال، والصواب محش حرب، وليس محسن حرب، ابن هشام، ٣٣٨/٣.

> في حديث المؤلف عن السعي بين الصفا والمروة ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح في أثناء عمرته الأضحية في المروة، والمعروف أنه ليس في العمرة أضحية بل هدي

كذلك في (ص:١٥٤) حدث تحريف لبعض الأسماء مثل: مقيس بن ضبابة والصواب صُبابة، وغيلة بن عبدالله والصواب: نميلة بن عبدالله.

ضعف واضح

أما الفصل الخامس فخصصه المؤلف للحديث عن «النظم الإسلامية والتأسيس النهائي لها من الرسول»، ثم ناقش تحت هذا العنوان: الصلاة والصيام والحج والزكاة، وواضح أن هذه مسميات للعبادات الإسلامية أو الشعائر الإسلامية وليست النظم، وقد تدارك المؤلف هذا الخطأ في (ص:١٥٩) حيث تحدث عن هذه العبادات تحت مسمى الشعائر الإسلامية. وفي (ص: ١٦١) ذكر المؤلف اسم موفد بني سعد بن بكر وقال: إن اسمه ديمام بن ثعلبة والصواب: ضمام بن ثعلبة. وحصل كذلك تحريف لأسماء بعض الأماكن (ص:١٧٣) مثل: جورش وطابالة والصواب: جُرش وتبالة.

وفي حديث المؤلف عن السعي بين الصفا والمروة ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح في أثناء

عمرته الأضحية في المروة (ص:١٧٥) والمعروف أنه ليس في العمرة أضحية بل هدي.

وعلى الإجمال فإن الفصل الخامس من الكتاب فيه ضعف واضح ويطول بنا الحديث لو نوقشت كل قضية من قضاياه؛ وذلك راجع في المقام الأول إلى عدم إلمام المؤلف الإلمام التام بفقه العبادات الإسلامية.

أما الفصل الأخير من فصول الكتاب فكان لمناقشة الصحة التاريخية لرسائل الرسول صلى الله عليه وسلم وخطبه وأحاديثه، وكان من الممكن أن يكون أداء المؤلف فيه أفضل، ولكنه لم يكن كذلك، ولم يسلم أيضاً من تحريف بعض الأسماء والوقوع في بعض الأخطاء مثل: مسيلمة بن حاطب (ص:١٩٥) والصواب: مسيلمة بن حبيب وكذلك ثمامة بن أثال وهوزة بن علي الخفقين ملكي اليمامة (ص: ١٩٦) والصواب: ثمامة بن أثال وهوزة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة. وفي (ص:١٩٧) ذكر المؤلف أن حميد الله أخذ نص الرسائل عن «عمرو بن حزم أخذها عن أبي جعفر الديعولي (القرن الثالث الهجري) والتي ذيل بها كتابه عن ابن طولون (ت: ٩٥٣هـ)...» هذا النص فيه اضطراب وتناقض وربما تحريف في بعض الأسماء! وليس من السهل فهم المقصود منه.

وفي سياق رد المؤلف على بول Bahl في إنكاره أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد فكر في دعوة ملوك العالم إلى الإسلام قبل السنة الثامنة من الهجرة أي قبل فتح مكة (ص:٢٠٠) قال: «لكن هذه الحجة قائمة على افتراض خاطئ، وهو أن هذه الرسائل قد بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة، بينما لم يذكر أي مصدر هذا الافتراض كما أن أي مصدر لم يحدد تاريخ هذه الرسائل...» (ص:٢٠٠).

وهذا القول ينقضه ما ورد في مصادر السيرة النبوية من أنه في نهاية شهر ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة أو في المحرم من السنة السابعة خرج رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام. انظر: ابن سعد، ٢٥٨/١ ـ ٢٩٠، والبلاذري، ٥٣١/١، والطبري، ٦٤٤/٢ ـ ٦٥٦.

ثم تحدث المؤلف في (ص:٢٠٠) عن تجهيز النبي صلى الله عليه وسلم لسرية أسامة ابن زيد إلى الشام، وقال: إن تجهيزها استمر من رمضان إلى صفر سنة ١١هـ، وهذا ـ كما هو واضح ـ قول تنقصه الدقة فتجهيز الحملة بدأ في صفر وشيء من ربيع الأول في سنة ١١هـ، انظر: الواقدي، ١١١٧/٣ ـ ١١٢٥.

ومجمل القول أن فكرة الكتاب هادفة جداً، وفي غاية الأهمية، فيما يتعلق بدراسات السيرة النبوية خاصة وأن الكتاب في الأصل مكتوب بلغة أوربية أحسبها اللغة الفرنسية، فيما أظن، ولو أن المترجم لم يشر إلى ذلك، فالكتاب ـ والحال كذلك ـ دعوة مفتوحة إلى تصحيح مفاهيم الغرب عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام. وأحسب أنه لا يزال أمام الدكتور متسع من الوقت لإعادة النظر في الكتاب في طبعته الثانية لتدارك أوجه القصور التي أثيرت في هذه العجالة لتتم الاستفادة من هذا الجهد الطيب. وكم أتمنى أن يتدارك إهماله للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من المواطن!

هذا ما أسعف به الوقت، وأدى إليه الاجتهاد، والله أعلم بالصواب.

وللأمانة العلمية فإنني لم أتمكن من العودة إلى المصادر التي عول عليها المؤلف وهي: سيرة سيدنا محمد طبعة فستنفيلد Wustenfeld، ولا كتاب المغازي للواقدي طبعة فلهاوزن Welhausen كذلك مختصرة ـ ولكن رجعت إلى المصادر الموضحة أدناه وهي طبعات أحدث.

المراجع

- البخاري ـ صحيح البخاري.
- البلاذري ـ أنساب الأشراف
- ابن سعد ـ كتاب الطبقات.
- الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك.
- ابن هشام ـ السيرة النبوية
- الواقدي ـ المغازي.

ابن مقلة
شيخ الخطاطين وإمامهم
في الأداء والرخاء والبلاء

عمران الكبيسي
الحديدة ـ اليمن

لقد عني المسلمون بتجويد الخط، وتحسين الكتابة، وتعلم القراءة. كيف لا وقد وسم وحيهم المنزل: بالقرآن والكتاب نسبة إلى القراءة والكتابة كما يذكر المفسرون. وبـ «اقرأ» افتتح تنزيل الوحي على رسولهم صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: *اقرأ باسم ربِّك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم.* **العلق:١ـ ٥. وأقسم تبارك وتعالى بالحرف والقلم والكتاب:** *ن والقلم وما يسطرون.* **القلم: ١. وقال:** *والطور وكتاب مسطور في رَقٍّ منشور.* **الطور: ١ ـ ٣. وقد وصف الله الملائكة بقوله:** *كرامًا كاتبين.* **الانفطار:١. فمن الغريب إذن ألاَّ يتحملوا الجهد والمشقة في سبيل تعلم الكتابة وتجويدها. فلولا الكتابة ما عرفنا القراءة.**

وكان الشيخ محمد بن علي الشهير بابن مقلة من أوائل الذين تعهدوا الخط بالعناية والرعاية، فوضع له القواعد والأصول تنظيراً وتطبيقًا، وترك لنا كتاباً وسمه بـ «جمل الخط» ضمنه توصياته وتعاليمه في صناعة المداد، وبري القلم، وطريقة إمساكه باليد، وشكل الحروف. وترك لنا نسختين من القرآن الكريم بخط يده الجميل الرائع، نقلت إحداهما إلى الأندلس آنذاك، واستقرت بجامع العدبس بأشبيلية، ونقلت الثانية إلى فارس واستقرت بشيراز، حيث ظفر ابن البواب بنسختها في خزانة بهاء الدولة، وكانت ناقصة فأتمها بحذق يخفى على المدققين.

ومن المفارقات السارة المؤلمة أن يؤهله جمال خطه وحسن توقيعاته لكرسي الوزارة ثلاث مرات على عهد كل من الخلفاء: المقتدر، والقاهر، والراضي. في ثلاث فترات منقطعة كان فيها موضع ثقة، وصاحب حظوة، وحينما قلبت له الأيام ظهر المجن قطعت يمينه كيداً، وألقيت في نهر دجلة زيادة في التنكيل، وإمعانًا في النيل منه انتقامًا

وإذلالاً.

حتى إذا أجاد الكتابة بيسراه، وصار يشد القلم على يمينه، ويكتب كما كان، عمدوا إلى قطع لسانه، ومنع عنه الخبز حتى مات. يروي عنه طبيبه ابن قرّة: أنه كان ينوح على نفسه في السجن، ويبكي على يده قائلاً: «يد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة خلفاء. وكتبت بها القرآن دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص». ويتمثل بقول الشاعر:

إذا مــا مــات بعــضك فــابكِ بعــضــا
فــبــعضُ الشيء مـن بعضٍ قــريبُ

إمام الخطاطين في الأداء

يعد ابن مقلة صاحب مدرسة في الخط، له أسلوب متفرد حاكاه الكثيرون، وساروا على منواله، منهم أحمد بن

قطعت يمينه كيداً، وألقيت في نهر دجلة زيادة في التنكيل، حتى إذا أجاد الكتابة بيسراه، وصار يشد القلم على يمينه، ويكتب كما كان، عمدوا إلى قطع لسانه، ومنع عنه الخبز حتى مات

الحسين الغضاري، وابن ناهوج الحسن بن علي الإسكافي البغدادي، ويوسف بن إبراهيم القفطي، وابن كمونة الإسرائيلي، وكان هذا يقلد ويزوّر خط ابن مقلة. وقد ذكر الثعالبي أن خط ابن مقلة كان مضرب المثل، فهو أحسن خطوط الدنيا، وما رأى الراؤون، بل ما روى الراوون مثله في ارتفاعه عن الوصف، وجريه مجرى السحر، ويورد بيتاً للصاحب ابن عباد يمتدح فيه خط ابن مقلة قائلاً:

خـط الـوزيـر ابـن مــقلـه
بســتــان قـلـب ومــقلـه

ويقول عنه ياقوت الحموي في معجمه: «كان الوزير أوحد الدنيا في كتبه، قلم الرقاع والتوقيعات، لا ينازعه في ذلك منازع، ولا يسمو إلى مساماته ذو فضل بارع» وضمن القلقشندي نصوصاً كثيرة من آثاره في كتابه «صبح الأعشى في صناعة الإنشا»

وابن مقلة تفرد بالدرج، وهندس الحروف، وأجاد تحريرها على منهج قطر الدائرة، وما يبنى عليها من أقواس الحروف الأبجدية، وعدّ الألف الأساس الهندسي (القطر) في ضبط شكل الحروف وحجمها. وأطلق على الخط الموزون الخط المنسوب، وسمى قلم النسخ البديع، وكان أول من وضع قواعد دقيقة في ابتداءات الحروف وانتهاءاتها. وكتب عن أجناس الأقلام، وأنواع الخطوط وتطورها في زمن الدولتين الأموية والعباسية. وترك لنا طريقة رصينة وجديدة للقياس بالنقط. وجعل الألف الكوفي مستقيماً بعد أن كان منحنياً من الرأس باتجاه اليمين.

ومن رسالة ابن مقلة في الخط والقلم التي حققها هلال ناجي ضمن كتابه عن ابن مقلة خطاطاً وأديباً وإنساناً، نستل قوله في صناعة المداد:

«أجود المداد ما اتخذ من سخام النفط بأن يؤخذ منه ثلاثة أرطال فيجاد نخله وتصفيته، ويلقى في طنجير ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله، ومن العسل رطل واحد، ومن الملح وزن خمسة عشر درهماً، ومن العفص وزن عشرة دراهم، ومن الصمغ العربي قدر خمسة عشر درهماً، ولايزال يساط على نار لينة حتى يثخن جرمه، ويصير في هيئة الطين، ثم يترك في إناء، ويستعمل عند الحاجة بقدر ما يكتفي منه»، وحدد صفات الأقلام الجيدة بقوله: «خير الأقلام ما استحكم نضجه في جرمه، ونشف ماؤه في قشرة، وقطع بعد إلقاء بزره، واصفر لحاؤه، ورق شجره، وصلب شحمه، وثقل حجمه، وكان طوله ما بين ستة عشر إصبعاً إلى اثني عشر إصبعاً، وامتلأ ما بين غلظ الخنصر إلى غلظ السبابة» ويحبذ أن تكون الأقلام في الدواة بعدد ما يكتب الكاتب من صنوف الخط، ويفضل العدد الفرد، وهي ما بين خمسة إلى تسعة. وأن تكون جاهزة للاستعمال في الحال والأوان.

ويصنف طرائق بري الأقلام وهي: الفتح، والنحت، والشقّ، والقطّ، ويقول: «إذا قطعت القلم فلا تقطّه إلا على مقط أملس صلب، غير مثلم ولا خشن لئلا يتشظى القلم. واستحدّ السكين حداً، ولتكن ماضية جداً فإنها إذا كانت كالّة جاء الخط رديئاً مضطرباً. وتضجع السكين قليلاً إذا عزمت على القط، ولا تنصبها نُصباً».

وفي باب إمساك القلم ووضعه على الدرج يقول: «يجب أن تكون أطراف الأصابع الثلاثة، الوسطى والسبابة والإبهام على القلم، ويكون إمساك القلم فويق الفتحة بمقدار شعرتين أو ثلاث، وتكون أطراف الأصابع متساويات حول القلم، لا يفصل أحدهما عن الآخر، ويجب أن يوضع على الدرج موضع القط منكبًا».

لقد ترك ابن مقلة لنا أشياء في الخط والقلم لم يسبق لأحد أن وافانا بها. يروي أبو حيان التوحيدي نقلاً عن ابن عبدالله الكاتب قوله لمن سأل عن خط ابن مقلة «ذلك نبي فيه أفرغ الخط في يده كما أوحي إلى النمل في تسديس بيوته»، وقال الزجال الأندلسي أبو بكر بن قزمان:

وعهدي بالشباب وحسن قدي
حكى ألِفَ ابن مقلة في الكتاب
فصرت اليوم منحنيًا كأني
أفتش في التراب على شبابي

وكان آخر ما نقل عنه قول ابنه: إن أباه كان يراسله من السجن بعد أن قطعت يده بخط يسراه فيأتي خطه أحسن من كل خط، لا يكاد يفرّق مفرق بينه وبين خطه باليمنى. وكان يشدّ قلمًا على يمناه ويكتب خطًا لا يشك في أنه خطه القديم.

ولكن هذه الملكة والبراعة الماهرة لم تمنع مَنْ حصد الرؤوس أن يحصد يدًا حباها الله الموهبة وحسن الأداء. فيستبدل العقاب بآخر. وكان قطع يد ابن مقلة مقصودًا في تعويقه وألاّ يصلح لشيء بعدها.

إمام الخطاطين في الرخاء

ولد ابن مقلة في بغداد لعشرين خلت من شوال سنة ٢٧٢هـ في أسرة موسرة، ومقلة لقب اشتهرت به أم لقومها كان أبوها يرقصها مرددًا يا مقلة أبيها. وكنى بأبي علي: واسمه محمد بن علي. ورث عن أسرته الشهرة وصنعة الخط، فيذكر ابن النديم أنه رأى مصحفًا بخط الجدّ مقلة. وتلمذ أبو علي لأساتذة كبار منهم، ثعلب صاحب كتاب الفصيح، وابن دريد صاحب كتاب الجمهرة، وإسحاق بن إبراهيم الأحول. وارتبط بزوجة واحدة كانت ثرية موسرة تدعى الدينارية. وكانت معروفة بثرائها، وقد دفعت عنه ذات يوم غرامة بلغت مليوني درهم ذهبًا حينما أقيل من الوزارة فضرب واعتقل حتى دفع الغرامة. وحينما توفي في سجنه سنة ٣٢٨هـ جاهرت بطلب جثمانه وفاءً ودفنته في داره على شاطئ دجلة. وولدت له أربعة أبناء، جميعهم انشغلوا بمهنة الخط في رئاسة الدواوين أو لدى الوزراء.

كان ابن مقلة على صلة بالتجار والقادة والأثرياء، وكانوا يمدونه بالمال في كل مرة يستوزر فيها ليسدد جزءًا من نفقات بيت المال ورواتب الجند. واستوزر أول مرة وهو في الرابعة والأربعين من عمره.

وكانت داره على شاطئ دجلة في الجانب الشرقي من بغداد (الرصافة) بناها بجانب بستانه الزاهر حيث اقتطع عشرين جريبًا من أصل مئتين مساحة البستان، وأسس عليها بيته الذي أنفق في بنائه مئتي ألف دينار ذهبًا. وأنشأ قربه حديقة خاصة جمع فيها طيورًا من القماري والدراسي والشحارير والببغاء والنوبيات والحجل والبط وأصنافًا أخرى كثيرة. ومن خلفها كان يربي الأيّل والغزلان والنعام والحمر الوحشية. وزاوج بين الأصناف فولدت له أصنافًا هجينة، وكتب على باب قصره:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت
ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررتَ بها
وحين تصفو الليالي يحدث الكدر

كان شاعرًا فقد ديوانه، ولم يصل إلينا، وهو محب للشعر جمع منه مختارات، وكان ظريفًا كريمًا مع مرؤوسيه، ومن شدة حبه للوجاهة والشهرة والمواقع العليا جلب لنفسه النكبات والبلاء

وكان شاعرًا فقد ديوانه، ولم يصل إلينا، وهو محب للشعر جمع منه مختارات، وكان ظريفًا كريمًا مع مرؤوسيه. ومن شدة حبه للوجاهة والشهرة والمواقع العليا جلب لنفسه النكبات والبلاء؛ لأنه كان يشارك في نسج المؤامرات والأحداث والوقائع التي تدبر للخلفاء والوزراء. شديد الإقدام على الأمور الكبيرة. وكان مآلفًا للمنجمين

يستشيرهم، ويأخذ بأقوالهم في كل ما ينويه. وكان محباً للأنس والطرب فيروى عنه أنه كان يشرب بعد صلاة الجمعة، ويصطبح يوم السبت. ونقل عنه حين استوزر أول مرة أنه كان يشتري فاكهة بخمسمئة دينار كل يوم جمعة. ومن أقواله: «أمهات لذات الدنيا أربع: لذة الطعام، ولذة الشراب، ولذة النكاح، ولذة السماع. واللذات الثلاث لا يوصل إلى كل واحدة منها إلا بحركة وتعب ومشقة، ولها مضار إذا استكثر منها، ولذة السماع قلت أو كثرت صافية من التعب».

وكان له ذوق فني يقول: «يعجبني من يقول الشعر تأدباً لا تكسباً، ويتعاطى الغناء تطرباً لا تطلباً»، ومما قال شعراً، وينبئ بشدة طموحه وتطلعه الدائم إلى المراتب العالية والنعم الوافية قوله:

وإذا رأيتُ فتىً بأعلى رتبة
في شامخ من عزة المترفع
قالت لي النفسُ العروف بقدرها
ما كان أولاني بهذا الموضع

كان أول من وضع قواعد دقيقة في ابتداءات الحروف وانتهاءاتها، وكتب عن أجناس الأقلام، وأنواع الخطوط وتطورها في زمن الدولتين الأموية والعباسية، وترك لنا طريقة رصينة وجديدة للقياس بالنقط

ووصف حاله قائلاً عن نفسه: «إذا أحببت تهالكتُ، وإذا أبغضت أهلكتُ، وإذا رضيتُ آثرتُ. وإذا غضبتُ أثرتُ». ولكن حياته لم تصف من الكدر خاصة بعد أن أرجفت له نفسه بالوزارة وعمره آنذاك أربع وعشرون سنة. وأنه ذات يوم نُصح من أحد خواصه بالابتعاد عنها فأجابه: بلغني عن معاوية، وهو ممن لا يُدفع عن علم بالدنيا أنه قال: «من طلب عظيماً خاطر بعظيم»، فقال له الشيخ: استودع الله الوزير. وبالفعل لم تستقر حاله على وتيرة واحدة منذ ذلك الحين حتى وافاه الأجل مكنوباً.

إمام الخطاطين في البلاء

كان الضعف قد دبّ في الخلافة العباسية، وتوالت عليها الأزمات، وانشغل الخلفاء باللهو والملذات، واتسع الخرق باتساع نفوذ الأمراء من غير العرب، وأصبحت سطوتهم على الخلافة نافذة، فكثرت المؤامرات، وكان القادة والأمراء يسعون إلى قتل الخليفة بعد سمل عينيه أو احتجازه أو تنحيته وتولية الصبية ليتحكموا بالبلاد عن طريقهم، فساد طابع الشك والريب والعداوة لتآمر المتنفذين بعضهم على بعض.

وكانت لابن مقلة قدرات خارقة في التدبير والدهاء من أجل الوصول إلى غايته وتطلعاته في الوزارة وموضع الصدارة. وكان يحسن الاستتار والتخفي عن أعين الخلفاء والأمراء والوزراء أيام المحن. وحينما يطلب بسوء حتى يتعذر الوصول إليه والاهتداء إلى إقامته. فقد جرّب هذا مرات في حياته. فبعد أن صعد نجمه، ولمع في وزارة ابن الفرات أيام الخليفة المقتدر بالله سنة (٢٩٦هـ)، وصار له شأن بعد توكيله على ديوان الخاتم والفص وصل فيها راتبه الشهري إلى ألف دينار، فأصاب مالاً كثيراً. وحين عزل ابن الفرات، وتولى بعده محمد الخاقاني الوزارة استتر ابن مقلة وتخفى من سنة (٢٩٩هـ) حتى (٣٠١هـ) حين تولى علي بن عيسى الوزارة فأمّنه على أن يلزم بيته. ولما عاد ابن الفرات إلى الوزارة ثانية سنة (٣٠٤هـ) أحسن إلى صديقه القديم وأكرمه، وولاه كتابة ديوان السيدة أم الخليفة المقتدر، التي كان لها شأن في الحل والربط.. ثم ساءت بينهما العلاقة بوشاية من نصر صاحب الخليفة، فلما أُقيل ابن الفرات ثانية، وجاء بعده حامد بن العباس اشتدت الخصومة بين الأصدقاء حتى إذا وزر ابن الفرات ثالثة قبض على ابن مقلة، وسجنه، وألزمه بغرامة ثمانين ألف دينار معجلة، دفعتها زوجته الدينارية ونفاه إلى شيراز سنة (٣١١هـ)، وتجرع ابن مقلة المكاره في سجنه ومنفاه إلى أن قتل ابن الفرات.

استوزر ابن مقلة للمقتدر سنة (٣١٦هـ)، واستمر في الوزارة حتى سنة (٣١٨هـ)، حينما أمر الخليفة بعزله وإحراق داره لعلاقته المريبة مع مؤنس المظفر، وصودرت

أمواله على مئتي ألف دينار معجلة، ونفي إلى شيراز تحت الاعتقال إلى أن قتل مؤنس المظفر الخليفة المقتدر بعد دخول أعوانه بغداد. فتولى القاهر بالله الخلافة وحمل ابن مقلة من المعتقل في المنفى إلى الوزارة ثانية سنة (٣٢٠هـ) فنكل بأعدائه وخصومه.

وكان القاهر شديد المراس ذرب اللسان سفاكًا، فتآمر عليه ابن مقلة مع صديقه مؤنس المظفر أمير السلطنة لتولية المكتفي بالله خليفة بدله. ولكن المؤامرة أخفقت، وقُتل مؤنس ومساعدوه، واستتر ابن مقلة، وأحرقت داره ثانية مع دار ابنه سنة (٣٢٢هـ). وظل مختفيًا يتآمر على القاهر، ويجتمع بأعوانه متنكرًا في زي امرأة أو مُكْدٍ أو أعمى، وكان يرشي المنجمين ليوحي إلى سليمى مقدم حرس القاهر ان قتله سيكون على يد الخليفة. وذات مرة دس إليه معبر أحلام ليوغر قلب رئيس الحرس على الخليفة. وكان يجتمع بقادة الجيش ليلاً. يروي عن نفسه أنه كان مستترًا لدى ابن ماري فإذا الشارع يمتلئ بالحراس والمشاعل بعد منتصف الليل، وعلم أنه مطلوب لحرس الخليفة فاختبأ في بيت التبن، ودخل الجند البيت، وفتشوا بأيديهم فلم يعثروا عليه. وكان قد عاهد الله إن نجاه لينزعن عن ذنوب كثيرة، وإن تقلد الوزارة ليعفون عن المدينين، ويطلق ضياع المنكوبين، ويؤمِّن المستترين، ويجري وقفًا للطالبين. وبعد شهرين قتل القاهر وتولى الخلافة الراضي، وعرض ابن مقلة على سليمى خمسمئة ألف دينار للخليفة يسدد فيها نفقات الجند فاستوزره الراضي عام (٣٢٢هـ) للمرة الثالثة فوفى بعهده ووعده. أراد ابن مقلة التخلص من عدوه ابن رائق الأمير الذي بسط نفوذه على واسط والبصرة بتدبير مكيدة له لم تنجح فقبض عليه متلبسًا بخطة محكمة، وأعفي من الوزارة، وضرب بالمقارع، ووضعوا عليه ألف ألف دينار، وأحرقت داره ثالثة ودور أعوانه وأقربائه. وسجن ثم خفف عن الضيم بوساطة، ولكنه لم يتب وعاود السعي في مكائده. استرضى الخليفة من مخبئه وكاتبه محذرًا من ابن رائق ومستعينًا بصديقه



أثر ابن مقلة في الخطاطين الذين أتوا بعده

أمير الموصل التركي بجكم، عارضاً على الخليفة العون مع صديقه للتخلص من ابن رائق، والخليفة صامت لا يجيب. ثم اكتشف الخليفة الراضي مؤامرة لاغتياله في رحلة صيد لتنصيب المنتصر بدلاً منه خليفة، ولكنه نجا بمساعدة حرسه وأوقع بصاحبها. وظن أن لابن مقلة يداً فيها فأضمر له الكيد بقطع يده أو قتله. وقيل في قطع يد ابن مقلة، كانت له جارية هويت يهودياً، فأغراها بسرقة درج خط لابن مقلة، واجتهد اليهودي في محاكاته وتقليده حتى أجاده، فزور على ابن مقلة رسالة إلى بلاد الكفر تتضمن بعض أسرار الدولة، ودبر إيصالها إلى الخليفة الذي استدعى ابن مقلة ليلة العيد واستقبله بأتم أبهته، ثم أنزله وقطع يده وأعيد إلى داره ذليلاً. وفي اليوم التالي انكشف السر فقتل الخليفة اليهودي والجارية، وطيب خاطر ابن مقلة. ولكن هلال ناجي يكذب هذه الرواية، ويرى أن الخليفة الراضي بعد اكتشاف مؤامرة اغتياله صار يخدع ابن مقلة ويمنّيه بالوزارة رابعة، حتى ظهر من مخبئه، وزار الخليفة ليلاً فقبض عليه، واستدعى أعداء ابن مقلة الذين طلبوا من الخليفة قتله. وبعد التشاور استدعوا الفقهاء والقضاة واستقر الأمر على محاكمته غيابياً. تليت على القضاة صحائف أعمال ابن مقلة دون أن يذكر اسمه أو يظهر لهم. فأفتى الفقهاء والقضاة بما ورد بالآية الكريمة: *إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض.* **المائدة:٣٣**. فاستقر الرأي على قطع يده لكي لا يصلح بعدها لشيء فقطعت أمام جمع من أعدائه، وألقيت في دجلة، ووضع مكانها السرجين، وأودع السجن. ولكن الخليفة رق لحاله، وأرسل له طبيباً وطعاماً حتى استرد صحته. وكان ابن مقلة ينشد لطبيبه قائلا:

ما سئمت الحياة لكن توثقـ
ـت بأيمانهم فبانت يميني
بعت ديني لهم بدنياي حتى
حرموني دنياهم بعد ديني
ولقد حطت ما استطعت بجهدي
حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش
يا حياتي بانت يميني فبيني

أراد الخليفة بعد حين أن يطيب خاطر ابن مقلة شفقة عليه أو خدعة (الله أعلم)، فصار ينادمه سراً، ويستشيره، ويستنصحه على الرغم من تحذيره من ابن مقلة، وأنه يروم الانتقام من الخليفة الذي قطع يده إذا سنحت له الفرصة. وهو ينكر أن ابن مقلة يصلح لشيء أو يطمع بالوزارة بعد قطع يده. فأرد اختباره، وأسر له من يدس له أن الخليفة يروم توليته الوزارة، فصارت عين ابن مقلة تتطلع إليها على الرغم مما أصابه. ولما خدعه الخليفة، ومنّاه، وعرض عليه المنصب خدعة كتب له باليسرى، وشد قلماً على يمينه وكتب كما لو لم تقطع. فتوثق الخليفة من مطامعه، واستراب من تطلعاته، فأمر بقطع لسانه، وأودع زريبة ليس فيها إلا بئر وحصيرة.

روى عنه من كان ينظر إليه من شق الباب، أنه كان يستسقي الماء بجر الحبل بيده اليسرى بعد أن يمسكه بفمه للشرب والوضوء، ثم قطع عنه الخبز حتى فارق الحياة، ولم يتجاوز العقد الخامس من العمر. بعد أن ذاق البلاء العظيم.

قال في مأساة ابن مقلة صديقه أبو بكر الصولي:

لئن قطعوا يمنى يديه لخوفهم
لأقلامه لا للسيوف الصوارم
فما قطعوا رأياً إذا ما أجاله
رأيت المنايا في اللحى والغلاصم

وقيل في رثاء ابن مقلة:

استشعر الكتاب فقدك سالفا
وقضت بصحة ذلك الأيام
فلذاك سوّدت الدويّ كآبة
أسفاً عليك وشقّت الأقلام

حقاً لقد كان ابن مقلة متفرداً في أدائه ورخائه وبلائه، وحالة متميزة تصلح أن تكون مثالاً للمفارقة تجمع بين العطاء والإبداع، والتعلق بالحياة طمعاً بمزيد من الوجاهة، حتى جنى عليه طموحه شر جناية، وعدّ عبرة وذكراً لا ينسى.

المراجع

١. ابن مقلة خطاطاً وأديباً وإنساناً، هلال ناجي. بغداد ١٩٩١م.
٢. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي. القاهرة.
٣. معجم الأدباء، ياقوت الحموي. مصر ١٩٢٣م.





ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم

الدور السعودي في الحفاظ
على التراث المخطوط

اختتام فعاليات معرض (أبو ظبي)
الدولي للكتاب

مقاومة إسرائيل إلكترونيًا، والكتّاب
العالميون: الأمن يمر عبر الحق

ندوة دولية عن الطهطاوي،
وإعلان ٢٠٠٢م عام ناظم حكمت

وفاة الأديبين السعوديين حسين عرب،
وأبي تراب الظاهري



خاتمة المطاف

قضايا
في المصطلح
العربي

ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم


الأمير مقرن بن عبدالعزيز

رعى صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز - أمير منطقة المدينة المنورة في العاشر من صفر الماضي في فندق المدينة شيراتون - ندوة «ترجمة معاني القرآن الكريم - تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل» التي نظمتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ممثلة بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، وذلك بهدف الاطلاع على ما يبذل من جهود في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم في مختلف أنحاء العالم، والبحث عن وسائل لتطوير ترجمة معانيه وتحسينها، والرقي بها إلى الأفضل، وإيجاد تعارف بين العاملين في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم، وتوطيد الروابط بين مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة والهيئات والشخصيات المعنية بترجمة معاني القرآن الكريم.

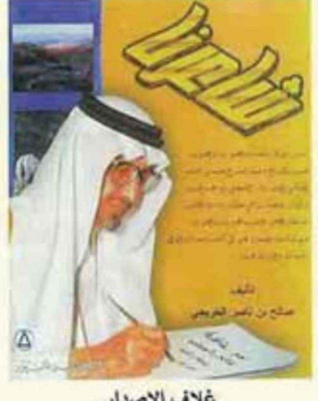
وجاءت الندوة تحت عدة محاور: المحور العام، والمحور العقدي والشرعي، والمحور اللغوي، والمحور التاريخي، والمحور الدعوي، وتضمن كل محور مجموعة من البحوث.

وقد شارك في الندوة التي استمرت ثلاثة أيام، صفوة من القائمين بترجمة معاني القرآن الكريم من مختلف أرجاء العالم، وناقشت الندوة ثلاثة وستين بحثاً عبر ١٦ جلسة علمية، وقد بثت فعاليات الندوة على شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت» من خلال برنامج «البال توك».

و صاحب الندوة معرض شارك فيه عدد من المؤسسات التعليمية والمكتبات الحكومية والأهلية، وقد ضم عدداً من الأجنحة، منها جناح خاص بمعروضات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وجناح ثان لمعروضات مكتبة الملك عبدالعزيز في المدينة المنورة، وجناح ثالث لمعروضات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، وغير ذلك من الأجنحة.

شاعرنا

«شاعرنا» هو عنوان القرص المدمج CD الذي أصدره مؤخراً الأستاذ صالح الخريجي، والذي يوثّق بالكلمة والصورة مسيرة الإبداع، وحياة الأمير الشاعر خالد الفيصل بن عبدالعزيز: بداياته، وشخصيات في حياته، وأستاذه الكبير، وصديقه الخاص، وأشعاره بالصوت والصورة، ويتيح القرص إمكانية البحث عن أي كلمة، ومعرفة أقوال الملوك والرؤساء عنه.


غلاف الإصدار

وقد وضع على مغلف الإصدار نبذة من كلمة الدكتور محمود الربداوي أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود سابقاً التي تصدرت الكتاب الذي أصدره المؤلف بالعنوان ذاته. ومما جاء فيها: «أعجبني صنيع الأخ الأستاذ صالح الخريجي في هذا الكتاب لأنه جمع فأوعى، فجاء كتابه هذا صورة صادقة لحقبة من التاريخ الفني للأمير خالد.. فكتاب «شاعرنا» يظل نقطة مضيئة في تاريخ الفن العربي المعاصر في أخريات القرن العشرين، لواحد من كوكبة عشاق الكلمة الجميلة والصورة الرشيقة، ومثل هذا الصنيع جدير بأن يحتذى خدمة للأدب في الجزيرة العربية خاصة وللنقد العربي عامة».

الجدير بالذكر أن عنوان الكتاب والقرص المدمج مقتبس من لفظة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز كان قد أطلقها على الأمير الشاعر خالد الفيصل في مناسبة سابقة.

حفل وداع للبيطار

أقام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية حفل وداع للأستاذ عاصم البيطار الذي قضى أكثر من ثماني سنوات عضواً في هيئة تحرير «الفيصل» ورئيساً لقسم التدقيق اللغوي، وإلى جانب مجلة الفيصل كان يقوم بالتدقيق اللغوي لإصدارات دار الفيصل الثقافية، ولكثير من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. وقد ألقى الأمين العام للمركز ورئيس تحرير «الفيصل» الدكتور يحيى محمود بن جنيد كلمة في هذه المناسبة أشاد فيها بالأستاذ عاصم البيطار، ودوره في الارتقاء بمجلة «الفيصل» من خلال اهتمامه بصفاء اللغة ودقة التصحيح، حتى أصبحت المجلة مثالاً يحتذى في الدقة وتجنب الأخطاء الشائعة. وسرد الأمين العام جزءاً من سيرة البيطار ومشوار عمله في المملكة العربية السعودية منذ قدومه مع والده إبّان توليه إدارة مدرسة دار التوحيد.

وألقى الزميل الشاعر الأستاذ محسن الخرابة قصيدة شعرية عبر فيها عن أصدق المشاعر التي يحملها الزملاء في المجلة والمركز للأستاذ عاصم البيطار، ونظم الزميل الأستاذ جمال بكر زجلاً بالمعاني نفسها.

وقدم الأستاذ البيطار شكره إلى إدارة المركز والمجلة ولزملائه لما لقيه من احتفاء في يوم الوداع وطوال الفترة التي عمل فيها بالمجلة.

وأشار إلى ارتباطه الشديد بالمملكة العربية السعودية منذ أن جاء إليها وعمره ٤٥ يوماً، ثم أقام فيها في فترات مختلفة من عمره ، وتمنى البيطار أن تدوم الروح الأخوية التي تسود بين العاملين.

وفي ختام الحفل سلم الأمين العام الهدايا التذكارية من المركز ومن الزملاء في المجلة إلى الأستاذ البيطار، ومن بينها تذكار على ورق بردي يحمل توقيع العاملين في مجلة الفيصل.

وجاء من قصيدة الأستاذ محسن الخرابة:

أزف الرحيل فكلنا مكمودُ
والحزن من مضض الفراق شديدُ
ولقد رأيتك بحر علم نافع
ولكل ألوان العلوم تُجيدُ
سيظل يخفق حبُكم في قلبنا
فالقلب في حب الكرام سعيدُ

والأستاذ عاصم البيطار من مواليد دمشق ١٩٢٧م، وهو حاصل على إجازة في اللغة العربية من جامعة دمشق، ودبلوم في التربية، وعمل مدرساً بدار التوحيد، وفي المدارس الثانوية بدمشق، ومفتشاً للغة العربية في قطر، وأستاذاً للنحو والصرف في جامعة دمشق وكلية اللغة العربية في الرياض، وفي كلية الآداب بجامعة الملك سعود قبل أن ينتقل إلى العمل في مجلة الفيصل.

عاصم البيطار

ومن مؤلفاته:

«النحو والصرف»: كتاب جامعي يدرس في جامعتي دمشق وحمص، و«أضواء على شرح ابن عقيل» (٣ أجزاء)، و«التسهيل»، و«الدليل»، و«المنهج الجديد» كتب مدرسية للمرحلة الثانوية، و«فهارس شرح المفصل لابن يعيش»، و«موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للقاسمي - تقديم وتحقيق»، و«الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين في شرح الأربعين العجلونية في الحديث للقاسمي - تقديم وتحقيق»، وله دراسات مختلفة منشورة، وحضر بعض المؤتمرات العلمية ومن بينها دورة النحو والصرف التي عقدت في دمشق في عام ١٩٩٤م، وتم تكريمه فيها مع الأستاذ سعيد الأفغاني والدكتور مازن المبارك.

رحيل الشاعر السعودي حسين عرب

انتقل إلى رحمة الله في السادس عشر من شهر صفر الماضي الأديب الشاعر والوزير السابق حسين عرب عن عمر يناهز ٨٥ عاماً، وصلي عليه في المسجد الحرام، ووري جثمانه في مقبرة المعلا في مكة المكرمة.

ولد الشاعر الراحل في شعب عامر بمكة المكرمة سنة ١٣٣٨هـ، وكان أجداده قد نزحوا من اليمن إلى

بلاد السند، ثم إلى الحجاز في القرن الحادي عشر الهجري، ودرس في مدرسة الفلاح، ثم المعهد العلمي في مكة المكرمة، وعمل بعد تخرجه محرراً في شركة الطبع والنشر سنة ١٣٥٧هـ، ثم مارس التحرير مدة ثلاث سنوات في صحيفة «صوت الحجاز»، وتولى مسؤولية التحرير مدة أربع سنوات، ثم عمل مديراً لإدارة السيارات الحكومية مدة أربع سنوات، وانتقل في سنة ١٣٦٥هـ إلى العمل في ديوان نائب جلالة الملك، وتدرج فيه حتى أصبح مدير شعبة الشؤون الخارجية والمالية، والتحق بالعمل بعد ذلك في وزارة الداخلية عند إنشائها، وتدرج في مناصبها إلى أن وصل إلى منصب المدير العام للوزارة، وعُين في سنة ١٣٨١هـ وزيراً للحج والأوقاف، وبقي في هذا المنصب مدة عامين حتى استقال سنة ١٣٨٣هـ لأسباب صحية.


حسين عرب

وكان الشاعر الراحل حريصاً منذ نعومة أظفاره على الاطلاع، فانكب على الكتب - ولاسيما كتب التراث، وامتد شغفه إلى أدباء العصر الحديث وشعرائه كالبارودي، وشوقي، وحافظ إبراهيم، والمنفلوطي، وطه حسين، وغيرهم.

وكان يراسل مجلة الرسالة المصرية، ونشر فيها عدداً من المقالات والقصائد، وكانت له صلات قوية مع عدد من رموز الأدب العربي من أمثال: د. طه حسين، والعقاد، وأنور الجندي، وعمر أبو ريشة، والتقى بعدد منهم، وكان يقضي شهرين - مدة العطلة الصيفية - في مكتبة الحرم المكي الشريف ينهل من معينها العذب.

ومن أعماله الأدبية المطبوعة مجموعته الشعرية الكاملة التي صدرت في جزأين سنة ١٤٠٦هـ، وقد قدم لها الناقد الدكتور عبدالله الغذامي، وكتب عن شعره الكثير من الدراسات والأبحاث، وترجمت قصائده إلى عدد من اللغات، منها: الألمانية والإنجليزية. وهنالك عدة عوامل نفسية أثرت بصورة كبيرة في شاعريته، منها وفاة والدته وهو طفل، ثم وفاة زوجته الأولى، وانفصاله عن زوجته الثانية، ثم وفاة ابنته الأولى (راوية)، ومرض ابنيه الكبيرين (فيصل وهاني)، ووفاة هاني، مما ولد حزناً عميقاً في نفسه انعكس على شعره فأصبح مملوءاً بالأحزان والآلام.

وكان الاتجاه الإسلامي بارزاً في شعر عرب، فتغنى بفضائل الإسلام على البشرية، والشكوى من حال الأمة الإسلامية وضعفها وتفككها، كما تغنى بالقومية واستنهاض الهمم وتنبيه النفوس الغافلة، وكتب عن الوطن، وأشاد برجاله، وله عدد من الأناشيد الوطنية التي يرددها النشء في المدارس والاحتفالات.

وحصل الشاعر الراحل على عدد من الجوائز الثقافية والأدبية المحلية والعربية، فمنح وسام قادة دول مجلس التعاون الخليجي في أثناء المؤتمر العاشر الذي عقد في مسقط عام ١٩٨٩م، ونال وسام جمهورية مصر العربية للعلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٩٢م، والميدالية الذهبية لافتتاح مجلس الشورى، ودرع نادي مكة المكرمة الثقافي الأدبي، ودرع الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ودرع نادي الفروسية بمكة المكرمة، ودرع نادي الوحدة، وكان آخر ما حصل عليه من الجوائز وسام الملك عبدالعزيز في حفل المهرجان الوطني للتراث والثقافة «الجنادرية» الذي نظمه الحرس الوطني عام ١٤١٧هـ، وآخر إبداعاته الشعرية قصيدة «الروابي» التي ألقاها بمناسبة افتتاح حفل تكريم الأمير عبدالله الفيصل الذي نظمته دار سعاد الصباح في مدينة أبها يوم ٢٩أغسطس/تشرين الأول ٢٠٠١م.

المسابقة الخامسة لجمعية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

أعلنت جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمصر عن المسابقة العلمية الخامسة لعام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، وتشمل مستويين من الأعمار:

الأول لمن هم في سن ٢٥ سنة فأكثر، وموضوعه «الماء في القرآن والسنة والعلوم الحديثة»، وتبلغ قيمة الجائزة ٢٠٠٠ جنيه للفائز الأول، و١٥٠٠ للفائز الثاني، و١٠٠٠ جنيه للفائز الثالث.

وخصص المستوى الثاني لمن هم أقل من ٢٥ سنة،

وموضوعه: «عالم الحيوان في آيات القرآن(ما عدا الحشرات)»، وتبلغ قيمة الجائزة ١٥٠٠ جنيه للفائز الأول، و١٠٠٠ جنيه للفائز الثاني، و ٧٥٠ جنيه للفائز الثالث.

وتشترط المسابقة أن يكون حجم البحث الأول بين ٤٠ و٦٠ صفحة فلوسكاب مع موجز للبحث من ٣ إلى ٥ صفحات، وعدد ٣ نسخ لكل من البحث والنموذج.

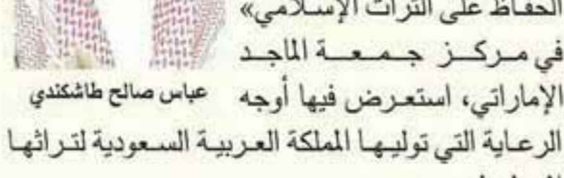
أما المستوى الثاني فيكون حجم البحث من ١٥ إلى ٢٠ صفحة فلوسكاب مع موجز للبحث من ١ إلى ٢، وعدد ٣ نسخ لكل من البحث والموجز، وتسلم البحوث إلى مقر اللجنة الثقافية بالجمعية على العنوان الآتي:

٢١ ب شارع جعفر - مدينة التعاون - الهرم - الجيزة

هاتف وناسوخ: ٧٤٤٠٧٠٣

ويتم استقبال البحوث في الفترة من ٢٠٠٢/١/١م إلى ٢٠٠٢/٨/٣١م.

الدور السعودي في الحفاظ على التراث المخطوط


عباس صالح طاشكندي

ألقى الدكتور عباس صالح طاشكندي عميد المكتبات في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة مؤخراً محاضرة بعنوان: «دور المملكة العربية السعودية في الحفاظ على التراث الإسلامي» في مركز جمعة الماجد الإماراتي، استعرض فيها أوجه الرعاية التي توليها المملكة العربية السعودية لتراثها المخطوط.

وقال طاشكندي: «إن ما تشهده السعودية اليوم من نظم الرعاية للتراث المخطوط يعد سباقاً فريداً وعملاً لا يتوفر في البلدان العربية الأخرى».

وتناول المحاضر «نظام حماية التراث المخطوط» الذي جاء داعماً لدور المكتبة الوطنية بوصفها الهيئة المركزية التي عليها تسجيل المخطوطات، واقتناء مصوراتها، وحمايتها من عمليات التسريب خارج البلاد، وتناول بالتفصيل مواد هذا النظام.

واستعرض المحاضر كذلك جهود المكتبات السعودية في جمع التراث الوطني المخطوط، كما تطرق إلى دور الجامعات السعودية ومراكز البحث قبل قيام المكتبة الوطنية، وركز المحاضر في الدور الرائد الذي تؤديه المكتبات الوقفية في رعاية التراث المخطوط، وهي منتشرة في سائر أنحاء المملكة.

وعدّد الدكتور طاشكندي المراكز المتخصصة المهتمة بالتراث الوطني الإسلامي والتي يعد بعضها هيئات ذات شخصية اعتبارية، وتأتي في مقدمة تلك الهيئات دارة الملك عبدالعزيز في الرياض، ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية التابع لمؤسسة الملك فيصل الخيرية. ويمتاز مركز الملك فيصل بميزة جليلة، إضافة إلى المهام الأخرى التي يشارك فيها بقية الهيئات، تتمثل هذه الميزة بصيانة المخطوطات وترميمها من خلال معمل علمي مجهز بأحدث التجهيزات الآلية والبشرية، ويؤدي المركز هذه المهمة في جميع أنحاء المملكة.

وتعرض المحاضر إلى المجموعات التراثية التي يمتلكها الأفراد، وتحدث عن الرعاية التي توفرها الحكومة السعودية لهذه المجموعات من خلال نظام حماية التراث المخطوط.

علم التعمية (الشفرة) وكسرها في التراث العربي


محمد مراياتي

نظم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في مساء يوم الاثنين ٩صفر الماضي محاضرة بعنوان: «علم التعمية (الشفرة) وكسرها في التراث العربي» ألقاها الدكتور محمد مراياتي، المستشار الإقليمي في العلم والتكنولوجيا بمنظمة الأمم المتحدة. وتلقي المحاضرة الضوء على المدرسة العربية في علوم التعمية التي تعرف في هذا العصر بعلم الشفرة والكتابة السرية بوصفها مدرسة أصيلة عربية المولد والمنشأ وضع أساسها العالم الكندي، وتبعه علماء عرب ومسلمون

أصّلوا هذه العلوم وشكلوا مدرسة علمية مستمرة العطاء.

وتناول المحاضر بالتفصيل أهم المؤلفات التي وضعها العلماء العرب والمسلمون في هذه العلوم، والوسائل التي استخدموها، وارتباط هذه العلوم بالمجالات العلمية الأخرى، ولا سيما العلوم الرياضية، وأهم المخطوطات التي تبيّن ريادة العرب والمسلمين في هذا الميدان.

وتأتي هذه المحاضرة في إطار سعي المركز إلى إبراز إسهامات المفكرين والعلماء العرب والمسلمين في إغناء الحضارة الإنسانية، وما قدمته الحضارة الإسلامية في ميادين الحياة المختلفة، كما يأتي اختيار علوم التعمية موضوعاً لهذه المحاضرة لما لها من أهمية واضحة في المجالات المعلوماتية والإنترنت والتجارة الالكترونية والتداولات المالية، وفي مجالات الأمن والدفاع والبث التلفازي وغيرها.

وسوف تقوم المجلة بنشر نص المحاضرة في أحد الأعداد القادمة تعميماً للفائدة.

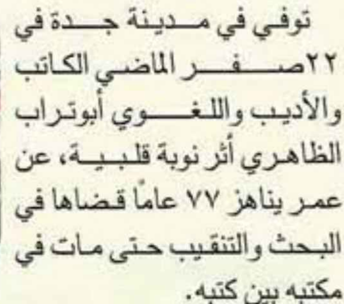
إهداء مخطوطات محلية للمكتبة الوطنية

أهدى الدكتور سعد بن عبدالحميد - الأستاذ بجامعة الملك سعود - مكتبة الملك فهد الوطنية مؤخراً مجموعة قيمة من المخطوطات المحلية التي ألفها ونسخها بعض العلماء والمشايخ في المملكة العربية السعودية على فترات مختلفة تتجاوز مئة عام، ومن أهمها كتب ورسائل في أصول الإيمان وفضل الإسلام، ورسائل لعلماء نجد، وتقريرات من كلام الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في علم الفرائض، ورسالة من محمد بن عبداللطيف، وصالح بن عبدالعزيز إلى الملك عبدالعزيز في شأن التسعير في الصرف، ورسالة من الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري إلى إخوانه المسلمين، ورسائل من الشيخ ابن باز، ومنظومة في حساب النجوم لحمد بن عبدالله القاضي سنة ١٢٨٤هـ. وجزء من قصيدة راشد الخلاوي في النجوم، والعقيدة الواسطية ومتن الورقات، ومجموعة رسائل ومسائل متبادلة لعلماء الدعوة مثل: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وصالح بن سالم، وحمد بن ناصر المعمر، وعبدالله البابطين، وعبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، وعبدالله بن عبدالعزيز العنقري، وسعد بن عتيق، وابن سحمان، وصالح الشثري؛ إلى جانب مخطوطة كاملة لكتاب الفقه والناسخ والمنسوخ من الأحكام، وكتاب التهذيب والتجريد لشرح كتاب التوحيد تأليف عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما تضم المخطوطات مقتطفات لابن تيمية، وابن القيم، وابن رجب.

رحيل أبي تراب الظاهري



أبو تراب الظاهري



توفي في مدينة جدة في ٢٢صفر الماضي الكاتب والأديب واللغوي أبوتراب الظاهري أثر نوبة قلبية، عن عمر يناهز ٧٧ عاماً قضاها في البحث والتنقيب حتى مات في مكتبه بين كتبه.

ولد الكاتب الراحل، واسمه الحقيقي عبدالجميل عبدالحق الهاشمي، في بلاد السند في باكستان سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م، وتلقى علومه الأولية على يد والده، ثم هاجر مع والده إلى مكة المكرمة ودرس فيها على يد مشايخ الحرمين الشريفين، ثم أكمل دراسته في الهند ومصر حتى نال ماجستير اللغة العربية ودكتوراه الشريعة الإسلامية من جامعة الأزهر.

عمل الفقيد بالتدريس في المسجد الحرام، وعمل مفهرساً في مكتبة الحرم الشريف، ثم مدرساً في المدارس الثانوية بمكة المكرمة، ثم رئيساً للمصححين في صحيفة البلاد، وتولى إدارة النشرة التي كانت تصدر من المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر، كما شغل وظيفة مراقب للمطبوعات بوزارة الإعلام، ومراقب لغوي وديني لبرامج الإذاعة السعودية، كما أعدّ وقدّم مجموعة من البرامج للإذاعة.

من مؤلفاته:

«سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم» ١٤٠٤هـ،

و«قيد الصيد»، و «كبوات اليراع» ١٤٠٢هـ، و«الموزون والمخزون» ١٤٠٢هـ، و«لجام الأقلام»١٤٠٢هـ، و«أوهام الكتاب»١٤٠٢هـ، و«شواهد القرآن»١٤٠٤هـ، و«التحقيقات المعدة بحتمية ضم ميم جدة» بالاشتراك مع آخرين ١٣٨٥هـ، و«الأثر المقتفي لقصة هجرة المصطفى» ١٤٠٥هـ، و«ذهول العقول في وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم» ١٤٠٤هـ، و«وفود الإسلام» ١٤٠٤هـ، و«أصحاب الصُفّة» ١٤٠٤هـ، و«صفة الحجة النبوية» ١٤٠٤هـ.

جائزة الملك عبدالله الأول ابن الحسين العالمية

أعلنت مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي عن تخصيص جائزة الملك عبدالله الأول ابن الحسين العالمية لدورة هذا العام ٢٠٠٢م، للمؤسسات غير الحكومية، وموضوعها: خدمة التراث العربي الإسلامي، تأليفًا، وتحقيقًا، ونشرًا.

وطلبت مؤسسة آل البيت من المؤسسات غير الحكومية التي ترغب في التقدم لهذه الجائزة، تزويدها بمعلومات وافية عنها، تتضمن تاريخ تأسيسها، وأهدافها، وأسماء المشرفين عليها، وقائمة منشوراتها، ونسخة من هذه المنشورات، وذلك في موعد أقصاه ٢٠٠٢/٥/٢٥م، على أن ترسل الطلبات على العنوان الآتي:

مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي
ص.ب (٩٥٠٣٦١) عمّان (١١١٩٥)
المملكة الأردنية الهاشمية

نشاطات دار الكتب المصرية

ضمن نشاط مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية المصرية صدر عن الدار مؤخرًا كتاب «عنقود الزواهر في الصرف» وهو تحقيق لمخطوط علاء الدين علي محمد القوشجي قام بدراسته وتحقيقه الدكتور أحمد عفيفي أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم.

ويعد هذا الكتاب من أهم كتب اللغة العربية من حيث الربط بين موضوعات العروض والاشتقاق والصرف، كما يقدم الكتاب الطريق الصحيح للبحث في مفردات اللغة العربية.

من ناحية أخرى، أصدر مركز تاريخ مصر المعاصر بالهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية المصرية كتاب محاضر مجلس شورى النواب في الفترة من عام ١٨٦٦م حتى عام ١٨٦٩م خلال فترة حكم الخديوي إسماعيل.

وتتمثل أهمية هذه المحاضر التي قامت بدراستها الدكتورة سعيدة محمد حسني، وحققها عبدالرازق عيسى، بكونها تعد اللبنة الأولى للديمقراطية أو المشاركة الشعبية في النظام السياسي في مصر بكل سماتها السلبية والإيجابية، كما أنها تعد فرصة طيبة لمعرفة مسيرة الديمقراطية ودراستها في مصر في العصر الحديث.

وتلقت الدار أيضًا هدية من المؤرخ المعروف الدكتور يونان لبيب رزق، وهي الأوراق الأصلية الخاصة بواصف غالي باشا، وزير الخارجية المصري الأسبق، والتي تؤرخ للأحداث السياسية في مصر منذ عام ١٩٢١م حتى عام ١٩٤٦م، وتشمل الأوراق المهداة ٢٩ ملفًا خاصًا بمشروعات المعاهدات المصرية الإنجليزية، وأهمها مفاوضات سعد ـ ملنر، والنحاس ـ هندرسون، ومباحثات عبدالخالق ثروت وسير أوستن تشمبرلين، كما تضم الأوراق وثائق انضمام مصر لعصبة الأمم المتحدة.

وكان الدكتور يونان قد احتفظ بهذه الأوراق التي أهداها له ميريت واصف حفيد واصف غالي باشا ـ مدة خمسة عشر عامًا قبل أن يقوم بإهدائها مؤخرًا للدار خوفًا عليها من الضياع، ولتكون تحت تصرف الباحثين في تاريخ مصر في هذه الفترة.

معرض أبو ظبي الدولي في دورته الثانية عشرة

اختتم معرض أبو ظبي الدولي الثاني عشر للكتاب أعماله مؤخرًا، وقد ضم ما يزيد على أربعمئة جناح احتوت على نحو ٢٥٠ ألف عنوان من بينها ١٨ ألف

إصدار عربي، منها إصدارات تقنية فيما يعرف بالكتاب المرئي والمسموع.

وأكثر ما ميز معرض هذا العام وزاد من فرصة نجاحه هو مرونة الرقابة مما سمح بوجود كتب كثيرة، سبق أن منعت في معارض عربية سابقة. وقد قوبل هذا الإجراء بارتياح شديد من معظم دور النشر العربية التي شاركت في المعرض، والتي بلغ عددها ٥٧٤ داراً للنشر.

وشهدت الدورة كذلك حضور عدد كبير من المؤلفين والمترجمين الذين حضروا حفلات توقيع إصداراتهم، منهم السوري ممدوح عدوان الذي وقع ترجمة جديدة لـ «إلياذة هوميروس»، والمصري أحمد منصور الذي وقع كتابه «جيهان السادات شاهدة على عصر السادات»، والموسيقي مارسيل خليفة الذي وقع إصداره الموسيقي الجديد «أندلسيات».

وكانت فلسطين حاضرة في كل فعاليات المعرض، وتحوّل شعار المعرض «خير جليس في الزمان كتاب» إلى شعار «فلسطين في القلب»، وشهدت الكتب التي تناولت الانتفاضة إقبالاً منقطع النظير، كما صاحب المعرض حملة للتبرع بالدم، بالإضافة إلى الفعاليات الأخرى، كالمسابقات الثقافية، والقراءات القصصية والبوسترات والأمسيات الشعرية التي شارك فيها عدد من الشعراء منهم: ممدوح عدوان، وحبيب الصايغ، وأمجد ناصر، وكريم معتوق، وأحمد الشهاوي، وغيرهم.

آثار سودانية مهددة بالغرق

يقوم علماء آثار سودانيون بمعاونة وحدة فرنسية بجهود مكثفة وعاجلة في محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من آثار سودانية قديمة مهددة بالفناء في غضون ستة أعوام.

وتعود القضية إلى نية الحكومة السودانية إنشاء سد مائي هو سد مروي على أحد منحنيات النيل بشمال السودان، والذي سيبدأ العمل فيه في نهاية العام الحالي، ويستمر مدة ست سنوات.



آثار سودانية

وتقع الآثار المعرضة للدمار في منطقتي (الملتقى) و(الحماداب) بشمال السودان، واللتين تمتدان (١٧٠) كيلو متراً وتضمان ٤٥ موقعاً أثرياً من ضمنها موقع سكني من العصر المسيحي، وآخر مما قبل التاريخ، وثالث به مقابر ورسومات صخرية، وتعود آثار هذه المواقع إلى العصرين الحجريين القديم والحديث.

وتدرس إدارة المتاحف السودانية حالياً إمكانية إنشاء متحف في منطقة (الملتقى) لحفظ آثار هذه المواقع وعرضها.

بهاء طاهر يهاجم الإعلام الأمريكي



بهاء طاهر

استغل الروائي المصري بهاء طاهر الاحتفالية التي أقامها قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ودعا إليها الكتّاب والمثقفين والإعلاميين، للتنديد بالممارسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية.

وكان قسم النشر بالجامعة قد دعا إلى هذه الاحتفالية بمناسبة توقيع ترجمتين صدرتا عنه لروايتي «الحب في المنفى» للروائي بهاء طاهر، و«اللجنة» للروائي صنع الله إبراهيم، وقد غاب صنع الله عن هذه الاحتفالية بحجة ما يحدث في الأراضي الفلسطينية، بينما استغل طاهر هذه المناسبة لتوجيه انتقادات شديدة للإعلام الأمريكي الذي «أساء المفاهيم حول ما يحدث في منطقة الشرق الأوسط».

وقال طاهر في كلمة ألقاها باللغة الإنجليزية خلال احتفالية أخرى أقيمت في إحدى المكتبات الخاصة بالقاهرة: إن روايته «الحب في المنفى» اتخذت من بيروت إبان الاجتياح الإسرائيلي في عام ١٩٨٢م مسرحا للأحداث، وإنه ظن أن «مثل هذا الأمر لن يتكرر»، وقال طاهر: «لقد سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من مرة، وزرت مدنها الكبيرة وقراها الصغيرة، وفي ظني أن أناسها طيبون، لكن لسوء الحظ لا أستطيع أن أقول الشيء نفسه عن الإدارة الأمريكية»، وأعرب طاهر عن دهشته من مساواة الذين يقاومون الاحتلال مع المتعصبين الذين نفذوا هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، وقال طاهر: «المتعصبون لا يمثلون إلا أنفسهم».

واستشهد بهاء بكلمات الأديب البرتغالي خوسيه سارامـاجو الذي وصف ما رآه حين زار رام الله بأنه «صورة مما كان يحدث في معسكرات النازية»، وقال بهاء: إن الطفل الذي كان يبحث في الركام عن كتبه ولعبه حين زار خوسيه رام الله قبل الاجتياح هو الآن « يبحث بين الرماد عن جثة والده الذي لا يستطيع أن يدفنه بعد أن منع عنه ذووه، وأوقفت دونه عربات الإسعاف».

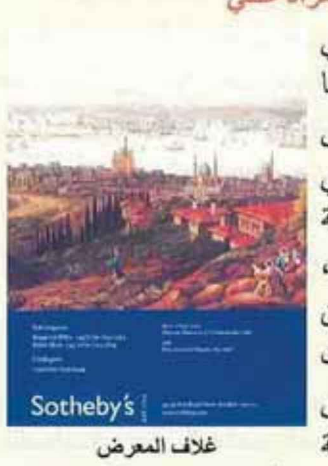
تأجيل إعلان عاصمة الثقافة العربية

أعلنت الحكومة الأردنية رسميًا تأجيل إعلان عمان عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٢م تضامنًا مع الشعب الفلسطيني في مواجهة العدوان الإسرائيلي.

وأعلن وزير الثقافة الأردني حيدر محمود أن تأجيل حفل الافتتاح الذي كان مقررًا له الثامن عشر من شهر أبريل/ نيسان ٢٠٠٢م يأتي انسجامًا مع الموقف الرسمي والشعبي الأردني، وأكد أن هذا التأجيل سيستمر حتى ينتصر الحجر الفلسطيني على وسائل العنف الإسرائيلية.

من جانبها أكدت اللجنة العليا لعمان ـ عاصمة للثقافة العربية في بيان لها ـ أنها منحازة إلى وجدان الأمة العربية وضميرها الصادق، وطالبت المثقفين والفنانين العرب بإبراز كل أسلحتهم الثقافية من أجل التصدي لهذا العدوان.

مزاد علني



غلاف المعرض

تقيم مؤسسة سوثبي Sotheby مزادًا علنيًا في الفترة من ٢٨ إلى ٣٠ مايو/ أيار الحالي على نحو ١٦٠٠ قطعة تشمل أفضل الكتب، ورسومات بالألوان المائية، ومخطوطات عن الشرقين الأدنى والأوسط، وتعدّ مكتبة أتابيه Atabey المعروفة جيدًا لكثير من جامعي التحف، جوهر هذه المجموعة، ولا تحتاج إلى تعريف.

ويشمل البيع كذلك مجموعة أخرى من الكتب (نحو ٢٥٠ قطعة) حصل عليها المالك الحالي كمجموعة مكملة لمكتبة أتابيه، والتي يمكن أن تعد امتدادًا لها، سادّة بذلك الفجوات في مقتنيات هذه المجموعة النادرة.

ولقد شملت الإمبراطورية العثمانية، بدءًا من إنشائها في القرن الرابع عشر حتى زوالها في القرن العشرين، بقاعًا كثيرة من الشرقين الأدنى والأوسط، وذلك من بلاد فارس إلى بوابات فيينا، ومن شبه الجزيرة العربية إلى شمال إفريقية دامجة حضارات اليونان، وبلاد ما بين النهرين، ومصر. وقد استحوذت هذه الدولة الإسلامية العظيمة على مركز الاهتمام في التاريخ العالمي مدة ٥٠٠ عام، وعلى وثائق طوبوغرافية وتاريخية، وإنجازات تدل على عظمة العالم العثماني التي أخذت هذه المجموعة منها موضوعها ومغزاها.

وتحتوي المكتبة على كثير من الكتب المهمة التي طُبع معظمها في أوربا والتي تصف هذه الإمبراطورية، وتشمل أعمالاً من تأليف ميلنغ (ميلنج) Melling، ودودويل Dodwel، وكاساس Cassas، ويونغ Young، وفلاندن Flandin، ولاشابيل La Cha-

pelle، و بريزيوسي Preziosi، و دوبريه Dupre، ولّيهي (ليهيه) Le Hay، و شوازيل - جوفييه -Choiseul Gouffier، وتاتيكيان Tatikian، و لايارد Layard، وبريندِيس Brindesi، و ثيفينوت Thevenot، كما تشمل وصفًا لمصر، وكتبًا تحتوي على رسومات أزياء وملابس ملونة بالألوان المائية، ومجلات ودوريات، وتجليدًا دقيقًا جميلًا، ومخطوطات وطباعة عربية.

وقد باعت مؤسسة سوثبي في عام ١٩٨٩م مجموعة بلاكمر Blackmer التي ورد وصفها في ببليوغرافيامن إعداد ليونورا نافاري Leonora Navari.

المقاومة الإلكترونية ضد إسرائيل

في ظل الاعتداءات الإسرائيلية الوحشية في الأراضي الفلسطينية، وعجز الجماهير العربية عن مناصرة إخوانهم الفلسطينيين في ساحات القتال، فإن بعضهم خط لنفسه مقاومة جديدة من خلال تسديد ضربات إلكترونية موجعة للكيان الإسرائيلي، جاء ذلك في تقرير يفيد أن إسرائيل تتعرض لوابل من الهجمات الحاسوبية المكثفة منذ انطلاق الانتفاضة الثانية في سبتمبر/أيلول ٢٠٠٠م، وقد اعترفت شركة الأمن الحاسوبي «إم أي ٢ جي» المسؤولة عن المواقع الإسرائيلية على الإنترنت بأن القطاعات الإسرائيلية على الشبكة كانت أكبر ضحية للهجمات خلال الأعوام الثلاثة الماضية، فقد تعرضت لـ ٥٤٨ هجمة من إجمالي الهجمات الإلكترونية في الشرق الأوسط التي بلغت ١٢٩٥ هجمة، وقد تصاعدت وتيرة الهجمات بعد الاجتياح الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، وتقول مجموعة منخرطة في العمليات الرقمية المناهضة لإسرائيل: «إنها مصرية».

وقال الرئيس التنفيذي لشركة الأمن الإسرائيلية: إن الحرب الإلكترونية تعد مقياسًا لحدة التوترات السياسية في أنحاء العالم مشيرًا إلى أن تأزم الوضع في الشرق الأوسط انعكس على العمليات العلنية والصريحة والمقنعة على حد سواء.

ولاتزال العمليات الحاسوبية المناهضة لإسرائيل منحصرة في هجمات تشويه المواقع وتعطيل الخدمة إذ يتم قصف «سيرفر» معين بوابل من الرسائل تتسبب في تعطيله في نهاية الأمر. لكن بإمكان الناشطين الحاسوبيين تكثيف حملتهم لإيقاع أضرار أكبر من ذلك، فيقول بيتر سومر من مركز أبحاث الأمن الحاسوبي بكلية لندن للعلوم الاقتصادية: «من الممكن شن هجمة على البنية التحتية للإنترنت في إسرائيل، وسوف يكون ذلك أكثر فاعلية من الهجمات الفدائية التي يقوم بها الفلسطينيون».

الكاتب «ياسمينة خضرة» يدافع عن نفسه



رواية موريتوري

بمناسبة صدور كتابه «كذب الكلمات» دافع الكاتب الجزائري محمد ملسهول الذي كان يتنكر باسم «ياسمينة خضرة»، عن نفسه؛ وذلك في محاضرة ألقاها في الصالون الوطني للكتاب بوهران، فقد أوضح خلال المحاضرة اسمه الحقيقي «محمد ملسهول»، وهو ضابط في هيئة أركان الجيش الجزائري، وقال: إنه لم يكن يتوقع أنه سيحاسب على ماضيه كضابط في الجيش الوطني الشعبي، وأضاف «أن الجيش عائلتي قضيت فيه ٣٦ سنة من حياتي منذ سن التاسعة». ويرى ملسهول أن «يسمينة خضرة» امرأة عظيمة تجرأت على قول ما لم يتجرأ عدد من الرجال على قوله، فقد نشرت لها عدة كتب تناولت فيها فظائع الحرب الأهلية التي تعصف بالجزائر، وقد أثارت أول رواية لها بعنوان «موريتوري» عام ١٩٩٧م تساؤلات في الدول الأوربية والعالم العربي حول مؤلفها، وشكك بعض النقاد في أن يكون الكاتب امرأة، لكن الكاتب أكد بعد سنتين أنه في الواقع رجل.

وقد أوضح ملسهول في مقابلة مع صحيفة «لوموند» الفرنسية أن زوجته هي التي أوصته بتقمص اسم مستعار، قالت لي: «أعطيتني اسمك لأحمل مدى الحياة، وها أنا أعطيك اسمي لتحمله إلى الأبد»، واسم ياسمينة خضرة هو اسم زوجة الكاتب المركب.

يذكر أن كتاب «كذب الكلمات» قد حصل على الميدالية

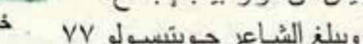
الذهبية للأكاديمية الفرنسية، ويقوم ناشر من طهران حالياً بتحضير ترجمة كتاب «بم تحلم الذئاب» إلى الفارسية، وقد ترجم كتاب ياسمينة خضرة إلى ١٣ لغة، وستكون أحداث كتاب ملسهول المقبل في المكسيك حيث عاش بعض الوقت هناك.

المكتبات الرقمية

أقامت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، بالتعاون مع الجمعية السعودية للمكتبات والمعلومات، ندوة متخصصة بعنوان «المكتبات الرقمية.. الواقع ومتطلبات المستقبل» في الفترة من ١٠ إلى ١١ صفر الماضي الموافق ٢٣ إلى ٢٤ أبريل/نيسان ٢٠٠٢م، وشارك في جلسات الندوة نخبة من المتخصصين في المكتبات، وتضمنت الندوة عدداً من المحاور منها: «المكتبة الإلكترونية بين النظرية والتطبيق»، و«شبكة الإنترنت ودورها في توفير مقومات إنشاء المكتبة الإلكترونية»، و«المكتبة الإلكترونية في المملكة العربية السعودية: واقعها ومستقبلها»، و«البنيات الأساسية المعلوماتية بالمملكة العربية السعودية». شهدت الندوة عدداً من الفعاليات المصاحبة ، وأقيمت دورة تدريبية عن استخدام شبكة الإنترنت، ومعرض متخصص في الجوانب التقنية والحاسوبية وشبكة الإنترنت والمكتبات الرقمية.

جويتيسولو يفوز بجائزة باث

منحت لجنة تحكيم جائزة أوكتافيو باث للشعر جائزة العام الحالي ٢٠٠٢م، للكاتب الإسباني خوان جويتيسولو، وتبلغ قيمة الجائزة ١١٥ ألف يورو، وجاء قرار اللجنة التي ترأسها الفارو موتيس من كولومبيا بالإجماع.



خوان جويتيسولو

ويبلغ الشاعر جويتيسولو ٧٧ عاماً، إذ ولد في برشلونة، ويقيم منذ عام ١٩٥٦م في باريس، وله عدة مؤلفات منها: «منافسة في الجنة» عام ١٩٥٥م، و«من أجل العيش في ذلك المكان» عام ١٩٦٠م، و«الجزيرة» عام ١٩٦٠م.

الشعر والدبلوماسية



غازي القصيبي

يصدر قريباً عن المركز العربي للدراسات العربية بالقاهرة كتاب جديد للكاتب المصري أحمد الشيخ بعنوان «شعراء ودبلوماسيون». ويضم الكتاب الجديد عشرة حوارات أجراها المؤلف مع عشرة شعراء عرب جمعوا بين الشعر والدبلوماسية، ويرصد الكتاب هذه الازدواجية في تجربتهم الشعرية، ويتناول أيضاً علاقة الشعر بالعاطفة وبالحقيقة في ضوء منظومة الأسئلة والرؤى والهواجس التي أفرزتها حركة الشعر العربي على مدى الخمسين عاماً الماضية.

ومن بين الشعراء الدبلوماسيين الذين يشملهم الحوار: السوري عيسى درويش، والسعودي غازي القصيبي، واللبناني صلاح ستيتة، والمصري محمد التهامي، وتضمن الكتاب مختارات من قصائد هؤلاء الشعراء في خاتمة الحوارات.

وكان المركز العربي قد سبق أن قدم للشاعر نفسه من قبل كتابين لافتين هما: «حوار الاستشراق»، و«من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب».

الأمن يمر عبر الحق

أدلى عدد من الكتاب والمثقفين العالميين الذين زاروا الأراضي المحتلة الشهر الماضي بشهادات عما رأوه هناك، ومنهم الحائز على جائزة نوبل للآداب الكاتب النيجيري وول سوينكا، والكاتب الإفريقي برايتن برايتنباخ، والكاتب الإسباني خوان جويتيسولو، وتوضح هذه الشهادات ما يتعرض له الفلسطينيون من ظلم في الأراضي الفلسطينية على أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلية.

وانطلق الكاتب النيجيري سوينكا من أسطورة يونانية قديمة ليعبر عن الوحشية التي تمارسها الحكومة الإسرائيلية، وعلى رأسها شارون، وبدعم من الولايات المتحدة ضد الشعب الفلسطيني، وركز سوينكا بصورة خاصة في الإرهاب اليومي الذي تمارسه إسرائيل بحق

الشعب الفلسطيني والذي سيترك مضاعفات خطيرة، كما انتقد بشدة الغطرسة العسكرية الإسرائيلية طارحاً علامة استفهام كبيرة على وضع قوة عسكرية بهذا الحجم في أيدي ممثلين سياسيين من هذا الطراز، ويلاحظ أن المواقف غير العقلانية التي تعتمد عليها إسرائيل والولايات المتحدة ستترك آثاراً مأساوية لا حصر لها، بل إن الحكومة الإسرائيلية اتخذت نهجاً تدميرياً من شأنه أن يغرق العالم أجمع.

وفي السياق نفسه روى الكاتب الإسباني خوان جويتيسولو مشاهداته، فتحدث عن الحصار، وعن محاولة المحتل تجزئة الأراضي الفلسطينية وتقسيمها أقساماً صغيرة مطوقة بمستوطنات حيناً، وبحواجز عسكرية حيناً آخر، و بأسلاك شائكة مكهربة، وقال: إن الحرب التي يتحدث عنها العالم ليست بين دولتين بل هي بين دولة تتمتع بقوة عسكرية تعد بين الأقوى والأحدث في العالم، ودولة مجزأة بلا حدود، وتخضع للذل اليومي، وللمعاقبات الجماعية، وهي سياسة ستولد مرشحين للشهادة إلى ما لانهاية .


وول سوينكا

ويرى جويتيسولو أن شارون الذي يعمل بكل الوسائل على إذلال الفلسطينيين لن يتمكن من تحطيم إرادة المقاومة عندهم وخنق انتفاضتهم، وذكر أن المستوطنات التي رآها في أثناء رحلته الأخيرة هي مستوطنات بنيت في الغالب فوق أنقاض قرى فلسطينية كان قد دمرها الإسرائيليون.

أما الكاتب الإفريقي برايتن برايتنباخ فوجه إلى رئيس وزراء إسرائيل رسالة مفتوحة بالقول: «إن حجم الفظائع التي ترتكبها إسرائيل باسم الدفاع عن النفس، وتزوير الحقائق بصورة مخجلة، وتجريد شعب محاصر من أبسط مقومات وجوده وإنسانيته، كل ذلك إنما ينطلق من نزعة عنصرية أكيدة تماماً كان الحال مع نظام جنوب إفريقية، ولذلك فإن السلام الذي يدعو إليه شارون هو سلام المغير والمنفي» ويختتم برايتنباخ بالقول «إنه من غير الممكن بناء دولة قابلة للاستمرار والحياة على أساس طرد شعب آخر له ماله من الحقوق فوق هذه الأرض، والجريمة التي نقترفها اليوم بحق الإنسانية ضد الفلسطينيين سترتد على إسرائيل ذاتها».

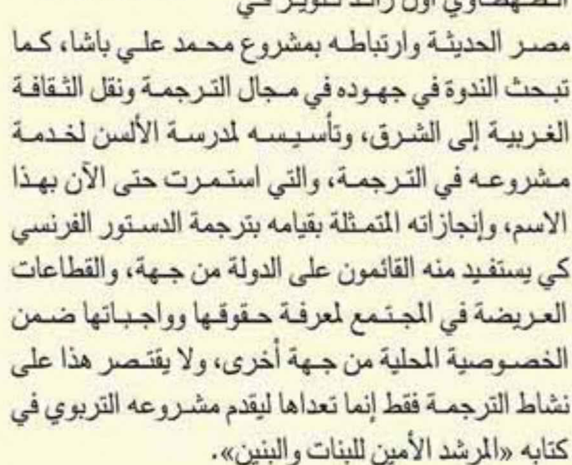
من جهة أخرى، أصدر عدد من المثقفين والأكاديميين بياناً جديداً بعنوان «الأمن يمر عبر الحق»، وجاء في نصه: «أن الفلسطينيين يعيشون لاجئين أو تحت الاحتلال منذ أكثر من خمسين عاماً، وهم قبلوا بالتخلي عن ثمانية وسبعين في المئة من وطنهم مقابل السلام، ووقعوا أيضاً على اتفاقات تلزم إسرائيل بسحب قواتها حسب ترتيب زمني لم تحترمه أو تتقيد به، ولا حكومة من الحكومات الإسرائيلية الخمس المتعاقبة».

وورد في البيان أيضاً «أن الفلسطينيين عاشوا ذل الحواجز والطرقات الطويلة الملتفة، وشاهدوا على مدى عشر سنوات كيف تضاعف عدد المستوطنات ودون أي رادع، وهم يعيشون مكدسين بنسبة مليون شخص في ثلثي قطاع غزة، بينما يتمتع ستة آلاف مستوطن وحدهم بالثلث الباقي من القطاع، وهكذا فإن الفلسطينيين هم ضحية الجميع.. وهم في هذه اللحظة بالذات يعيشون محاصرين موقوفين منهوبين معذبين تحت أنظار المجتمع الدولي الذي يكتفي بالتأسف من دون أي رد فعل عملي». كما يشير البيان إلى أن هناك عدداً من الإسرائيليين يعارض المستوطنات وسياسة التوسع التي تتبعها حكومتهم، والإسرائيليون اليوم بحسب البيان يجدون أنفسهم في مواجهة مع الحقيقة القاسية بعد أن وعدهم الخطاب الدعائي الرسمي بالأمن والسلام، ولم يحصلوا على شيء منهما، ودعا البيان الإسرائيليين إلى العمل سريعاً على تبني مبدأ الحق والمساواة للجميع ومطالبة حكومتهم برفض المستوطنات والاحتلال دون أي شرط، كما دعا البيان المجتمع الدولي، والاتحاد الأوربي، وفرنسا خصوصاً، إلى العمل الفوري وإرسال قوة فصل تحمي جميع المدنيين، وتضع حداً لحمام الدم.

يذكر أن من الموقعين على البيان عالم الاجتماع الفرنسي أدغار موران، والمؤرخ المتخصص بالعالم العربي أندريه ريمون، والحائز على جائزة نوبل للآداب الياباني كينزا

بورو أووي، والكاتب الإسباني خوان جويتيسولو والكاتب الإفريقي برايتنباخ، ومجموعة من المخرجين والسينمائيين. وقد نشر في عدد من الصحف الغربية.

رائد حركة التنوير


رفاعة الطهطاوي

نظم المجلس الأعلى للثقافة في مصر ندوة دولية عن رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣م) تحت عنوان «رائد حركة التنوير» بمشاركة ٨٥ باحثًا، بينهم ٢٢ من العرب والأجانب.

وتتطرق الندوة إلى مشروع الطهطاوي أول رائد تنوير في مصر الحديثة وارتباطه بمشروع محمد علي باشا، كما تبحث الندوة في جهوده في مجال الترجمة ونقل الثقافة الغربية إلى الشرق، وتأسيسه لمدرسة الألسن لخدمة مشروعه في الترجمة، والتي استمرت حتى الآن بهذا الاسم، وإنجازاته المتمثلة بقيامه بترجمة الدستور الفرنسي كي يستفيد منه القائمون على الدولة من جهة، والقطاعات العريضة في المجتمع لمعرفة حقوقها وواجباتها ضمن الخصوصية المحلية من جهة أخرى، ولا يقتصر هذا على نشاط الترجمة فقط إنما تعداها ليقدم مشروعه التربوي في كتابه «المرشد الأمين للبنات والبنين».

ومن أبرز المفاصل التي حملها كتابه ضرورة تعليم البنات، وتحسين أوضاع المرأة في المجتمعات الإسلامية.

كما حاول شرح وجهة نظره في العلاقة بين الفكر الغربي والإسلامي من خلال كتابه «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» الذي وصف خلاله العاصمة الفرنسية والاختلافات القائمة بين المجتمع الإسلامي وفرنسا، كما ساهم الطهطاوي في تأسيس الصحافة في مصر من خلال إصداره صحيفتي «الوقائع المصرية» و«روضة المجالس»، وكانت له مواقف تجاه الفنون العصرية التي كان رجال الدين يعارضونها في تلك الفترة.

ومن أبرز المشاركين في الندوة من الباحثين العرب، الفلسطيني فيصل دراج، والسوري محمد جمال باروت، واللبناني محمد دكروب، والتونسي الحبيب الجنحاني، ومن مصر كل من: د. عاطف العراقي، ود. أنور عبدالملك، وأحمد عبدالمعطي حجازي، ود. صلاح فضل، ود. جابر عصفور، كما سيشارك من أحفاده: محمد وماجدة رفاعة الطهطاوي.

٢٠٠٢م عام ناظم حكمت



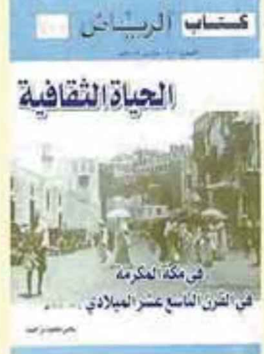
ناظم حكمت

قررت منظمة اليونسكو الدولية اتخاذ عام ٢٠٠٢م عامًا عالميًا للشاعر التركي ناظم حكمت، وقد بدأت فعاليات هذه المناسبة باحتفال أقيم في قاعة الملكة إليزابيث في لندن، واحتفال ثانٍ كان في مدينة ستراسبورغ في فرنسا.

ولد حكمت في مدينة سالونيك في عام ١٩٠٢م لأبوين ثريين عريقين، واستطاع أن يجدد في الشعر التركي، ودبت الحياة في اللغة التركية على يديه، إذ كانت إسهاماته في هذا المجال مشهودة ومعروفة، فله قرابة عشرة دواوين شعرية وثلاث مسرحيات، كانت أشهرها ملحمة «تارنتا بابو» التي صوّر فيها مأساة الفتى الأسود القادم من «جالا» على أيدي زبانية موسوليني في روما.

وخاض حكمت معركة شرسة ضد الفاشية، والتي سعى إلى فضحها؛ مما أثارها عليه، فأوقفته وألقت به في السجن، وحكم عليه بثمانية وعشرين عامًا سجنًا، ثم ارتفعت هذه الأحكام إلى ستة وخمسين عامًا، قضى منها ثلاثة عشر عامًا حبسًا انفراديًا متصلاً في أغلب أحيانه، مما انهك صحته وأهار قواه، فأضرب عن الطعام عام ١٩٥٠م، لتهب عاصفة من الاحتجاجات في مختلف أرجاء العالم متضامنة مع الشاعر السجين، مما أجبر السلطات الفاشية على إطلاق سراحه، فرحل إلى موسكو ليقضي بقية عمره هناك حتى وفاته عام ١٩٦٣م، ودفن فيها بعيدًا عن وطنه الذي رفضه حتى وهو ميّت، على الرغم من وصيته التي تقول: «أنا إن مت فادفنوني تحت شجرة في إحدى قرى الأناضول».



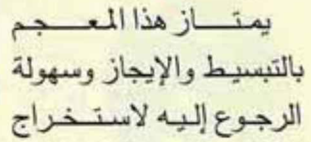


ابن جنيد، يحيى محمود/الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي ١٢١٥ـ ١٣١٧هـ .ـ الرياض:مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١٩٢ص (كتاب الرياض؛ ١٠٠).

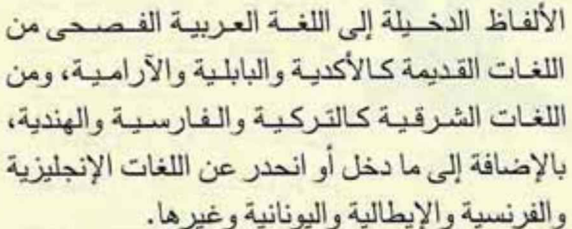
تلقي هذه الدراسة الضوء على الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي الموافق للأعوام الهجرية من ١٢١٥ إلى ١٣١٧هـ والتي كانت مركزًا ثقافيًا تتوافر الدلائل على وجود المكونات الثقافية فيها والتي تمثلت بالاحتفاء بالعلم، وكثرة العلماء، وانتشار وسائل تلقيه، وتوافر أدوات بثه، وبروز تأثيراته في حياة الناس اليومية، وهو ماشهدته مكة المكرمة في تلك الفترة من خلال حلقات الدرس والتعليم في الحرم المكي، والمدارس الرسمية والخاصة.

وقد توزعت الدراسة على محاور: أولها عن التعليم في مكة المكرمة، ودور الحرم المكي والمدارس الرسمية والخاصة في إثرائه، وثانيها عن مشاهير العلماء والأدباء والشعراء، وثالثها عن الوراقة والنشر وتجارة الكتب، ورابعها عن المكتبات الخاصة والرسمية والمجالس والأندية الأدبية.

أورد المؤلف في نهاية الدراسة قائمة بأسماء أعلام مكة في القرن التاسع عشر الميلادي المترجم لهم في كتاب نشر النور والزهور، وملحق فيه نماذج من الكتب المخطوطة والمطبوعة والموقوفة في مكة المكرمة، وكذلك نماذج من أعمال بعض المكيين المخطوطة والمطبوعة خلال فترة الدراسة.



البزركان، رفعت رؤوف/ معجم الألفاظ الدخيلة في اللهجة العراقية الدارجة.ـ بغداد: المؤلف، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ١٩٢ص.



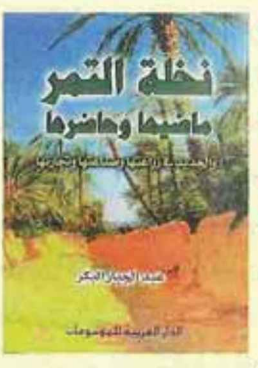
يمتاز هذا المعجم بالتبسيط والإيجاز وسهولة الرجوع إليه لاستخراج الألفاظ الدخيلة إلى اللغة العربية الفصحى من اللغات القديمة كالأكدية والبابلية والآرامية، ومن اللغات الشرقية كالتركية والفارسية والهندية، بالإضافة إلى ما دخل أو انحدر عن اللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية واليونانية وغيرها.

جمع المؤلف مفردات هذا القاموس من مصادر شتى بين كتاب ومعجم ومجلة وصحيفة وألفاظ درج المسنون على نطقها، ثم بادر إلى تأصيلها وإرجاعها إلى لغاتها الأصلية، وشرح وعزز بعضها بالأمثال والقصص والنوادر وكل ما يمت بصلة إلى هذا المجهود من قريب أو من بعيد.

ولم يكتف المؤلف بذلك بل عزز جهوده بإيراد الأمثلة والشواهد المتداولة بين العامة ببغداد ومدن العراق الأخرى وموازنتها بنظائرها من الألفاظ الشائعة الاستعمال في الأقطار العربية، معتمدًا على مصادرها ومراجعها الأدبية والتاريخية والاجتماعية وغيرها.

ويلاحظ في مفردات هذا المعجم من حيث التداول والانتشار أن بعضها بطل استعمالها، واختفت معالمها بزوال الأجيال الناطقة بها، وأن قسمًا منها في طريقها إلى الزوال، إذ لا نكاد نسمعها إلا من أفواه ممن بلغوا من الكبر عتيًا.

أورد المؤلف، في مقدمة الكتاب، ثبتًا بالرموز والإرشادات، كما أورد «الحروف الدخيلة في اللهجة العراقية الدارجة».



البكر، عبدالجبار/ نخلة التمر: ماضيها وحاضرها، والجديد في زراعتها وصناعتها وتجارتها.. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ١٠٨٥ص.

تعد نخلة التمر الشجرة الأولى التي رافقت العرب في بلادهم وفي الأمصار التي فتحوها وأقاموا فيها، وتمثل هذه الشجرة أهمية بالغة في حياة العربي منذ أقدم العصور؛ لأنهم كانوا يعوّلون عليها في غذائهم وتأمين كثير من حاجاتهم.

يضم هذا الكتاب مختصراً للدراسات والبحوث التي أجريت على النخيل والتمور في مختلف الأقطار، مع وصف موجز لمختلف العمليات الزراعية التي يمارسها زرّاع النخل بمختلف البلاد التي تزرع هذه الشجرة.

وقد حاول المؤلف وضع المصطلحات العربية الصحيحة لمختلف أجزاء النخلة وتمرها وللعمليات الزراعية المتعلقة بها، وأشار إلى المصدر المستقى منه إن كان عربياً بالرقم الهندي داخل قوسين، وإن كان فرنجياً بالرقم العربي داخل قوسين أيضاً.

جاء الكتاب في أربعة أبواب: تناول في الأول «تاريخ النخل وبيئته»، وذكر في الثاني «الخصائص النباتية للنخلة وثمرها والآفات التي تصيبها»، وأفرد الثالث لـ «أصناف التمور»، وختم بالرابع عن «منتجات النخل والتمور وقيمة التمر الغذائية وتجارتها».

استعان المؤلف بعدد من الجداول والأشكال والصور الفوتوغرافية لتوثيق معلوماته.

محمدين، جلال وفاء/ دور البنوك في مكافحة غسيل الأموال.. الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠١م، ١١٨ص.

تعد ظاهرة غسيل الأموال من الجرائم الاقتصادية



الخطيرة، وهي مرتبطة بالجريمة المنظمة، وعلى الأخص جرائم المخدرات، والإرهاب، وتهريب الأسلحة، والرقيق الأبيض وغيرها، ويقدر حجم الأموال غير النظيفة التي يتم غسيلها ما بين ٨٠٠ مليار دولار وتريليون ونصف تريليون دولار سنوياً، وتأتي الولايات المتحدة الأمريكية على رأس الدول التي يتم فيها غسيل الأموال.

وجوهر عملية غسيل الأموال هو قطع الصلة بين الأموال المتحصلة عن أنشطة إجرامية وأصلها أو مصدرها غير المشروع، أي تبدو الأموال وكأنها قد تولدت عن منشأ مشروع وقانوني.

يحاول المؤلف في هذا الكتاب أن يلقي الضوء على مراحل غسيل الأموال، والأساليب التي عادة يتبعها غاسلو الأموال لتنظيف الأموال المتحصلة من الأنشطة غير المشروعة، ثم يتناول المسؤولية القانونية للبنوك عند تورطها في غسيل الأموال، ويلقي نظرة حول آليات العمل المصرفي، وخاصة فيما يتعلق بالسرية اللازمة للحسابات المصرفية وعلاقة ذلك بغسيل الأموال، وكيفية مواجهة ظاهرة غسيل الأموال على المستويين الدولي والوطني.



منصور، عبدالمجيد سيد أحمد، وزكريا أحمد الشربيني/ السلوك الإنساني بين الجبرية والإرادية، ومنظور علم النفس المعاصر: المشيئة والاختيار.. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ٢٤٨ص.

ظهرت عدة محاولات لفهم البناء النفسي للإنسان

فهماً مؤسساً على القرآن والسنة. فالقرآن الكريم والهدي الإسلامي يفتحان مغاليق النفس، ويبينان لنا في وضوح أن سلوك الإنسان وأفعاله تنطوي تحت خيوط منها: النزوع إلى طلب الشهوات والفجور والمجاهدة في طريق الله بالتقوى و...

وإذا ما جهل الإنسان نفسه وسلوكياته انعكس ذلك على سواء شخصيته. ولقد بذل علماء النفس المعاصرون الكثير من الجهود لتفسير سلوك الإنسان، وجاءت نجاحاتهم محدودة في بعض المواضع أو أولية، ومن هنا جاءت فكرة تناول سلوك الإنسان في هذا المؤلف بين الجبرية والإرادية - المشيئة والقدر تحت مظلة الهدي الإسلامي وتناولات علم النفس المعاصر، كما يقول المؤلفان.

وجاء الكتاب في ستة فصول، جاء الفصل الأول عن «سلوك الإنسان والهدي في القرآن»، وتناول الفصل الثاني «الجبرية والإرادية بين الدلالات اللغوية والاصطلاحية»، وعدّد الفصل الثالث «الأسس الاجتماعية للجبرية والإرادية»، وتناول الفصل الرابع «الأسس النفسية للجبرية والإرادية»، وشرح الفصل الخامس «تربية ووسائل تقوية الإرادة»، وختم بالفصل السادس والذي جاء عن «الهدي الإسلامي بين الجبرية والإرادية».

إيريس، أنطوان/ شبكات الإعلام، ترجمة: فؤاد شاهين.. بيروت: عويدات للنشر والطباعة، ٢٠٠١م، ١٠٣ص.

يشكل هذا الكتاب مدخلاً حقيقياً لعالم الإعلام والاتصالات. فبالإضافة إلى التبشير بعصر الإعلام، يستعرض الكتاب المراحل التي ستسلكها شبكات الإعلام لتصبح فعّالة وضرورية، فيتناول صناعة الإعلام وعلاقتها بالتطور وبطلب الخدمات، ثم تقانات «تكنولوجيات» حمل المعلومات عبر شبكات الاتصال والتوزيع القائمة، أو الحاجة إلى تجديد هذه الشبكات لتصبح فعلاً مقدمات لشبكات الإعلام، بالإضافة إلى ذلك يتناول الكتاب بعض الاختبارات التي جرت وبعض المشروعات الكبرى التي تقررت. كما يقوم بتصور تطور شبكات الإعلام في المستقبل، مع العوائق التي تقوم وكيفية تذليلها.

ويقع الكتاب في خمسة فصول وخاتمة، وجاءت فصوله عن: «مجتمع الإعلام»، و«صناعة المعلومة»، و«تكنولوجيات انتقال المعلومة»، و«طلائع شبكات الإعلام»، و«سيناريوهات للمستقبل»، واستعان المؤلف بالرسومات والأشكال الهندسية والصور الفوتوغرافية لتقريب صورة الشبكات في ذهن القارئ.



حسين، عبدالله محمد/ أنقاض العرس (مجموعة قصص)، الرياض: المؤلف، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ١٢٧ص.

«أمام موجة الألم الصاعدة تراجعت كلمات العزاء، ترددت أن أهمس وأنا أودع الصديق أن الغابة تحترق وتنهض من رمادها أزهار وأعشاب، وتنبت في الجذوع الجرداء غصون أشد بريقاً وأكثر نضارة.. فبادر الصديق وهو يودعني قبل أن يسلمني للطريق: سنواجه الألم وإذا أغلق الحريق نافذة فرح مفتوحة على النخل سنشرع نافذة تطل على البحر.

طمأنتني كلماته بأن طائر العنقاء سينفض عن جناحيه رماد الحريق ليحلق من جديد فوق نخيل (الوادي)، ويعانق السماء مبتعداً عن أنقاض العرس».

هذا مقطع من إحدى قصص هذه المجموعة التي

تتكون من ١٢ قصة قصيرة بدأت بـ «أنقاص العرس» واختتمت «بأمانة».

يذكر أن المؤلف سبق أن صدر له ثلاث مجموعات قصصية هي: «شروخ في وجه» ١٩٨٢م، و«الصيد الأخير» ١٩٨٦م، و«الشرط» ١٩٨٩م، وكتاب عن «العلاقات السعودية السوفييتية ١٩٢٦ ـ ١٩٣٨م».

ابن بشر، عثمان بن عبدالله/ سوابق عنوان المجد في تاريخ نجد: ٨٥٠ ـ ١١٥٦هـ (١٤٤٦ ـ ١٧٤٣م)، تحقيق وتعليق: عبدالله بن محمد المنيف.ـ الرياض: المحقق، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، ٢١٩ص.

هذا الكتاب للمؤرخ النجدي عثمان بن عبدالله بن بشر استخرج به السوابق التي كانت مبثوثة في غضون كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد» وجعلها مفردة في أول الكتاب لتتوافق مع المنهج التاريخي المتبع في مثل هذا التاريخ.

ومعنى كلمة «السوابق» التي جاءت في عنوان الكتاب إذ يستخدم ابن بشر في أول كل خبر لفظ «سابقة» بالمفرد، مع أن الخبر قد يحتوي على غير سابقة، وربما وصلت في بعض الأخبار إلى أكثر من خمسة أحداث يجملها تحت سابقة، أويفصل بينها، ويضع قبل كل حدث كلمة «وفيها». والسابقة لغوياً لها معانٍ متعددة كل منها يتماشى مع السياق الذي وضعت فيه. وهي في مصطلح علماء الشرع الحدث الذي قضى فيه قاضٍ بحكم لم يُسبق إليه من قبل، وربما كان معنى السابقة الحدث الواقع، الذي لم يكن مذكوراً أومعروفًا من قبل.

وقد قام المحقق بتصحيح الأحداث والأسماء التي وردت بشكل خاطئ في المخطوط، وذلك من خلال المصادر التي نقل منها المؤلف ومصادر أخرى معاصرة.

كما تم في هذا العمل المحقق تعرّف المصدر الرئيس الذي كان ينقل عنه ابن بشر، ولم يذكره مباشرة، وهو تاريخ ابن لعبون.

وضم الكتاب في آخره مشجرات لأسر مثل آل سعود، والأشراف، والدولة الجبرية، ودولة بني خالد مع التصحيح والتعريف لبعض الأسماء التي تشابهت فيها.



القشعمي، محمد بن عبدالرزاق /البدايات الصحفية في المملكة العربية السعودية (المنطقة الشرقية).ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٢هـ، ٣١٦ص.

يشتمل هذا الكتاب على مجموعة مقالات تتناول الصحف والمجلات التي صدرت بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية في الفترة من ١٣٧٤إلى ١٣٨٢هـ من خلال صحافة الأفراد، وقبل بدء مرحلة صحافة المؤسسات التي بدأت منذ سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م. وقد تناول المؤلف الصحف من خلال استعراضه لما تضمنته من مقالات أو قصائد أو أحداث، وأعاد صياغتها لتظهر بين دفتي هذا الكتاب.

ويقول المؤلف إنه ليس بصدد دراسة تحليلية أو قراءة نقدية لتلك التجربة الرائدة وإنما سيكتفي بعرض نماذج ونشر معلومات مما نشر وقتها، إنها مجرد إطلالة سريعة وتذكير لهذا الجيل وما بعده بأن هناك صحفًا ومجلات سبق أن صدرت، وأن هناك رجالاً ضحوا من أجل بناء هذا الوطن كل على حسب قدرته وإمكاناته.

وختم الكتاب بـ «صور ووثائق» أورد فيها المؤلف صوراً فوتوغرافية وسيراً ذاتية لعدد من الكُتّاب والأدباء والشعراء.

وهذا الكتاب هو الجزء الأول من سلسلة يحاول من خلالها المؤلف تناول مسيرة الصحافة السعودية في مراحلها المختلفة.

عبيدات، أحمد (وآخرون)/ النظام السياسي العربي والديمقراطية: الأردن، فلسطين، مصر، اليمن، لبنان، المغرب، الخليج العربي: تحرير: أنيس فوزي قاسم.. عمان: مؤسسة عبدالحميد شومان؛ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١م/١٢٩ص.

يجمع هذا الكتاب بين دفتيه مجموعة من المحاضرات التي ألقاها نخبة من ذوي الاختصاص في الشأن السياسي العربي في منتدى عبدالحميد شومان الثقافي بالأردن خلال عامي ١٩٩٩ و ٢٠٠٠م.

وجاء اختيار النماذج السياسية العربية التي أضاءتها أبحاث الكتاب بهدف تتبع المؤشرات الإيجابية التي تنم عليها تلك النماذج، وخصوصاً فيما يتعلق منها بحرية التعبير، والتعددية السياسية، والانتخابات النيابية، وتداول السلطة بألوانه المتباينة، وهي مؤشرات تنبئ عن إمكانات تطور قادم في جميع جوانب العملية الديمقراطية على الرغم من إيقاعه البطيء، كما تنبئ عن جوانب ماتزال تتطلب الإصلاح والمتابعة الدقيقة. وتلخصت آراء المحاضرين وتحليلاتهم كما عبروا عنها، فمثلاً: الأستاذ أحمد عبيدات يؤمن أن الحوار التكافئ بين جميع أطراف المعادلة الوطنية بشقيها الشعبي والرسمي هو المدخل الصحيح إلى الإصلاح الديمقراطي الذي هو طريق الخلاص.

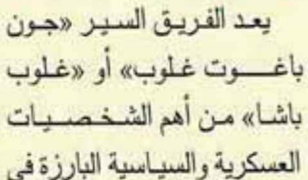
أما الأستاذ طاهر المصري فيقيس مدى الانتماء إلى الوطن بمدى الفهم الحقيقي لمفهوم الدولة والشعب، ويؤكد الدكتور عربيات ضرورة تعزيز الشورى والديمقراطية، وينادي بتصحيح الموازين التي نحكم بها على الأشياء، ويعلل الدكتور زياد أبو عمرو الركود والوهن بغياب القانون والمساءلة، أما الدكتور مصطفى كامل السيد فينادي بضرورة اتساع مفهوم الديمقراطية ليشمل إمكان تبادل السلطة، ويحذر الدكتور محمد عبدالملك المتوكل من مناخ لا يكون فيه قضاء عادل مستقل أو فصل حقيقي بين السلطات.

أما الدكتور نواف سلام فيؤرقه أن تخفق دولة المؤسسات الدستورية، وأن تتعزز المواقع الذهبية في السلطة، ويأمل الأستاذ محمد اليازغي أن يتبلور مفهوم جديد للسلطة يقضي بأن تكون الإدارة قريبة من المواطنين وفي خدمتهم، وليس عكس ذلك، أما الدكتور محمد المسفر فيحذر من أخطاء الماضي ويرى أن منطقة الخليج تواجه تحديات داخلية وخارجية.

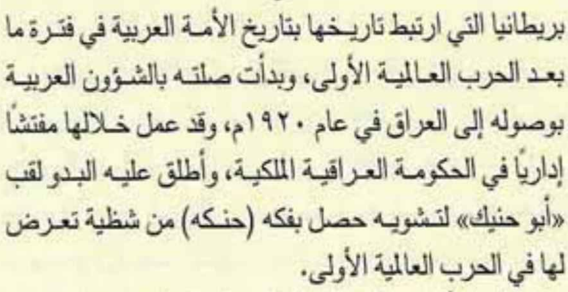


باشا، غلوب/ حرب في الصحراء (مذكرات)، ترجمة: عطية الظفيري ـ الكويت: دار قرطاس للنشر، ٢٠٠١م، ٣٩٨ص.

يعد الفريق السير «جون باغوت غلوب» أو «غلوب باشا» من أهم الشخصيات العسكرية والسياسية البارزة في بريطانيا التي ارتبط تاريخها بتاريخ الأمة العربية في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وبدأت صلته بالشؤون العربية بوصوله إلى العراق في عام ١٩٢٠م، وقد عمل خلالها مفتشاً إدارياً في الحكومة العراقية الملكية، وأطلق عليه البدو لقب «أبو حنيك» لتشويه حصل بفكه (حنكه) من شظية تعرض لها في الحرب العالمية الأولى.



عاصر أبو حنيك حركة الإخوان في الجزيرة العربية، وأدى دوراً في مقاومتها في أثناء عبورها الحدود السعودية ـ العراقية، ثم انتقل إلى العمل في حكومة شرق الأردن، وقام بتجنيد البدو في الجيش العربي الأردني.



وفي هذا الكتاب يستعرض المؤلف أحداث فترة مهمة من تاريخنا العربي، فقد عاش ما يقرب من ثلاثة عقود في المنطقة العربية، ويرسم صورة حية لحياة البادية وعادات البدو الأصيلة، كالكرم والشهامة والشجاعة، وعادات الغزو القبلي، كما يلقي الضوء على الممارسات الخاطئة لحركة

«الإخوان»، ثم يتناول المشكلات الحدودية بين السعودية والعراق في عشرينيات القرن المنصرم، ولا يخفي المؤلف إعجابه بالملك عبدالعزيز وعبقريته وحكمته في التعامل مع الأحداث السياسية الجسام بكل كفاءة واقتدار، كما يتناول ما اضطلعت به بريطانيا العظمى آنذاك من دور في تلك الأحداث.



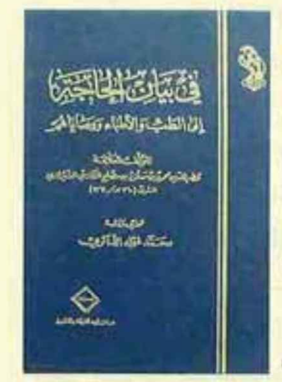
الأرناؤوط، محمود/أعلام التراث في العصر الحديث ـ الكويت: مكتبة دار العروبة؛ بيروت: دار ابن العماد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٢٥٢ص.

يشتمل هذا الكتاب على ترجمة ثمانين عالمًا من علماء التراث وشيوخ العلم من المحققين والناشرين، والمستشرقين الذين كانوا السبب في إخراج ونشر معظم ما نشر من كتب التراث، بتحقيقهم له، أو بسعيهم في أمر تحقيقه ونشره، أو بتخريجهم لمن قام بخدمته وإخراجه للناس.

وينتمي هؤلاء العلماء المترجم لهم إلى ٢٤ بلدًا هي: إسبانيا، وألمانيا، وانجلترا، وإيطاليا، والباكستان، والبوسنة، وتركيا، وتونس، والجزائر، وروسيا، وسورية، والعراق، وفرنسا، وفلسطين، وقطر، والكويت، ولبنان، والمجر، ومصر، والمغرب، والهند، وهولندا، والولايات المتحدة الأمريكية، ويوغسلافيا، وكان المؤلف قد نشر معظم هذه التراجم على حلقات في صحيفة «الأسبوع الأدبي» التي أصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق، خلال عامي (١٤١٩ـ١٤٢١هـ/ ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م)، ثم جمع هذه التراجم في هذا الكتاب حتى يكون لأهل التراث مصنف خاص بهم أسوة بأرباب الفنون الأخرى.

رُتبت التراجم في الكتاب حسب الوفيات، فقد جعل أقدمهم وفاة أولاً، وآخرهم وفاة آخرًا، فكان أول من ترجم له العلامة أحمد فارس الشدياق (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٧م)، وآخرهم العلامة الشيخ حمد الجاسر (ت١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

ويلاحظ على الكتاب كثرة تراجم المصريين والسوريين فيه، وقد علل المؤلف ذلك بأن «سورية ومصر كانتا ولا تزالان من أهم بلدان الأمة اهتمامًا بشؤون التراث تحقيقًا ونشرًا ودراسة وإخراجًا».



الشيرازي، قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح/في بيان الحاجة إلى الطب والأطباء ووصاياهم، ترجمة: محمود فؤاد الذاكري ـ العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٢٦٩ص.

بلغت مصادر التراث العربي والإسلامي في الطب بضع مئات من المؤلفات والعناوين، واتسعت لها المطولات ـ الموسوعات ـ كالحاوي في الطب للرازي، والشامل في الصناعة الطبية لابن النفيس، مرورًا بالكتب المتوسطة، كالموجز في الطب وشرحه النفيسي لابن النفيس، إلى الرسائل الصغيرة في الكحالة والحجامة وغير ذلك.

فالطب عنوان عريض في المكتبة العربية والإسلامية يدخل تحته: الطب النبوي، والتشريح، والحجامة، والفصد، والكحالة، والأدوية المركبة والمفردة، والصيدلة، وقد كانت لهذه المدرسة العربية والإسلامية مكانة عالية ومرموقة في الطب، وإليها يعود اكتشاف الدورة الدموية وعلم التشريح والجراحة، مما حدا بالغربيين إلى ترجمة كثير من هذه الكتب إلى لغاتهم الحية وتدريسها في مدارسهم، من ذلك كتب ابن زهر الأندلسي الذي ظل يدرس حتى القرن التاسع عشر في أوربا.

وهذا الكتاب يدخل في آداب الطبيب، وهو فرع من فروع علم الطب الذي ينبغي لكل طبيب أن يتعلمه ويلم به، فقد قسمه مؤلفه فصولاً ثلاثة:

الأول: في بيان شرف هذا العلم ووجه الحاجة إليه.

والثاني: فيما يحتاج إليه الطبيب من العلوم.

والثالث: فيما يحتاج إليه الطبيب من الأخلاق والصفات.

مجلة كليات المعلمين (مج١، ع١، المحرم ١٤٢٢هـ - أبريل ٢٠٠١م)

مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تصدر عن وكالة وزارة المعارف لكليات المعلمين بالمملكة العربية السعودية، وهذا هو العدد الأول من المجلة، وقد احتوى على عدة موضوعات منها: «العموم والخصوص في القرآن الكريم» للدكتورفهد الرومي، و«ازدواج اللغة في المدارس والجامعات» للدكتور عبدالقدوس أبوصالح، و«مسرحية أهل الكهف بين النص القرآني والتناول المسرحي»للدكتور محجوب محمد آدم، و«تقويم مهام مديري المدارس المتوسطة في مجال تقنية التعليم بوزارة المعارف في المملكة العربية السعودية» للدكتورسعد الدايل، إضافة إلى ملخص لرسالة الدكتوراه المعنونة «استلهام الشخصيات الإسلامية حتى آخر القرن الثالث الهجري في الشعر العربي الحديث» للدكتورمحمد بن مبارك، وملخص لأطروحة دكتوراه عنوانها «المناخ المدرسي للمرحلة الثانوية للبنين في المملكة العربية السعودية» للدكتورعلي العفنان.

العنوان: وزارة المعارف - الرياض ١١١٤٨
المملكة العربية السعودية

الأطام (ع١١، شوال ١٤٢٢هـ/ ديسمبر - يناير ٢٠٠١ - ٢٠٠٢م)

مجلة دورية تعنى بالإبداع والدراسات الأدبية، تصدر عن النادي الأدبي بالمدينة المنورة.

حفلت الدورية بالكثير من الموضوعات الأدبية شعراً ونثراً، وجاءت تحت عدة أبواب (ابتدأها) الدكتور محمد العيد الخطراوي، ثم استضافت هيئة تحرير الدورية الشاعر أحمد الصالح (مسافر) في باب حوار الذاكرة.

وفي باب إبداعات (١) كانت مساهمات الشعراء: وديع العبيدي، وعبدالرزاق الربيعي، والدكتور يوسف حسن العارف، وصفاء ذياب، وعيد الحجيلي، وخالد الخنين، وصالح بن إبراهيم العوض.

وفي باب دراسات ومقالات كتب أحمد السماوي عن «الأقصوصة - القصيدة في تصور إدوارد الخراط»، وتناولت الدكتورة نجاة المريني موضوع «الكتابة والمرأة: المغرب نموذجاً»، وناقش عبدالله الحيدري «النزعة القصصية عند كتاب السيرة الذاتية في الأدب السعودي»، وقدم الدكتور نضال الصالح دراسة نقدية لرواية حليم بركات «عودة الطائر إلى البحر الأسطوري والتفاعل النصي وشواغل الخطاب»، وشرح الدكتور محمد الحجوي «الدلالات الفنية لظاهرة (حسن التخلص) وأثرها في شعر ابن دراج القسطلي»، وختم البحوث في هذا الباب الدكتور ياسين فاعور بـ «قراءة نقدية في المجموعة القصصية.. الكتابة بحروف مسروقة» للقاصة هيام مفلح.

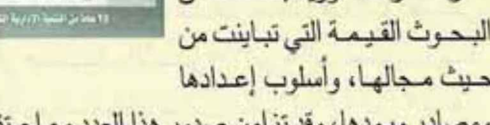
بالإضافة إلى الأبواب الأخرى إبداعات، ومتابعات، ومدينيات.

العنوان: ص.ب: ٧٥٠ هاتف: ٨٤٧١٩٠٥ - فاكس ٨٤٧٤٩١٣ - المملكة العربية السعودية.



الإداري (س٢٤، ع ٨٨، ذو الحجة ١٤٢٢هـ/مارس ٢٠٠٢م)

دورية علمية محكّمة متخصصة في مجال العلوم الإدارية تصدر عن معهد الإدارة العامة في مسقط.



زخرت الدورية بعدد من البحوث القيمة التي تباينت من حيث مجالها، وأسلوب إعدادها ومصادر ورودها، وقد تزامن صدور هذا العدد مع احتفال معهد الإدارة بيوبيله الفضي، فجاءت كلمة العدد بهذه المناسبة.

وفي أول بحوث الدورية تناول الدكتوران بشير عباس محمود العلاق، وأحمد محمود أحمد محمود موضوع «استخدام نموذج الفجوات لتفسير العلاقة بين جودة الخدمة المدركة ورضا المستفيد (مع اقتراح عدد من الأساليب لمعالجة الفجوات)»، وناقش الدكتور سرمد كوكب الجميل «الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول العربية وسباقات المنافسة»، وقدم مأمون أحمد

سليم دقامسة دراسة عن «التغيير التنظيمي: دراسة ميدانية لاتجاهات المديرين في الإدارات الحكومية في محافظة إربد/ الأردن نحو دوافع وسمات ومعوقات ومتطلبات نجاح جهود التغيير التنظيمي»، وتناول الدكتور عبدالرحمن صالح عبدالله «دور المؤسسات التربوية والتدريبية في تنمية الشعور بمسؤولية المحافظة على المال العام»، وختم بحوث الدورية الدكتور عبدالمحسن بن حسين العرفج بموضوع عن «العلاقة بين الموردين والمنتجين: دراسة تطبيقية على بعض الصناعات في المملكة العربية السعودية»، وإلى جانب المقالات هناك بالأبواب الثابتة: قراءات «رحلة مع عالم الكتب»، و«وثائق وتقارير»، وقد جاء فيها تقرير حول ندوة القضاء الإداري عقدت في مسقط في الفترة من ٢٨ إلى ٢٩ شوال ١٤٢٢هـ/ ١٢ إلى ١٣ يناير/ كانون الثاني ٢٠٠٢م.

العنوان: ص.ب ١٩٩٤ - الرمز البريدي: ١١٢ سلطنة عمان
هاتف: ٦٩٩٠٠٨ - ناسوخ: ٦٠٢٠٦٦

مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية (س٢٤، ع ٢٤، خريف ٢٠٠١م)

مجلة دورية محكّمة تصدر سنوياً عن كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية في جامعة قطر.

تنوعت موضوعات هذا العدد، فجاء أولها بعنوان: «البلقان مفتاح السيطرة العالمية - دراسة جيوبوليتيكية عن منطقة البلقان» للدكتور فهد آل ثاني، وبحث بعنوان «شبكات الأقراص المكتنزة للمكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات العربية: تجربة جامعة قطر» للدكتور عماد عبدالوهاب الصباغ.

وكتبت الدكتورة عائشة راشد الدرهم بحثًا بعنوان «أضواء حول رائية عبدالمجيد بن عبدون»، وناقش الدكتور رشود بن محمد الخريف «تطور الخصائص التعليمية للسكان في المملكة العربية السعودية - دراسة سكانية تحليلية مقارنة»، وجاء البحث الخامس بعنوان «خدمة المعلومات الإلكترونية في مكتبة جامعة قطر: المستفيدون ونوع المصادر الإلكترونية» للدكتورة عامرة الرغولي، ونورة علي آل ثاني، والبحث السادس بعنوان «الجملة البسيطة في عناوين الصحف القطرية بين متطلبات المعنى والصحة النحوية» لبكري محمد الحاج.

والبحث الأخير بعنوان «الهرم السكاني لسلطنة عُمان حسب تعداد عام ١٩٦٣م - الخصائص والمؤشرات» للدكتورباسم عبدالعزيز العثمان.

العنوان: جامعة قطر - ص.ب (٢٧١٣) - الدوحة - دولة قطر
هاتف:٤٨٥٢٢٣٢ - ٤٨٥٢٦٤٢ - ناسوخ: ٤٨٣٥١٠٧



مجلة البحوث الأمنية (مج١٠، ع٢٠، ذو الحجة ١٤٢٢هـ/ مارس ٢٠٠٢م)

دورية علمية محكّمة تصدر عن مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية في الرياض، وتعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية في مجالات الأمن بمفهومه الشامل.

حفل هذا العدد بمجموعة من البحوث العلمية والتقارير وعرض الكتب، وفي باب البحوث العلمية كتب الدكتور منصور بن عمر المعايطة عن «المسؤولية المدنية للأطباء عن أخطائهم الطبية»، وقدم الدكتور راشد الباز دراسة ميدانية بعنوان «الشباب والعمل التطوعي: دراسة ميدانية على طلاب المرحلة الجامعية في مدينة الرياض»، وناقش الدكتور عبدالرحمن العيسوي «الفروق بين الجنسين في القيم الأخلاقية والسلوك الأخلاقي»، وتناول الدكتور سليمان السويكت موضوع «العيون والجاسوسية في عصر النبوة»، وكتب الدكتور فوزي بن سعيد كبارة عن «استخدام نظم المعلومات الجغرافية لتوزيع مواقع مراكز الأمن العام في حاضرة الدمام».

وفي باب التقارير وعرض الكتب هناك تقرير عن مؤتمر التنمية والأمن في الوطن العربي «الأمن مسؤولية الجميع» الذي أقيم في أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية» أعده الدكتور فيصل اليوسف، وقدم الدكتور صالح الشثري عرضًا لكتاب «حقوق الإنسان في الإسلام»تأليف الدكتور عبداللطيف الغامدي.

العنوان: ص.ب: ٤٦٤٦١ الرياض ١١٥٣٢ - ناسوخ: ٢٤٦١٣٧٦
المملكة العربية السعودية

قضايا في المصطلح العربي

سعد بن هادي القحطاني
الرياض - السعودية

يعد علم المصطلح Terminology أحد المفاهيم الحديثة نسبياً في علم اللغة المعاصر، ويهدف إلى وضع قواعد ثابتة ومعايير للمصطلحات العلمية الحديثة.

وهذا العلم هو أحد فروع علم المعجمية، أو ما يعرف بـ Lexicology، ذلك أنه يتناول تكوين المصطلحات ومدى تمثيلها للبناء المعرفي. ومن الأفضل النظر إلى علم المصطلح كحقل متعدد التخصصات؛ ذلك أنه يرتبط بالمنطق، وعلم المعلومات، والتصنيف، وكذلك علم الدلالات(١).

وفي العقود الماضية نما علم المصطلح نمواً كبيراً استجابة للانتشار المعرفي الحديث، الذي نتج منه تدشين مئات المصطلحات سنوياً للتعبير عن المستجدات الحديثة في العلوم والتكنولوجيا. ويعدّ وستر(١٩٥٥م) Wuster، وسكولمان (١٩٧٠م) Scholmann من أوائل العلماء الذين ساعدوا على تأسيس علم المصطلح المعاصر. ويعدّ هولم ستورم (١٩٧٠م) Holmstorm أول من عمل في تسييس علم المصطلح (جعله قضية سياسية) إبان عمله في منظمة اليونسكو Unesco، إذ أنشأ ما يعرف الآن بـ أنفوترم Infoterm. وقد اقترح وستر بعض الأسس التي يجب أن تقوم عليها عملية وضع المصطلحات، نوردها فيما يأتي:

- يجب أن يعبر المصطلح عن المفهوم بشكل واضح ومباشر.
- يجب أن نضع في الحسبان البناء الصوتي والصرفي للغة المنقول إليها المصطلح.
- يجب أن يكون المصطلح قابلاً للاشتقاق ما أمكن ذلك.
- يجب تجنب التكرار قدر الإمكان، أي لا يجب التعبير عن المفهوم الواحد بأكثر من مصطلح.
- يجب أن يعبر المصطلح عن معنى واحد فقط.
- يجب أن تكون دلالة المصطلح واضحة، حتى وإن كان خارج السياق.
- يجب أن يكون المصطلح قصيراً ما أمكن ذلك، دون إخلال بالمعنى(٢).

وتعد عملية وضع المصطلحات وخصوصاً العملية منها والتقنية من أهم عوامل تطوير اللغة العربية. وقد بدأ هذا الاتجاه مع بواكير النهضة العربية، وذلك عندما تم إنشاء المجمع العلمي في دمشق عام ١٩١٩م. وقد اتبع مجمع اللغة العربية في القاهرة النهج نفسه منذ نشأته، إذ ركز المجمع بشكل أساسي في تعريب المصطلحات العلمية والتقنية. ثم نهجت بقية المجامع اللغوية العربية التي أنشئت في الدول الأخرى النهج نفسه تقريباً، وذلك باتباع طرائق التعريب في العربية: الاشتقاق، والنحت والتركيب، والمجاز (الاستنباط)، والاقتراض. وفي الواقع، فإن التمسك بالطرائق التقليدية في التعريب أصبح موضعاً للنقد من قبل بعض الباحثين الذين يرون أن التمسك بهذه الطرائق وعدم إضافة غيرها ساهم في بطء وضع المصطلحات العلمية أو عدم فاعليتها. كما يشير المولودي «من أهم عوامل البطء أو الضعف في عملية وضع المصطلحات في العالم العربي هو الاعتماد الكلي على طرق التعريب التقليدية»(٣).

وهذه الطرائق اللغوية - الاشتقاق، والنحت والتركيب، والمجاز، والاقتراض - لا تخرج غالباً عن الأوزان الصرفية المعروفة في اللغة العربية الفصحى. غير أن التزام هذه الأوزان وعدم تجاوزها في كل الأحوال يمثل تحدياً أمام من يضع المصطلحات العلمية الحديثة، ولاسيما أن معظم هذه المصطلحات مصطلحات مركبة (أكثر من كلمة). ومن المعلوم أن التركيب هو أخصب طرائق التوليد في اللغات الأوربية، بينما هو محدود جداً في اللغة العربية. كما أن اللغة العربية لا توظف السوابق واللواحق بالقدر نفسه المستخدم في اللغات الأوربية، وهذه إشكالية أخرى(٤).

كما أن تعدد المعاني للمفردة الواحدة (الترادف)، أو تعدد المفردات للمعنى الواحد يخلق إشكالية من نوع آخر عند التعامل مع المصطلحات. وقد حاول اللغويون العرب أمثال ابن فارس نفي صفة الترادف عن العربية؛ إذ يرى ابن فارس أنه لا توجد كلمتان لهما المعنى نفسه تماماً، مشيراً إلى أن اللغات لا تجيز هذا الترادف «أو الترف اللغوي». وما يعرف على أنه «ترادف» هو في الواقع مشاركة نسبية في المعنى، أي إن لكل مفهوم كلمة «واحدة» فقط ترتبط به ارتباطاً اعتباطياً. أما ما عدا ذلك من الكلمات التي تشترك

في الدلالة على هذا المفهوم فهي من باب الصفات(٥).

ويوجد في علم اللغة التطبيقي الحديث آراء تدعم هذا الاتجاه الذي ذهب إليه ابن فارس. فمثلاً لهرر (١٩٧٤م) Lehrer تؤكد أن لكل كلمة «حيزاً» محدداً من المعنى المراد، ويمكن أن يشترك عدد من الكلمات في معنى واحد، ولكن بنسب مختلفة أو بجانب معين من المعنى. أما ما يقال عن الترادف التام أي العلاقة التبادلية، المتطابقة تماماً فقلما يوجد في أي لغة، أي أنه لا توجد كلمتان متطابقتان في المعنى تماماً. وتخلص Lehrer إلى أن الترادف اللغوي التطابقي لا تجيزه اللغات. ويشير لوينز (١٩٩٥م) Loyns كذلك إلى أن العلاقات بين المترادفات والمعنى المقصود مبنية منذ الأساس على عمق المفهوم. أي إن المفهوم يحمل في طياته أبعاد الترادف، والتضاد «أي عند ذكر المفهوم يتبادر إلى الذهن المعنى المضاد أيضاً، وكذلك المعنى القريب منه»(٦).

ومن الواضح أن الترادف في وضع المصطلحات المعربة صفة غير مرغوبة لما تخلقه من تشويش على المعنى. وكمحاولة من المجامع اللغوية العربية لحل مشكلة الترادف اللغوي في المصطلحات؛ اقترح بعض المهتمين في مؤتمر التعريب في المغرب (١٩٨١م) توحيد منهجية وضع المصطلحات، ووضع معايير تكفل الحد من الترادف. وهذه المعايير تشمل ما يأتي:

- وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد.
- تجنب ترادف الدلالات للمصطلح، وذلك باستخدام الكلمات ذوات المعاني المجردة، أي التي لا تحمل أكثر من دلالة واحدة.
- عندما يتم الاختيار بين كلمتين تؤديان المعنى المراد، يجب اختيار الكلمة ذات الجذر الأقرب للمعنى المراد.

وعلى الرغم من وضع هذه المعايير والاتفاق عليها في المؤتمر المذكور إلا أن ظاهرة الترادف مازالت موجودة في المصطلحات العلمية المعربة، والأمثلة على ذلك كثيرة. أحد هذه الأمثلة كلمة «مضغاط» Compressor، تم تعريبها بثلاث صيغ:



معجمات مصطلحات بالعربية

كما هو معروف، فإن وجود مثل هذا الترادف في المصطلحات يخلق نوعاً من التشويش والضبابية في فهم المعنى المقصود. ويشير القرشي إلى ذلك بقوله: «تعدد المصطلحات للمعنى الواحد يحول دون فهم المعنى المقصود فهماً دقيقاً. وقد مضى الوقت الذي ينظر فيه إلى الترادف على أنه سمة من سمات الثراء اللغوي»(٧).

وفيما يتعلق بجهود اللغويين العرب في تطوير طرائق التوليد في العربية، كان هناك سجال بين فئة مؤيدة للتطوير والتغيير وفئة ترفض أي تغيير خارج الأوزان الصرفية العربية المعروفة. وقد بدأ هذا السجال في بداية القرن الحالي، ونتج منه توجه متوسط في الرؤية يدعو إلى التطوير بشرط عدم الإخلال بالصيغ الصرفية العربية. ويدعو هذا التوجه إلى تجنب المفردات البعيدة عن الواقع، والميل إلى استخدام المفردات التي يفهمها عامة الناس. وهذا ما أخذت به المجامع اللغوية من أجل تطوير آليات وضع المصطلحات العلمية الحديثة(٨).

المراجع

1 - Sager & Johnson 1979. "Terminology the State of the Art" Actualite Terminologique Furgeson 1971. "diglossia". Word Vol.15 (P. 325 - 40)

٢. «المصطلح الطبي والتقني»، حصة القنير، ١٩٩٧م. رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود بالرياض.

3 - Arabic Language Planning: the case of Lexical Modernization.
المولودي (١٩٨٦م)، رسالة دكتوراه ، جامعة جورج تاون، الولايات المتحدة الأمريكية.

4 - Furgeson 1971 (مرجع سابق).

٥. القنير ١٩٩٧م، (مرجع سابق).

6 - Lehrer 1974, Semantic Fields & Lexical Structure. Amestrdam.

7 - The Feasibility of the Language as a Medium of Instruction in Sciences,1982
القرشي١٩٨٢م، جامعة أنديانا، الولايات المتحدة الأمريكية.

٨. المرجع السابق، ص٨٢.

